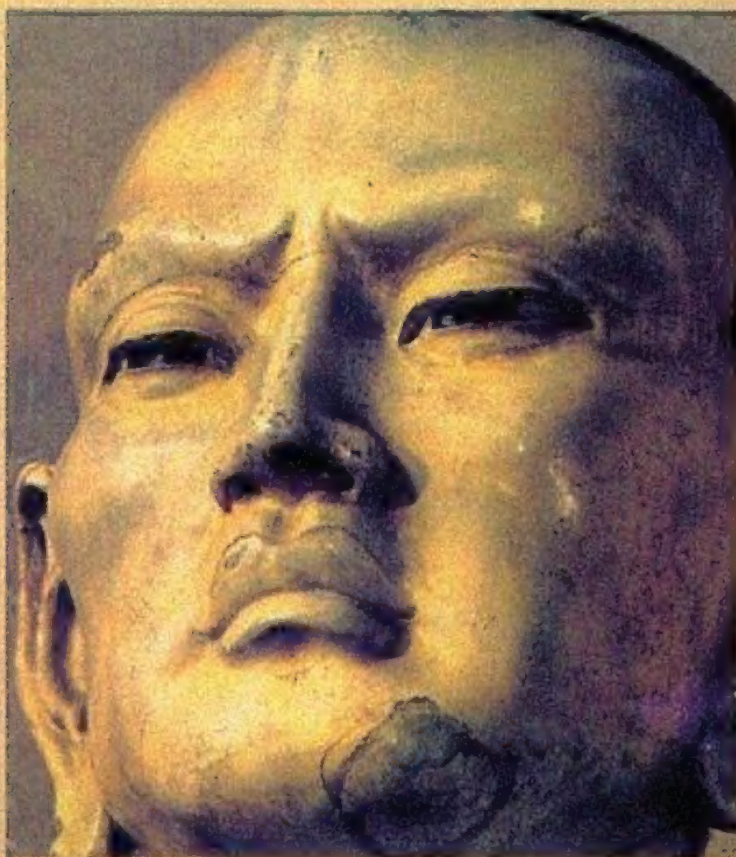


مُحاورات کونفو شیوس

حَقِيقَ: لیو جون تیان - لین سونخ - بولیکون



ترجمة: محسن سیّد فرجانی

المشروع القومي للترجمة

محاورات

كونفوشيوس

ترجمة

محسن سيد فرجاني



٢٠٠٠

论 语

四 书 全 译

刘俊田 林 松 禹克坤 译注

شكر

يتوجه المترجم بالشكر إلى الأستاذ . جمال الغيطاني ، فهو صاحب الدعوة إلى ترجمة الكتاب عن الصينية إلى العربية مباشرة ، لأجل إثراء المكتبة العربية بالمنقول والمترجم من التراث الأدبي والفكري الصيني القديم .

إهداء المترجم إلى

القلب العربى الأخضر ، الصامد فى جوف الصحراء

قلعة بلادنا العربية الوارفة بالظلال

مسلك العابرين من الشط إلى البر ...

العيون العربية الطلوة المشحونة بالأمل والضياء والأحلام ...

فى العرايشية ، والمعدية رقم « ٦ » ،

المحطة ، وزايد ، فى الجلاء والفردان ...

فى المنشية ... ، والشجرة ...

وكل شبر من الرمل والأسفلت والدم ، حتى مياه القنال المالح ...

فى مدينتى مدينة الإسماعيلية !

مقدمة المترجم

« محاورات كونفوشيوس » هي مجموعة من التسجيلات الكتابية لتعاليم كونفوشيوس وتعليقات تلاميذه ، وقد تم تدوينها بوصفها أقوال ومواظ مناسبة لحلقات الفكر والدراسة ، وكان هذا هو السبب وراء اختيار عنوان الكتاب « المحاورات » وكان واحد من تلاميذه - تسنغ شن - هو الذي جمع الأقوال المتناثرة وضمها بين دفتي كتاب ، وذلك أثناء فترة مهمة في التاريخ الصيني ، هي عصر الدول المتحاربة (٤٧٥ ق.م - ٢٢١ ق.م) وكانت القاعدة العامة في المدارس والاتجاهات الفكرية والدراسية حينئذ تلجأ إلى تدوين الأفكار كتابيا ، إلا أن كونفوشيوس وهو صاحب اتجاه فلسفي « الكونفوشية » رفض التدوين الكتابي لأفكاره زاعما أنه مجرد « بسيط » وليس « مبدعا » مجرد « مجتهد » وليس « مكتشفا » وكان ذلك صحيحاً إلى حد بعيد !

فقد كان الزمن الذي ظهر فيه كونفوشيوس يشهد الانتقال من نظام الاقطاع العشائري (أسرة بين الإمبراطورية) إلى نظام الملكية الأوتوقراطية (الدول المتحاربة) وبطبيعة فترات الانتقال المفصلية الحادة ، وسط ظروف تعج بفوضى إعادة الترتيب ، من نظام قديم انهارت دعائمه إلى نظام جديد لم تثبت جدرانه ، فقد برزت الكونفوشية نتيجة ، وليست سببا ومن وجهة نظر ما ، قل إنها كانت المشعل الحضاري الذي عبر متوهجا بالروح الحضاري الصيني التقليدي من أطلال عصر « أسرة بين جو » ليلم أطرافه وينثر أنواره في جنبات كيان جديد على هدى أفكار ارتأت أن المجتمع الإنساني عبارة عن جسد جمعي نمطي يتحدد سلوكه بمعيار الأخلاق والتراحم سعيا للسلام

والرفاهية لكل الناس ، يتشكل قوامه من معايير قيمية يلتزم بها الفرد ، تتمثل فى ثقافة أخلاقية متجردة بالإخلاص والولاء والتراحم والاحترام والتبجيل والإيمان والحكمة والشجاعة والصبر تلك التى صَبَّت جميعا فيما عرف بالمنهاج ، الطريق .. « الطاو » الذى امتد عبر الأفق فى مسارين أساسيين : الإيمان – والصبر .

تلك ، بتلخيص أو تركيز شديد ، هى الكونفوشية .. قلب الثقافة الصينية ، نواتها كما كانت قديما ، وهى أيضا الأساس لما عرف فى ملفات الحضارة الصينية بـ «المدرسة الكونفوشية» ، الـ « روجيا » العتيقة العريقة ، بلفظها الحى فى اللغة الصينية ، والتى انقسم .. أو انشطرت مبحثها النقدى العام ، مع طول التجربة وعمق المجرى وثقل الوزن الحضارى إلى قسمين : أحدها انتقادى ، يراجع بالبحث والدراسة ، موضوعيا ، مقولاتها منتقدا عنصرها الاقطاعى البارز ، والآخر ، مذهبى يعترف ويسلم بجوهرها الثقافى الإصيل ورمزها الباقى للتقاليد التاريخية الصينية ، ودار الجدل على محاور كثيرة :

* فى المحتوى النظرى للكونفوشية : كان الفكر الإقطاعى والاستبداد موضع انتقاد ، بينما التلميحات القليلة إلى التقدمية والتنبؤ بالديمقراطية ، موضع إشادة .

* فى الجانب السياسى : انتقد الباحثون الاستعلاء الملكى السىادى ، والسلطة الملكية (الكارزمية) وهتف المذهبيون لإشارات تحترم رأى

العام وتنادى بالمساواة .

* فى الجانب الاجتماعى : انتقدت بوصفها دفاعاً عن الأوتوقراطية الملكية ، قبلت كقيمة نظرية وفلسفية تحتل موقع الصدارة فى التاريخ الثقافى للصين ، ويوصفها موضوعا للدراسات التراثية ذات قيمة بحثية عالية .

كان لكونفوشيوس مكانته الشخصية ومركزه فى الثقافة الصينية الكلاسيكية من حيث أنه :

- حافظ على الإرث الثقافى الصينى من الضياع ، وذلك بتحقيقه وتصويبه لأهم كتب التراث فى الصين القديمة مثل : «كتاب الاغانى» ، «كتاب التاريخ» ، «كتاب التغيرات» .

- ولأنه كان الأول فى التاريخ الصينى كله الذى دعا إلى إتاحة فرصة التعليم للعامة والبسطاء ، ليكسر احتكار الموظفين والوجهاء للعلم وكانت دعوته الشهيرة لأن : « يكون التعليم كالماء والهواء للجميع دون أية فروق طبقية » ، و « أن يراعى التخصص فى التعليم بحسب استعداد الطالب وميوله وقدراته الشخصية وأن يكون التنوع والترفيه وسيلة لاكتساب المعرفة .. وغيرها من مبادئ ترسخت فى التربويات الصينية العريقة ، والتي يضمها جميعاً « كتاب المحاورات » وهو أشهر وأهم الأوراق الكونفوشية على الإطلاق .

ففى أسرة « الهان » الامبراطورية - زمن المجد القديم - كانت هناك ثلاث طبقات من الكتاب ، اتخذت مادة أساسية للدارسين فى كل مراحل التعليم ، وفى عهد أسرة « تانغ » الملكية سجلت نسخة من الكتاب رسمياً بوصفها واحدة من أهم اثنتى عشرة مدونة تراثية فى

التاريخ الثقافى الصينى ، وفى عهد أسرة « جين الغربية » الحاكمة (٢٨٥ ميلادية) دخل الكتاب إلى اليابان ، وقيل فيما بعد (بمبالغة واضحة) إنه كان أول كتاب يقرأه اليابانيون فى حياتهم !

والنسخة التى اعتمدها للترجمة إلى العربية ، هى نسخة الماركيز الصينى « جانيو » ، التى حققها بنفسه فى أواخر عهد أسرة هان الغربية الأمبراطورية (٢٠٦ ق.م - ٢٤ ميلادية) .

ومحتوى كتاب « المحاورات » يسجل بوضوح ما تبقى فى ذهن كونفوشيوس من رؤى تتعلق - فى جوهرها وربما هذا هو دافع كثيرين لتصنيفها فى إطار الموضوع الدينى - بالتدبير الإلهى المتحكم فى مصير البشر والعالم كله ، والمتسبب فى بلائه خيرا ، وشرأ ، ... يعنى فكرة الإيمان بالقدر السماوى ، لكن من المهم الانتباه إلى أن رؤية كونفوشيوس للسماء /الإله لم تكن قاطعة محددة ، فهو أحيانا يراها غير قادرة على التفريق بين الخير والشر أو السعادة والشقاء (تزيد الأشقياء شقاء ، وتمنح السعداء كل الخير !) وأحيانا أخرى يراها عادلة مقسطة ، تعطى لكل بحسب ما يستحق .

وفى خلاصة ، لم تكن رؤى كونفوشيوس متجاوزة للإطار الفكرى السائد فى الإقطاع العشائرى ، ومن ثم جاءت موعظته تحث على الرضوخ الاتكالى ليد القدر ، والقبول - سلبا - بنمط الإخلاص والقيم الاجتماعية السائدة ، وكان هدفه الأساسى هو التوجه بأفكاره إلى المثقفين والدارسين الذين تجاوزتهم فرص الانتخاب المناسب للترقى والتقدم ، فبقوا فى أسفل السلم الاجتماعى مع القطاع العريض من الشعب الصينى تنتظر مصيرها تحت سيف القدر المسلط على الأعناق ولقد فقدت نظرية القدر وظلالها الدينية قيمتها عند المدارس الكونفوشية اللاحقة .

لكن ، كان يمكن لفكر المدرسة الكونفوشية أن يستمر ويؤثر ويلاحق - تاريخيا - مجتمعا صينيا معاصرا ، فلم يكن فى جوهره فكرا دينيا متساميا ومستقلا عن العالم الدنيوى (مثل المسيحية) - راجع فشل الاختراق التبشيرى للصين ! - ولم يكن نمطا فلسفيا للتأمل الفنى الجمالى - بمعناه المطلق ! - لكنه « نظام عقيدة يمتزج بالجمالى والمعرفى معا » لذلك ، لم يكن غريباً أن يزدهر البعث الكونفوشى فى صين التسعينيات ، رغم أن صين أول القرن العشرين (٤ مايو ١٩١٩) أسقطت الثقافة الكونفوشية من حسابها ، وهى تخطو إلى عتبات القرن فى تيار التحديث العنيف (العلم ، الديمقراطية) إلا أنها تعود الآن ، فكيف ذلك ؟ !

- الحق ، أن موقف النقد الظاهرى للكونفوشية ، كان - ربما فى باطنه - مصحوبا باعتراف ضمنى ثابت بقيمته الروحية ، وكان هناك فى خلفية مفكرى الاستنارة الصينية جذور تعليم قديم ينهل من الجذر الكونفوشى ، فكان من السهل عليهم - تقريبا - انتقاد مقولات كونفوشيوس ، لكنه لم يكن سهلاً أبدا نبذ التقاليد الكونفوشية .. والفرق واضح !

والحقيقة ، أن الصين المعاصرة ، تفتح - بطريق غير مباشر - الباب واسعا للبعث الكونفوشى ، فالظرف التاريخى الآن يشهد طغيان مظاهر العصر الدنيوى : أضواؤه الباهرة ، سرعة تقدمه الخاطف ، تحولاته العنيفة ، أسعاره ، أوراقه المالية ، أبراجه السكنية العملاقة ، سياراته ، نجوم غنائه .. ألخ ، وهو يعنى .. فاصل آخر بين عصرين ، يهدد الروح الصينى ويضغط على انسجامه الداخلى ، ويسمح بإعادة إنتاج ظروف الكونفوشية الأولى ، ويستدعيها من مكمناها .

والشائع ، أن البعض يردد بأن الكونفوشية حققت تطبيقاً جزئياً فى إحداث نقلة تطويرية هائلة فى اليابان وكوريا الجنوبية وسنغافورة

وجنوب الشرق الآسيوى بنموره ، وسلاحفه .. لكن .. هذه بالذات مسألة معقدة جداً تحتاج لتفصيلات أوسع لاتفى بها مساحة المقدمة العاجلة هذه .

والموضوع كله أصعب مما يطرح عرضاً واستسهالاً .. ذلك أن عودة الروح للمدرسة الكونفوشية كانت مرهونة دائماً بمدى وملائمة شروط التعبير العصرى فى خلفية ثقافية وتاريخية جديدة تماماً تجعل من البحث عن نقطة بداية جديدة واعدة بالاستمرار والنضج عملاً شاقاً ، لأن الخطر والتحدى الحقيقى يأتى من تفاصيل الحياة ذاتها وليس من النقد التنظيرى (التعميمى) المريح . ثم إن مواجهة التحدى والتغلب على الخطر لايمنى تمكين الكونفوشية من استعادة مكانتها الفريدة أو اعتلائها مسرح الايديولوجيا مرة أخرى . فالمسألة تكمن فى تفعيل دور الكونفوشية بوصفها مرجعاً روحياً قادراً على الحياة والتواصل والتأثير إيجابياً وسط ظروف ثقافية متعددة الروافد وعناصر التلقى ، ولكن :

* هل صحيح أن الكونفوشية ستنتعش وتمتلك ناصية القرن الواحد والعشرين ؟

- الكونفوشيون الجدد يتنبأون بأكثر من ذلك ، بل ويريدون تأسيس المملكة السماوية الثقافية والفكر الإنسانى كله على النمط الكونفوشى وحجتهم أن مستقبل الثقافة العالمية سينهض على تعميم تيار العلم الكونفوشى الذى تتكون عناصر معادلته من :

فكر كونفوشى + ديمقراطية

_____ = ثقافة بشرية مستقبلية

العلم

- واشتط البعض منهم معللاً بأن الفكر الإنسانى على النمط الكونفوشى يستطيع التوافق مع الديمقراطية والعلوم الغربية ويصلح كمحدد اتجاه انسانى جديد يدفع تقدم الحياة الثقافية « كذا » .

- وآخرون من ورثة التقاليد الكونفوشية يؤكدون على فائدتها التطبيقية انطلاقاً من أهمية استخدام الفلسفة فى الممارسة الاجتماعية

وربما كان من المبالغة كثيراً أن تردد مع الآخرين نبوءة تجعل من القرن الواحد والعشرين بكامله قرن الكونفوشية وأوان ازدهارها الموعود ، صحيح أنها ليست مجرد ايديولوجية مجتمع اقطاعى ، وبالتالي فهي ليست معرضة للضياع أو التفكك ، كما حدث للنظام الاجتماعى القديم الذى عاشت فى داره سنين .

لكنها أيضاً ليست مثل الأديان العادية وليست لها مرجعية تنظيم اجتماعى خارج المجتمع الدنيوى ، وليس هناك سوى النظرية /المقولات الكونفوشية بجناحيها فى الفكر والروح الاجتماعى .. ليس هذا فقط ، بل لم تعد الكونفوشية المنسحبة خارج المجتمع هى نفسها المدرسة الكونفوشية الأصلية ، وإذا رؤى - مثلاً - إنجاز الأعمال استناداً إلى المثل العليا لدى الكونفوشية ، فسيتوغل الصينيون فى مشكلة التقاليد التى لا تحل ولن يصبح الطريق ممهداً أمام مخرج جديد للاقتصاد الصينى الوطنى وحياة شعبها ، وتظل قدرة الفكر الأخلاقى على التوافق مع الحاجات المعقدة فى الوقت الحاضر موضع شك كبير .

* ويرغم أن هناك كثيرين يرون أن « التفوق الداخلى » حالة قائمة باستمرار فى فكر المدرسة الكونفوشية ، إلا أن المشكلة هى أن الروح فى تلك المدرسة تهرلت للغاية ، ولم تعد تتناسب الجسد الاجتماعى الذى تغير كثيراً ومازال يواصل تغييره .

وربما تبدت فى أحيان مختلفة ، وفى بواطن الدلالات وليس فى صدارتها ، إشارات تومىء إلى مشاعر متضاربة إزاء انهيار صرح القيم القديمة ، استندت فيها ظواهر الاضطراب الفكرى وضلال القيم إلى تعليقات من الحالة النفسية الحزينة « المتشردة » التى جابت أطراف العالم بحثاً عن صيغة موفقة تعيد الدم إلى القلب الكونفوشى القديم ، لتعود إلى التقاليد وعينها على التحديث ... أو العكس !

ووجهة النظر الغالبة ، هى أن الكونفوشية ، بجذر تاريخى عميق - لكنه بعيد ! - ووزن ثقافى ضخم ، يمكن أن تعود أو تبقى :

* كونفوشية تقاليد تاريخية ، بوصفها موضوعاً للتأمل الفكرى والبحث النظرى المجرد - وليس شيئاً آخر غير ذلك ! -

* تدخل القرن الواحد والعشرين الميلادى بوصفها : « الروح القومى الشريد » معزولة بأسوار جغرافية ومنكفئة على ذات تاريخية شديدة الحساسية ، ومن ثم تجد نفسها أقرب مزاجياً إلى التفاعل مع مركب الآلام : العزلة ، تضخم الشعور بالذات ، الاضطهاد ، الشتات (بعض مدارس الكونفوشية تنشط فى المهجر !) - الدياسبورا ! وكثير جداً مما يمكن قراءته بين السطور ! .

* حتى بأكثر التقديرات شططا ومبالغة ، يصعب التنبؤ بعودة التيار الكونفوشى ، بالمعنى الحقيقى له ، وإنما يظل موضوعاً قابلاً للحياة فى إطار الأدب الكونفوشى العجوز ، والدراسات التاريخية والأدبية القديمة .

مبالغة هائلة أن يقال أن القرن الواحد والعشرين هو قرن الفكر الكونفوشى وحده ، وإن كان يمكن القطع بأنه لن يطلع فجر قرن آخر جديد بغير كونفوشية جديدة تلمع عند منبت النور فى مشرقه .

الباب الأول

« شيوآر » (١)

وجملته ستة عشر فصلا

١-١ قال كونفوشيوس : « كم هو ممتع أن تتعلم وأن تراجع ما تعلمت ، وكم هو ممتع أن تلقى صديقا حميماً يأتيك من سفر بعيد . ويا له من رجل مهذب ذلك الذى يتجاوز عن تجاهل الناس لمكانته العالية » .

٢-١ قال يورى « أنبغ تلاميذ المعلم » : هناك صنف من الناس يشئ تمجيدها لأبيه وأمه ، احتراماً لأهله وإخوته . ويتصبب بقامته جريئاً أمام أصحاب النفوذ . هادئ لئن الطبع أمام أهله ، عنيف قاس مع الحمقى قساة القلب . فهو صنف نادر من البشر . وهناك من يعظمون رؤساءهم برغم طبيعتهم التواقة إلى التمرد والعصيان ، وهؤلاء ينذر وجود أمثالهم . لذا وجب على الشريف المهذب أن يتحلى بهذه الصفات ، فإذا تمكنت منه صارت أصلاً ، وإذا صارت أصلاً أنبتت الاحسان والفضيلة . وإن أطيب ما أثمرت الفضائل جميعاً : احترام الوالدين وإكبار الأخوة والأشقاء » .

٣-١ قال كونفوشيوس : « إذا ما قابلت من يتظاهرون بمحاسن الأخلاق ، وببالغون فى معسول الكلام ، فاحذر ، فنادر ما تعرف الفضائل طريق هؤلاء » .

- ٤-١ قال سنخ زى (٢) : « فى نهاية كل يوم أراجع نفسى فى ثلاثة أمور ، فأتساءل : هل بذلت كل ما أستطيع لمساعدة الآخرين بإخلاص وتفان ، وهل كنت صادقاً وفعالاً طوال اليوم لأصدقائى ، وهل راجعت واستفدت شيئاً من العلم والحكمة »
- ٥-١ قال كونفوشيوس : « من يحكم بلداً مترامي الأطراف ، عظيم الاتساع ، فليحرص على الجدّ فى سياسته ، وليضع ثقته فى مواطنيه ، وليحذر التبذير ، وليقرب إلى مجلسه الأجدر والأعقل وليضع الناس جميعاً تحت إمرته ماشاء إلا أن يكون فى ذلك إهلاكاً لزراع أو خراباً لحراث وحصاد » .
- ٦-١ قال كونفوشيوس : « من مكث من الشباب فى داره ، فليطع آباءه ، ومن قصد إلى العلم فليطع أستاذه . فالأمانة على من عمل ، والصدق على من قال : «ولتكن الصداقة للأوفياء والمعاملة بالحب لجميع الناس وبعد ، فمن بقى لديه فائض من وقت ، فليطالع كتب الأقدمين ، ويتأمل سيرة التاريخ » .
- ٧-١ قال زيشيا (٣) : « إن رجلاً تزوج ، وأحسن الاختيار فأكبر الخلق علي الجمال ، وبرّ بوالديه ، فبذل لهما دم قلبه ، وخدم رؤساءه ، فثابر وتفانى ، وصادق فصديق ، وتعارف فأخلص الروح والضمير . . رجلاً مثل هذا ، حتى وإن كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، فهو عندى أفضل الناس علماً ووعياً » .
- ٨-١ قال كونفوشيوس : « لا بد للعاقل الشريف أن يتحلّى بوقار الجدّة ، إذ لا مهابة لمن لا جدية له . ولا بد أن يثابر ويتعمق فى دراسته ، فقليل من العلم لا ينفع بشيء . فإذا توكّلى شئونا

عامّة ، فليعمل بنزاهة واخلاص ، إذ هما المبدأ والأصل .
ولا يصاحِبَن من هم دونه علماً ومكانة ، وليسبقَن إلى الصواب
إذا وقع في محذور أو رَلَّ به الخطأ .

٩-١ قال سنخ رى : « إن إقامة الصلوات على أرواح الموتى من
الآباء والأجداد ، تصقل الإيمان وكرم الأخلاق ، وترتفع
بأخلاقيات العامّة والبسطاء إلى مستوى رفيع من النبيل
والأصالة » .

١٠-١ جاء ريشين (٤) إلى تسيكون (٥) وسأله ، قال : « أرى
استاذنا ما إن ينزل بلسداً حتى تأتیه أخبارها وأسرارها ، وإنی
لأتساءل : أهي مهارته في السعى وراء المعرفة ، أم هم الآخرون
الذين يسعون إلى إخباره ؟ فأجابه تسيكون : بل هو بأدبه
وحصافته ، ولین جانبیه ، وبراعته ، وتواضعه الجَمِّ ، بكل ذلك
يحيط بالأسرار وخفايا الأخبار ، وهي ، لعمري ، طريقة في
جمع المعلومات ، تختلف عما ألفنا من طرائق » .

١١-١ قال كونفوشيوس : « على الشاب أن يهتدى بإرشادات أبيه
الذى على قيد الحياة . فإن توفي الأب ، فلينهج الولد سيرته ،
فمن بقى يسلك سلوك أبيه في الحياة ، ويترسّم آثاره من بعده
، استحق أن يُعَدَّ الابن البار المطيع » .

١٢-١ قال يوزى (٦) : « إن قواعد المعاملات الحسنة لا بد أن تقود
إلى الاتقان والتفاني في أمور الحياة . وقد كان الملوك والباطرة
في كل زمن يعظمون أثرها ويلتزمون بها فيما عَرَضَ لهم من
أمور زاد أو نقص خطرهما ، وأياً ما كان ، فلا ينبغي تفضيل

الاتقان على المعاملة الطيبة ، فالخير لأجل وجه الخير لا ينفع .
وإنما الأمور مزيج من إحسان وإتقان .

١٣-١ قال يوزى : « الالتزام رديف الثقة ، والثقة قوامها الأخلاق ،
لأن من وعد وأخلص فقد فاز . واعلم أن التواضع والخلق
الكريم لا يقومان في قلب رجل مالم يزينه التأسي بالأسوة
الحسنة ، ومن كانت تلك شيمته ، فعليك بصداقته . »

١٤-١ قال كونفوشيوس : « لا ينبغي للعاقل أن يجعل ملذات
العيش غاية أمله . فليزهد في حلّ وترحال ، وملبس ومال .
وليكن مسعاه إلى عمل بإتقان ، ولسان مصان ، وحرص في
القول وأمانة في العمل . وليحاذر في الصعوبة . فلا يجالس
إلا من كملت أخلاقه وحسنت صفاته . فلعله مستزيد من
فضائل أو مستصوب لهفوات النفس ، وإنه لهو الطريق السالك
إلى أحسن العلم . »

١٥-١ جاء تسيكون إلى كونفوشيوس وسأله : « ما رأيك يا سيدي
في فقير لا يتملق ، وغنى لا يتكبر ؟ ، فأجابه ، قال : نعم
الخلق إذن . لكن أين ذلك من فقير قانع ، وغنى كريم الخلق ،
فقال تسيكون : وإنه ليستوجب ترويض النفس وتطويعها ،
لتصير تلك الخصال مركوزة فيها ، أو كما قيل في كتاب الشعر
قديماً :

« هو شيء كالحفر على رخام .. على صوان كالنقش على
جوهرة من ماس ... في حجم حبات رمال . »

أليس هو كذلك يا سيدى ؟ فأجاب المعلم : «أى دوانغوسى»
أيها الذكى النايغ ، فالآن لا يسعنى إلا أن أتبارى وإياك فيما
جاء به كتاب الشعر من ذخائر ، فقد بدا لى من توقد
ذهنك وكشفك للمُعَمَّى بما دعت قريحتك ، ما حملنى على
ما سمعت » .

١٦-١ قال كونفوشيوس : « لا أخشى أن يجهلنى الناس ، بل كل
ما أخشاه ، هو أن أجهلهم ، أن تخفى عنى حقيقتهم » .

الباب الثانى

« ويجين »

وجملته أربعة وعشرون فصلا

١-٢ قال كونفوشيوس : « من جعل الأخلاق أساس الحكم ، صار كمثل لجم قطبى ، يثبت بالنور مكانه ، وتهيم فى مداره أفلاك من كواكب سيّارة » .

٢-٢ قال كونفوشيوس : « حوى » كتاب الشعر « أكثر من ثلاثمائة قصيدة ، يمكن إيجازها فى عبارة واحدة : « ليس أظهر من هذا الشعر وقائله » (٧)

٣-٢ قال كونفوشيوس : « إن الهداية بقوة القانون ، وإن الرّشاد بسن العقوبة والنصّ عليها فى مستون التشريع . . . كل ذلك قد يجبر الناس على اجتناب الرذيلة ، لكنه لا يقتنعهم بفداحتها ، ولا يغيّضها فى نفوسهم تبغيضاً . أما الموعظة بمكارم الأخلاق ، والتهذيب بالخصّ على التقوى ومحامد السلوك ، فيوقد الخشية فى القلوب ، ويلهب الرعب فى الضمير ويقود النفس بزمزم إرادتها طائعة مختارة إلى صادق التوبة وأزكى المثاب » .

٤-٢ قال كونفوشيوس : « كنت وأنا ابن خمس عشرة سنة أتوق إلى التعلّم ، فلما بلغت الثلاثين ، أدركت الحلم ، فوعيت الأصول وقواعد السلوك ، ثم أدركت الأربعين ، فخبرت من أمور الدين ما ثبتت به قدمى . وفى الخمسين بصرت الحياة

وفهمت معنى الوجود والقدر ، ثم كنت وأنا فى الستين ، أعاين مقاصد الرجل وخبايا نفسه من كلمة يقولها ، فما بلغت السبعين حتى كنت أطلق لنفسى العنان ، تجوب أنى شئت ، وتأتى ما بدالها ، فما تجاوزت قدراً ، ولا بلغت حد غلوائها «

٥-٢ جاء مينيتز^(٨) إلى كونفوشيوس ، وسأله عن طاعة الوالدين ماذا يقصد بها ، فأجابه : « هى ألا تخيب رجاء والديك » فما مضى وقت طويل حتى كان كونفوشيوس فى صحبة تلميذه « بان شى » فبادره المعلم قائلاً : « أتعرف أن واحداً من عائلة «منغ» سألنى عن طاعة الوالدين ، فأجبته بأن المعنى فى ذلك هو ألا تخيب رجاءهما ! وسأله محاوره : « وما تقصد بذلك يا سيدى ؟ » ، فأجابه : « أن تحسن معاملة والديك فى حياتهما ، ثم أن تفى بحق أرواحهما فى طقوس جنائزية لائقة عند الممات » .

٦-٢ جاء منغوبو (ابن « مينيتز » .. رجل البلاط الشهير) إلى المعلم ، وسأله عن معنى الطاعة ، فأجابه : « هى ألا يكون فى الدنيا كلها شئ يشغل الأبناء عن السهر على راحة وصحة آبائهم » .

٧-٢ جاء زاو^(٩) إلى كونفوشيوس ، وسأله عن طاعة الوالدين ، فأجابه : « صارت الناس تظن أن البرّ بالوالدين يعنى إطعامهما بما لذّ وطاب . لكن المخلوقات الأليفة أيضاً تجد من يطعمها ويسقيها بأفخر وأبهى طعام وشراب . إن الإكرام بغير احترام ، لا يختلف كثيراً عن اقتناء القطط والحياد » .

٨-٢ جاء ريشيا إلى المعلم وسأله عن طاعة الوالدين ، فأجابه ،
قال « إذا كانت الأمور تقاس بمقدار الجهد ، فالبرّ إذن أن تمدّ يد
المساعدة ، أو كما قلت آنفا . . أن تهيم لوالديك مآدب الطعام
الفخرة ، فيشبعان « ويمتلئان » من خبزك وخمرك ، إذ يبدو لى
أن أحداً لم يعد يقدر هذه الأيام أن يحمل ابتسامة صافية على
وجهه ويدخل بها على أبويه ، يملأ قلوبهما بالسعادة ، عرفاناً
وحباً خالصاً .

٩-٢ قال كونفوشيوس : « كثيراً ما ألقىت دروسى على أنبغ
تلاميذى « يان هوى » ، فما وجدته عارضنى بشيء أو فتح فمه
بسؤال ، حتى ظننت به بلادة الحس وخمود العقل ، وما هو إلا
أن تكشف لى من سلوكه وتصرفاته معى ومع الآخرين نبوغاً فى
العلم وطلاقة فى الفهم والبيان ، فما رأت عينى ولا وعى قلبى
رجلاً مثله فى حدة العقل وجلاء البصيرة .

١٠-٢ قال كونفوشيوس : « راقب تصرفات واحد من الناس ،
بما فيها من طيب أو خبيث ، ولا حظ الدوافع وراء تلك
التصرفات ، قم راقب مدى رضاء الفرد أو سخطه على ما يتر
منه ، وهيهات أن تخفى عنك كوامن النفس أو تغمض عليك
دخائل الوجدان والضمير .

١١-٢ قال كونفوشيوس « راجع دوماً ما سبق لك تحصيله من
معرفة ، تنكشف لك حجب فهم جديد ، وتصير جديراً
بكرسى المعلم نفسه .

- ١٢-٢ قال كونفوشيوس : « إن رجلاً ذا علم وموهبة لا يجدر به أن يعمل مثل آلة صماء ، مثل أداة منزلية رخيصة متواضعة » .
- ١٣-٢ جاء تسيكون إلى كونفوشيوس وسأله كيف يصير الرجل عاقلاً فاضلاً ، فأجابه ، قال « بأن تكون أفعاله مقدمة لأقواله . . يبادر إلى العمل ثم يتبعه بالقول » .
- ١٤-٢ قال كونفوشيوس « العاقل من يوازي في علاقاته ، وينأى بنفسه عن عصبية متحيزة ، أما الغافل ، فيلقى بنفسه وسط زمرة من الأصفياء ، يتحزب ولا يخالط ، حتى تكاد تضيق عليه الدوائر » .
- ١٥-٢ قال كونفوشيوس : « القراءة بغير تحليل وفهم ، إرباك للذهن بلا طائل ، والفكر المجرد بغير قراءة ، هو عين الهلاك » .
- ١٦-٢ قال كونفوشيوس : « إن كل الأفكار الضالة التي حادت عن فكر قويم ، تحمل بذور خطر داهم ، ولا سبيل إلى دفع الخطر إلا بتصحيح الفكر وتنقية الفهم من شائبة الأباطيل » .
- ١٧-٢ قال كونفوشيوس لتلميذه « يو » (١٠) : « أعلمك شيئاً ، فاحفظ عني : لا تقل « أعرف » إلا إذا عرفت ، فإن جلهمت شيئاً ، فقل لا أعرف ، فهذا هو رأس الحكمة » .
- ١٨-٢ جاء ريجانغ (١١) إلى كونفوشيوس وسأله : « بماذا يرتقى المرء منصباً ذا شرف ووجاهة ؟ فأجابه : « بأن يجيد الإنصات ، ثم يحتفظ في ذهنه بما لم يفهم ، وأن يحاذر عند القول ، فلا ينطق إلا بما قد فهم حقاً ، فذلك يعصم من الزلل . ثم فليتأمل كثيراً وليستبق في عقله مالم يستسغه الفهم ، فإن انطلق

إلى العمل ، فلا يقرين بيده إلا ما وَعَى فعله ، فذلك يعصم من
الندم ، فهكذا يصير الرجل حريصاً فى قوله ، أميناً فى عمله ،
فتلك تبلغ به مبلغ الشرف وعظيم المكاة .

١٩-٢ جاء الدوق « إيكونغ » إلى كونفوشيوس ، وسأله : « كيف
أقود الناس فى إمارتى إلى الطاعة ؟ » فأجابه : « أكرم الأمين
واضرب اللئيم ، ينقادوا لك . وانصر المحتال أو اظلم
الشريف ، ينقلبوا عليك » .

٢٠-٢ جاء جيكانزى^(١٢) إلى المعلم ، فسأله : « ما الوسيلة إلى
نيل احترام الناس وإخلاصهم ، ثم إقضاء الأمانة والتراحم فيما
بينهم ؟ » فأجابه : « إن تسيدت عليهم بالجد والوقار ، لقيت
منهم التبجيل ، وإن رحمت كبيرهم وأشفقت على صغيرهم ،
بذلوا لك الإخلاص ، فإن مجّدت الكريم وأعنت ذا الحاجة ،
تكون قد أشعت بينهم البر والإحسان وروح الخير والتفانى » .

٢١-٢ جاء رجل إلى كونفوشيوس ، وسأله : « لماذا لا ترتقى منصبا
حكومياً وتشارك فى « المهام السيادية العليا ؟ » فأجابه : « ورد
فى نسخة نادرة من كتاب « سجلات تاريخية » ما مفاده أن أعظم
الأعمال وأجلّها هى الطاعة لأبوك ، والاخلاص لإخوتك ،
وحبذا لو تساميت بهذه الروح إلى آفاق « المفاهيم السيادية
الراقية » فذلك أيضا نوع من المشاركة فى ممارسة السلطة ،
فلماذا نتصور دائما أن الممارسة السياسية لا تتأتى إلا بارتقاء
منصب حكومى مرموق ! » .

٢٢-٢ قال كونفوشيوس : « لا خير فيمن لا يصدق ، ولا جدوى من كاذب ضال ، لأن الصدق فى الرجال أعتها ، فما نفعك من فرس جامح بلا عنان ؟ ! » .

٢٣-٢ جاء « زيكانع » إلى المعلم ، فسأله : « أيمكن ، يا سيدى ، معرفة ما تصير إليه الأحوال فى نظم الحكم بعد عشرة أجيال قادمة ؟ » فأجابه : « أجل ... فيمكن ، مثلاً ، استقراء ما تصير إليه الأوضاع إذا ما تحققنا من صحة الغرض بأن مملكة « شاو » تقتبس نظم وتقاليد دولة « شيا » ، وهو ما يستتبعه بالضرورة عملية فرز وانتقاء تفضى ، غالباً ، إلى مسلكين : إما الأخذ بما يلائم والنبد والتعديل لما يخالف ، وهذا أمر يمكن التنبؤ به ، أو أن تقتبس دولة « شيا » سياسة ونظم مملكة « شاو » ثم تجرى بدورها ما يناسبها من فرز وتعديل وانتقاء ، وهذا يمكن أيضاً استقراؤه فمن ثم أستطيع أن أخبرك بما تصير إليه أحوال الملوك والممالك والظروف التى سيجدونها ماثلة أمامهم ، فى دولة « شاو » مثلاً ، ولو بعد عشرة أجيال كاملة » .

٢٤-٢ قال كونفوشيوس : « أن نبذل الوفاء والعرفان لمن لا يستحق ، فذلك هو النفاق ، وأن تقصّر همتك عن أداء الواجب والاضطلاع بما تمليه عليك المسؤولية ، فذلك هو التخاذل بعينه » .

الباب الثالث

« بايو »

وجملته ستة وعشرون فصلا

١-٣ تحدث كونفوشيوس منتقداً مظاهر الإسراف التى اشتهر بها الأمير « جى » ، فقال : « إذا كان (جى شى) وهو سيد قومه ، قد تجاوز الحد فيما جرت عليه عادات الناس ، فبلغ الشطط ، إذ أقام شعائر جنازية على روح أجداده ، فبذل فيها غاية البذخ وبالع في المجون . فلئن كان هذا مسلكه فى مثل هذا الموقف ، فكيف له فى غيره من الأمور ؟ » .

٢-٣ أبلغ أحد التلاميذ كونفوشيوس بما مؤداه أن أفراداً من العائلات الثلاث الكبار : منغسون ، شومسون ، جيسن ، أقاموا الشعائر الجنازية على روح أجدادهم ، إلا أنهم أنشدوا التراتيل الخاصة للملك الملوك ، فتجاوزوا حدوداً ليس لهم حتى حق المساس بها ، فقال كونفوشيوس : « هؤلاء يعورهم البصر والبصيرة ، فإن هذه التراتيل موضوعة للأباطرة تطالبهم هم وأحفادهم بأداء طقوس ومراسم خاصة تقتصر عليهم فقط ، فكيف لهؤلاء الناس إذا سلكوا فى غير طريقهم ، والسالك فى غير طريقه ضالاً ، فلكل سائر درب ، ولكل خطو طريق .

٣-٣ قال كونفوشيوس : « إذا صار قلب الرجل خلواً من الانسانية ، فما النفع من تمسكه بقواعد المعاملات الكريمة ؟ إذا فرغ قلب

امريء من معنى الإنسانية فلن يكون لشيء فى حياته معنى ،
حتى وإن ملأ الدنيا كلاما وخطبا ومواعظ حول المعانى الراقية
الجميلة .

٤-٣ جاء رجل اسمه « لين فانغ » وسأل كونفوشيوس أن يعظه
بموعظة يضعها نصب عينيه ، فأجابه : « إن مسألتك لعظيمة
جداً ، فاعلم ، حتى وإن أقمت مأتماً ، لا تفرط ، فليس الحداد
على ميت بعدد ما أوقدت من شموع فى جنازته ، وإنما بجلال
أحزانك بالصدق المتقد فى عميق وجدانك .

٥-٣ قال كونفوشيوس ، فى فورة حماسة وطنية ، : « إنها قبائل
همجية تلك التى تتناثر على تلال بلادنا ، وإن سادها كرام
الملوك . فالمجد أبداً للسهول الصينية وإن غمرتها القوضى
وتنارعها الشقاق .

٦-٣ ذهب سيد قبيلة « جى » لتقديم القرابين إلى آلهة جبل
« تاي » ، فبلغ ذلك كونفوشيوس ، فقال لتلميذه « ران » :
« اذهب وانصح له بالرجوع فذلك مما يخالف الأعراف » فأجابه
التلميذ بأنه لا يقدر على ذلك فتعجب كونفوشيوس قائلاً :
« أيعظم الرجل وتهون الآلهة ؟ أيمكن العابد أكرم من المعبود ؟ »

٧-٣ قال كونفوشيوس : « ليس للماجد أن ينارع أحداً من الناس
الشرف ، أو يستلبه العز والسيادة ، فإن لم يكن بدٌ من صولة
الجاه ، فليتنكب القوس والسهم ولينزل إلى ساحة الرماية ،
وليحرص على تحية منافسه قبل النزال ، فإذا ما انتهت الجولة -
نصراً أو هزيمة - فإنه لمن كرم المحتد وأصيل السجاياء أن

يقبل على صاحبه باشاً متلظفا ، مبادلاً إياه نخب الامتتان
والشرف .

٨-٣ جاء « ريشيا » إلى كونفوشيوس وسأل عن المعنى فيما جاء
بقصيدة في « كتاب الشعر » مطلعها :

« يامن سرى الفجر بخديك حلواً كابتسامة

عيناك ظلال .. وشموع تراتيل

بهاؤك فتنة .. زينة أريان

كألوان تزهى فى أحراش ،

نقوش على ثوب أبيض ،

رخارف .. موشاة فى منديل »

واستفهم السائل : « أين يكون الجمال هنا ، أياكون فى
الوصف قبل الموصوف ؟ » فأجابه المعلم : « كلا .. لا يكون
الأمر كذلك ففى البدء كان الموصوف ، ثم ازدان بمظاهر
الجمال ، فصار قابلاً للموصف بما يليق به » فقال ريشيا : « إذن
فالصفات تسبقها أصول ، كقولك : إن الفضائل لا تقوم إلا
على أساس من الإنسانية » فهتف كونفوشيوس : « أى ..
بوشانغ ! وإتك لتوقظ فى عقلى دفائن الفكر والتأمل ! فهل
نفكر معاً فى خبايا المعنى مما جاء بكتاب الشعر ! » .

٩-٣ قال كونفوشيوس : « أستطيع أن أروى للناس ما مضى من
أخبار مملكة « شيا » ، لكن المؤسف أن ماتلى ذلك العهد من
أبناء دولة « تشى » فلا أملك شاهداً كافياً لتوثيقه . وأستطيع أن
أقص على الملأ الكثير من البراهين على ما وقع إيان حكم دولة

« سونغ » التى جاءت فى إثرها . إن رواية التاريخ لا يمكن أن تتكامل فصولها بغير شاهدين : توثيق صامت ، مرجعه سجل مكتوب ، وتوثيق صائب دليله : شاهد عيان ، سليم العقل نقى الضمير ، ولأئنى لا أجد المزيد منهما ، فلن أجد الحجة المقنعة أو البرهان الساطع .

١٠-٣ قال كونفوشيوس : « رأيت ، ذات مرة ، طقوس عزاء للموتى من أجداد مملكة « لوكو » ، فما راعنى إلا أن رأيتهم قد جاءوا ببدع وضلالات ، تخالف المعهود والشرائع ، فما رأيت لهم طقوساً بعدها قط إلا ازدادت نفوراً ، وفكرت فى الانصراف ، فليس أظلم من انتهاك شرائع سرت فى العهود ، من الأزل ، ميثاق قداسة .

١١-٣ جاء رجل إلى كونفوشيوس وسأله عن المغزى الحقيقى فى إقامة طقوس تمجيد الأجداد ، فأجابه ، قال : « لا أدرى بأى شىء أجيبك ، لكن قصارى ما أستطيع أن أقوله لك ، هو أن من يدرك ذروة الحكمة فيها ، فقد أوتى حكمة الزمان أوله وآخره ، وصار عليماً بأحوال الدنيا والبشر ، كأنه يقلبها ها هنا » ثم أشار إلى كفيه .

١٢-٣ كان كونفوشيوس يقيم الصلوات على روح أجداده ، فبذل فى ذلك كل جهد ، بإخلاص واحترام ، فكان موتاه أحياء شهود . وكان إذا تقرب بقربان يتمثل الآلة أمامه ، تخصصى عليه أفعاله . ومما أثر عنه فى هذا المقام ، قوله : « حتى لو عرض لى عارض منعى من الصلاة والأضحية ، فذهب غيرى فأذاها

عنى لبقيت مسهداً تفرغنى الظنون ، ونفسى تحدثنى بأن مكنون القلب من تقوى وإخلاص لا يرتقيان معارج السماء بإنابة وسيط أو بتعهد وكالة .

١٣-٣ جاء وانغ سونجيا (أحد كبار القادة فى مملكة « ويغو ») إلى كونفوشيوس ، وقال له : « الناس تردد المثل السائر ، الذى مفاده أن : « الآلهة القرية أفضل من البعيدة ! والآلهة التى فى ركن حجرتك القرية ، أفضل من التى فى مطبخك (البعيد) » فما رأيك فى هذا القول يا سيدى ؟ ، فأجابه : « هذا هو الباطل بعينه ، لأن فكرة العبادة بحد ذاتها ، لا تتسق مع انتقاعات التفضيل والاحتقار بين مراتب الآلهة . إن المساس بجلال الاعتقاد إذا طال قدسية السماء ، فقد أبطل مغزى العبادة وقوّض ركنها الأعلى » .

١٤-٣ قال كونفوشيوس : « إن جملة الشرائع والدساتير التى جرت صياغتها فى مملكة « تشوغو » ، تعد أبرع ما جرت به الأقلام قاطبة ، فما تركت شيئاً مما خلفه الأقدمون فى دولتى « شيا » ، و« لين » إلا أخذته بنصيب وافر من الدرس والمراجعة ، فلهذا أقف منها موقف التبجيل ، بل النصرة والتأييد » .

١٥-٣ كان كونفوشيوس قد دخل أحد المعابد ، لأول مرة فى حياته ، وتصادف أن وافق ذلك ذكرى تأيين الدوق « چو » ، فما دلف من الباب ، حتى أخذ يرقب الطقوس الجنائزية ، ويسأل ويستفسر كل من يصادفه ، عما خفى عليه من أصول الصلوات والتراويل ، ثم إن أحد الحاضرين ، صاح (ساخراً)

وقال : « ويل لابن « شوليانغ مى » » يقصد كونفوشيوس « يدخل المعبد ، فيستقضى ويستخبر عن هذه وتلك ، ما أبعد ذلك عن أخلاق الدين ! » فسمعه كونفوشيوس ، وردّ عليه قائلاً : « على رسلك يا هذا ! لقد سألت حذراً من الوقوع فى خطأ ، واستفتيت درءاً لخطيئة ، وإنه لرأس العلم وركن الإيمان » .

١٦-٣ قال كونفوشيوس : « ليست الرماية سواعد مفتولة ، ونصبالاً مارقة عن الأقواس ، وإنما براعة فى التصويب وإحكام فى التسديد ، وانطلاقة واثقة فى قلب الهدف » .

١٧-٣ فى عهد مملكة « لوكو » أراد تسيكون أن يقضى على أحد الطقوس الشكلية التى اعتادت التضحية بكبش فداء فى مذبح المعبد ، عند أول كل شهر قمرى ، فلما بلغ الأمر كونفوشيوس على لسان تسيكون نفسه ، التفت وقال له : « لست أوافقك الرأي على ما تريد ، فالطقوس وإن بطل مغزاها ، باتت ركناً من العقيدة ، فحذار أن تقتل الناس فيما آمنوا به وإنك لحريص على رقاب الكباش ، وإنى لحريص على شعائر الدين وطقوس المعابد » .

١٨-٣ قال كونفوشيوس : « بذلت الطاعة والاحترام ، لرؤسائى وأولى الفضل من الناس ، كما اقتضت الأصول ، ثم قال القائل ، بأنه الرياء والتزلف ، فويل لحبث الظنون » .

١٩-٣ جاء الدوق « دينغ » إلى كونفوشيوس ، وسأله : « كيف ينبغي أن يكون الأمر بين الأمير ووزرائه ؟ » فأجابه : « على

الأمير أن يتخذ وزراءه حسب القواعد المتبعة ، وعلى ورائه أن يبدلوا له الإخلاص والتفانى .

٢٠-٣ قال كونفوشيوس : « فى كتاب « الشعر » قصيدة بعنوان : «كوان جيو» فهى أروع ما كتب شعراً ، تفيض عشقاً بغير تبذل ، وتفطر ألماً بغير نواح .

٢١-٣ جاء أيكونغ إلى الخطيب المفوّ « زاو » وسأله عن نوع الأخشاب التى يجب عليه تقديمها قرباناً فى معبد آلهة الأرض ، فأجابه ، قال « كان الحكام على عهد دولة « شيا » يستخدمون خشب الأرز ، أما حكام « إين » فقد استخدموا خشب السّنر ، ثم كان أباطرة أسرة « تشو » يفضلون خشب جوز الهند ، اعتقاداً منهم أنه يشير الإجلال والرهبة فى نفوس رعاياهم » وكان كونفوشيوس حاضراً ، فما سمع قول زاو ، حتى صاح فيه معاتباً : « الفطنة يا رجل . . أما علمت أنه لا جناح مع ما فات ولا موعظة لما انقضى ، فما هلك فى الدهر ، لا يجديه التحرز ، إذ مقارعة الماضى حكم بغير حكمة .

٢٢-٣ قال كونفوشيوس : « ما رأيت أحداً تقاعست به الهمة وتخاذلت به التطلعات مثل السيد « كوانججون » ❀ تولى رئاسة الوزارة فى دولة « تشينغو » القديمة ❀ ، فقام رجل ، وقال : « وما يدريك ، فعساه كان يضيق على نفسه وعلى بلاده ، خشية الإسراف مع ضيق الموارد » فأجابه : « لا ، بل كان أغزر الناس مورداً ، وبلاده يومئذ أغنى الممالك عدداً وعدة » ثم راجعه الرجل ثانية ، قال : « فلعله قد أغنت عنه حصافته

ومراعاته لأصول المعاملات ! » فأجابه المعلم : « ما أغنت الحصافة عن أحد شيئا ، وكيف يكون الرجل حصيفاً ، وقد رضى بأقل النجاح ، فتعاس عن بلوغ آفاق التطور والإنجازات الكبرى » .

٢٣-٣ قيل إن كونفوشيوس التقى بشيخ العزف والغناء فى دولة « لوكو » فتحدثنا عن الموسيقى ، فقال له كونفوشيوس : « إن الأساس فى عزف الألحان يتبع قاعدة معلومة ، فلا بد فى البدء من توافق الأداء ووفرة النغم ، ثم تلى ذلك مرحلة تطور العزف لتبلغ أتم عفوانها ، فيصيح الإيقاع ، ويشرق اللحن باذخا يصل انسجام الصوت بعنفوان الرنين ، يتجاوب فى الأفق . . نشوة انعقاد ، حر ، أصيل ، فاذا بلغ اللحن منتهاه ، وقف عند نقطة فى المدى ، تسمح لرجع الصدى ؟ أن يهمس فى الأسماع ببقايا لحن يعزفه السكون » .

٢٤-٣ أراد أحد القادة فى حصن بلدة « أيا » أن يقابل كونفوشيوس ، قال : « مامرّ بى رجل فاضل ذو علم واطلاع إلا كانت لى معه لقاءات وحوارات » . فذهب بعضهم إلى كونفوشيوس ، فاصطحبوه لمقابلته ، وذهب إليه وتحدث معه طويلا ، فلما خرج المعلم من عنده ، قال القائد للتلاميذ : « ما أعجبت إلا لسعيكم وراء أغراض زائلة ، وفيكم مثل الحكيم . لقد أصاب الدنيا شرّ وبيل ، طال به المكث بين ظهرانينا . وما أرى إلا أن إرادة السماء قد اصطفت لنا هذا الرجل ، لصحوة الضمائر وإيقاظ الغافلين » .

٢٥-٢ تحدث كونفوشيوس عن موسيقى الـ « شاو » التى وضعها
الامبراطور « شون » فقال : « إنها أعذب الألحان ، تعبيرا وأداءً
(وكان الامبراطور شون ، هو الذى نشر الأمان فى ربوع مملكة
آلت إليه بالسلم) وتحدث عن موسيقى الـ « آو » التى وضعها
الملك « أوانغ » ، فقال : « لابس بأدائها ، لكنها فقيرة
التعبير » .

٢٦-٣ قال كونفوشيوس : « إن رجلاً تقلد منصباً رفيعاً ، فظلم من
تحتة . وعرضت عليه آداب المعاملات ، فأبى واستكبر ، فلما
مشى فى جنازة ، خلع العذار والأحزان عن سيماء . . رجل
مثل هذا . . هيهات أن تمجد سيرته ، هيهات أن تحمد فعاله ،
فبشت الخصال والرجال » .

الباب الرابع

« ليران »

وجملته ستة وعشرون فصلا

١-٤ قال كونفوشيوس : « ليس أفضل من السُّكنى بجوار جار طيب النَّفس ، كريم الخلق ، فمن غفل عن ذلك ، فقد تناءت عنه الحكمة ، وتزاور عنه الرِّشاد . »

٢-٤ قال كونفوشيوس : « إذا فرغ قلب رجل من الإنسانية ، فلا الفقر يزجره ولا الغنى ينفعه ، فهو في الأولى مارق جاحد ، وفي الثانية مسرف باذخ ، فمن عمر قلبه بالرحمة ، توطدت في أعماقه نوارع الخير . واعلم أن العاقل من ابتغى إلى التراحم سيلا ، يجنى به نفعاً ، إن لم يكن غاية ، تحسّن بها صفاته ، وتكمل بها أخلاقه . »

٣-٤ قال كونفوشيوس : « الطيّبون فقط هم الذين يقدرّون على حبّ الخير وكراهية الشرّ . »

٤-٤ قال كونفوشيوس : « لو تكاثف الناس حول معنى الإنسانية ، لانتهى الشرّ من العالم . »

٥-٤ قال كونفوشيوس : « الثروة والمجد والجاه غاية كل فرد ، بشرط نزاهة الوسيلة . وإلا فإن العاقل لن يبتغى إليها طريقا ، أما المسغبة والفقر والإملاق ، فعنها تزوّر النفس الكريمة ، بشرط استقامة المسلك ، وإلا فإن الشريف الماجد لن يبالى الضعة

والهوان . ليس للكريم أن يلوث نقاء يده ، ولا للشريف أن يقصّر عن نبل مقصده ، وأصالة أخلاقه . وإلا فما النفع من الحياة بغير تلك الخصال ؟ ! ليس للعاقل أن يضيّع نزاهته ولو مات جوعاً ، ولو تشتت به السبل ، أو غمرته الدنيا بعاجل غوايتها .

٦-٤ قال كونفوشيوس : « ما رأيت فى حياتى قط امرأاً يحب الخير مخلصاً لوجه الخير ، ولا عرفت امرأاً يبغض الشرّ بغض الموت ؛ ذلك أن من أحبّ الخير بصدق ، اتخذته نبض قلب وروح وجود ، ومن بغض الشرّ ، تجنب حباله ، ولئن سئلت إن كان فى الدنيا كلها رجل يسلك اليوم كله من فجره إلى غسقه كادحاً صادقاً لمعنى الخير ، فقد قلت بأنى مارأيت مخلوقاً بهذا الوصف ، ولعله موجود يسعى حياً بيننا ، لكنى لم ألتق به حتى هذه اللحظة . »

٧-٤ قال كونفوشيوس : « إن هفوات النفس دليل على طباع المرء ومزاجه ، فأحياناً ما تكشف الأخطاء الصغيرة عن حقائق هائلة تختبئ خلف جدار النفوس . »

٨-٤ قال كونفوشيوس : « إن أدركت الحقيقة ذات صباح ، فلن أخشى أن يعاجلنى الموت فى المساء . »

٩-٤ قال كونفوشيوس : « إن صادفت ساعياً إلى العلم ، قاصداً إلى نور الحقيقة ، تخزيه رداة طعامه وشظف عيشه ، أمسكت عن محاورته ، فمثله غير جدير بعبء الدرس وعناء التحصيل . »

١٠-٤ قال كونفوشيوس : « كل أحداث العالم وشئونه لا تجديها التناولات بأقصى وجهات النظر : إما رفضاً مطلقاً ، أو قبولاً بغير شروط . فالعاقل من يحسن التدبير فى معالجة الأمور مسترشداً بمعيار التوسط (الاعتدال) والأخلاق . »

١١-٤ قال كونفوشيوس : « الشريف بما كملت أخلاقه ، والدنى بما

اغترف من المال وبهجة العيش ، والماجد من اهتدى بأصول
الأعراف ، وأما الذليل فيجتري عدواناً ، ثم يستجدي العفو
وصفح الصدور .

١٢-٤ قال كونفوشيوس : « من يجعل منفعته غاية أمله ، يجلب
على نفسه الحسرة والندم . »

تساءل كونفوشيوس : « ألا يمكن اتخاذ الأخلاق السامية
أساساً للحكم ؟ ! أهو أمر يعسر على التطبيق في الواقع ؟
ولئن كانت الحال كذلك ، فما نفع المبادئ ، وما جدوى
الفضائل ؟ ! »

١٤-٤ قال كونفوشيوس : « إن تقلد المناصب المرموقة ليس هو
المشكلة ، وإنما امتلاك الجدارة لاستحقاق القيام بأعبائها هو
المحك والأساس ، وليست الشهرة بالشئ المهم ، فالأهم منها
هو حاصل القدرة المبدعة بالتمكن التام ، عن طريق المهارة
الواعية ؛ إذ إنها الركيزة والأساس . »

١٥-٤ قال كونفوشيوس محدثاً أحد تلاميذه : « أى سنشن .. اعلم
أن كل أفكارى تنبع من مبدأ واحد . وكل كلمائى تنتظمها كلمة
واحدة لا أكثر . » فأجابه ، قال : « صدقت ياسيدى .. هو
ذاك . » فما خرج المعلم ، حتى أقبل باقى التلاميذ يستفسرون
من سنشن عن معنى قول الفيلسوف ، فأجابهم ، قال :
« المغزى فيما قال إنه فلسفته كلها تصدر عن مبدأ خلاصته :

١٦-٤ الإخلاص والتسامح . »

قال كونفوشيوس : « النبيل لا يسعى إلا للفضائل ، رفعة

- ومجدداً ، والحقير لا تحدوه إلا منفعته ، أنانية وجشعاً . «
- ١٧-٤ قال كونفوشيوس : « تتعلم من النبيل مكارم أخلاقه ، راقبه واحتذ حذوه ، وتعلم من السفيف نقيض أفعاله ، راقبه وراقب نفسك واسلك غير طريقه . »
- ١٨-٤ قال كونفوشيوس : « قم على رعاية والديك بالحسنى ، فإن صادفت منهما ما يستوجب النصيح ، فانصح لهما ، لكن بتأدب شديد واحترام جم . فإن ألفيت منهما نفوراً وازورارا ، فعليك أن تحترم مسلكهما ، على أى وجه كان ، وابدل روحك لأجلهما بتفان ، فإياك وبغض الوالدين . »
- ١٩-٤ قال كونفوشيوس : « لا يحق للأبناء أن يسهدوا جفن والديهم بعذاب السفر والرحيل بعيدا عنهم ، فإن لم يكن بد من داعى السفر ، فليكن لهم خارج أوطانهم مقار سكنى دائمة ، لأجل أن تقر عين ذويهم . »
- ٢٠-٤ قال كونفوشيوس : « إذا بقى الابن يواصل عمل أبيه المتوفى ، ويصل ذكراه فى الدنيا ، على مدى آجال طويلة ، فهو جدير بلقب الابن البار المخلص . » (١٣)
- ٢١-٤ قال كونفوشيوس : « لا ينبغي للأبناء أن يغفلوا عن عدد سنى حياة والديهم ، فهو أمر يشيع السعادة مثلما يجلب القلق معاً فهو خير ، إذا كانت الصحة تاجا والعافية تزين الجبين ، وقلق إذا ما رذل العمر وأزفت الشيخوخة . »
- ٢٢-٤ قال كونفوشيوس : « لم تكن عادة القدماء أن يقطعوا على أنفسهم العهود بسهولة ؛ إذ المحك ليس فى تقديم الوعود ،

وإنما في الوفاء بها . »

٢٤-٤ قال كونفوشيوس : « من النادر جداً أن يكون الإفراط في

الحرص أو المغالاة في الحذر سبباً للوقوع في الخطأ . »

٢٥-٤ قال كونفوشيوس : « العاقل من زاد فعله عن قوله ، والذكي

من تعجل الفعل ، وتمهل القول . »

٢٦-٤ قال كونفوشيوس : « ما كانت العزلة قط ممن مكارم

الأخلاق ، بل الفاضل من اتخذ الصاحب والصديق . »

٢٦ - ٤ قال زايو : « التكلف في خدمة الأمراء مجلبة للهوان ،

« كونغ إيشانغ »

وجملته ثمانية وعشرون فصلا

- ١-٥ والتصنع في معاملة الأصدقاء حماقة لا تجلب إلا الخسران .
ما برح كونفوشيوس يذكر تلاميذه بالخير ، حتى قال ذات مرة
عن كونغ إيشانغ ^(١٤) : « هو رجل حسنت صفاته ، حتى أتى
أمن على ابنتى زوجة له . » ذُكرَ له أن كونغ إيشانغ هذا ،
كان نزيل سجون ، فأجاب : « فلا بد أنه قدر حل به فلم يملك
له دفعا . » ثم أنه عقد له على ابنته فعلاً .
- ٢-٥ تحدث كونفوشيوس عن تلميذه « نان رونغ » ، فقال : « هو
رجل ذو همة في وقت الجِدِّ ، وذو هيبه والناس لثام . » ثم إنه
عقد له على ابنة أخيه الأكبر وزوجه بها .
- ٣-٥ تحدث كونفوشيوس متمدحاً أخلاق تلميذه زيجيان ^(١٥) ،
فقال : « هو رجل اجتمعت فيه الفضائل : خلق وكياسة ،
فعجباً لمن سبَّ أهل مملكة « لوكو » وذمَّ أخلاقهم ، فما استقام
الخير إلا في أهله . »
- ٤-٥ جاء تسيكون إلى كونفوشيوس ، وسأله : « قد قلت رأيك
في كل واحد من تلاميذك ، فكيف ترانى ؟ » فأجابه : « إن
كان يوصف الرجل بأنه حكيم عاقل ، فأنت بذاتك الحكمة . »

فسأله : « وكيف ذاك ياسيدى ؟ » فقال : « قد نظرت فما رأيت أحداً أكثر دراية منك بأمور الحكم فى طول البلاد وعرضها . »

٥-٥ جاء أحدهم إلى كونفوشيوس ، وقال له : « أرى أن تلميذك « ران يونغ » ، برغم تواضع أخلاقه وأدبه الرفيع ، لكنه يفتقد دقة المنطق وطلاقة اللسان . » فأجابه : « ليست لبقاة اللسان ميزة فى كل الأحوال . فكثيرا ما يكون ذلك سببا فى استجلاب كراهية الناس ومقتهم ، ولا أدرى إن كان « ران يونغ » مهذب الخلق أم لا ، لكن فصاحة البيان هنا لا تستأهل أى قيمة . »

٦-٥ أسند كونفوشيوس إلى تلميذه شيديا وكاي (١٦) إحدى الوظائف الرسمية الرفيعة ، فاعتذر الرجل عن قبول ذلك قائلا : « لست أجد نفسى مؤهلا لمثل هذا المنصب . » وبرغم ما فى الرد من جفاء الرفض ، إلا أن المعلم تهلل فرحاً بما احتواه المعنى النبيل من صراحة وصدق مع النفس . »

٧-٥ قال كونفوشيوس : « لو لم يكتب لأفكارى الصمود ، لركبت قاريا خشبيا ، وجبت البحار والأرض ، ولن أجد من يتبعنى حينئذ سوى السيد « كونغ يو » . » ثم إن هذا الأخير تهلل حماسا وفرحاً ، فقال له كونفوشيوس : « على رسلك يارجل ، إن شجاعتك تغريك ، وحماسك للمغامرة وركوب الأهوال تتجاوز حماستى أضعافا . فهلا ثمهلت . فإنها ليست مما يستسيغه العقل الراجح . »

٨-٥ جاء « منغ أوبو » (١٧) إلى كونفوشيوس ، وسأله عن أخلاق

الرجل المسمى « ريلو » فأجابه ، قال : « لا أعرف عن ذلك شيئا . » فأعاد السائل سؤاله ، فأجابه : « إن الرجل الذى سألت عنه يملك المقدرة أن يصبح قائد فرقة عسكرية قوامها ألف عربية مقاتلة ، هائلة العدد والمؤونة . أما أخلاقه فلا علم لى بها فسأله منع أوبو ثانية : « فما رأيك إذن فى السيد « رانشيو » (١٨) ، فأجابه كونفوشيوس : هو يستطيع أن يصبح حاكم مدينة تقطنها آلاف الأسر ، أو إقطاعية كثيرة الثروة والنماء ، أما سلوكه الشخصى ، فلا علم لى به . » ثم سأله ثانية : « فما رأيك إذن فى كونغشى تشى (١٩) ؟ » فأجابه : « إنه لا يحتاج إلا إلى رى أحد رجال البلاط من المختصين بالشئون الخارجية فيستقبل الضيوف والبعثات الأجنبية ؛ إذ إن لديه الموهبة والمقدرة معاً فى هذا المجال . أما أخلاقه وفضائله ، فلا أدري عنها شيئا ، ولا أبالى . »

٩-٥ أقبل كونفوشيوس على تسيكون ، فسأله : « أيكما الأحسن ، أنت أم « يان هوى » (٢٠) ؟ » فأجابه : « وكيف لمثلنى أن يبلغ مثل هذه الدرجة ؟ أما علمت أن « يان هوى » رجل ذكى العقل ، متوقد الذهن ، يبلغ مقصدك قبل أن تنتهى من كلامك ! أما توآنغوسى .. الذى هو شخصى المتواضع البسيط . فهيهات أن يبلغ هذا . » فقال له المعلم : « الصدق ماقلت ، حقا ، شتان ما بينكما . »

١٠-٥ كان « رايو » أفصح تلاميذ كونفوشيوس ، تأخذه سنة من النعاس أثناء دروس النهار ، وهو المقوه البارع الذى اشتهر بدعوته إلى الجهد والتحصيل ، فلاحظ المعلم ذلك ، وقال :

« إن الأخشاب العفنة لا تصلح للنحت والزينة . مثلما أن
نفايات الرمل والحصى لا تقيم جدارا صلباً متماسكا ، ولطالما
نصحت لـ « زاو » وعنفته كثيرا فما ارعوى . » ثم أضاف
قائلا : « كنت فيما مضى يعجبني قول المرء ، فأظن أن عمله
مطواع للسانه ، أما الآن فلا آخذ من القول إلا ما صدقه
العمل ، فبسبب « زاو » بدلت مواقفي وأفكاري . »

١١-٥ قال كونفوشيوس : « ما صادفت في حياتي قط امرأة أقوى
الإرادة نافذ العزيمة . » فآلمح له بعض الحاضرين أن تلميذه
« شن جان » يستحق أن يوصف بالشجاعة ^(٢١) لشدة شكيمة ،
فأجابهم المعلم ، قال : « بل إن شن جان هذا ، يتبع هوى
نفسه ، وتسيطر عليه أنانيته ، فكيف لرجل هذه صفته أن يتحلى
بالعزم والإرادة . »

١٢-٥ قال تسيكون : « ما أحببت قط أن ينالني أحد بشئ أكرهه ،
كما قد عاهدت نفسي ألا أنال أحداً بسوء . » فقال له
كونفوشيوس : « أى . . دواغوسى ، وإنه لأمر يعجزك ، فما
أراك قادرا على ما انتويت . »

١٣-٥ قال تسيكون : « لقد حدثنا أيها المعلم ، عن الأدب القديم ،
فأفضت وبينت ، لكنك لم تفسّر لنا طبيعة البشر والوجود . »

١٤-٥ كان أحد رجال كونفوشيوس إذا تعلم شيئا ، وعجز عن
تطبيقه أخذ نفسه بالشدة ، فما أقدم على درس جديد إلا إذا فقه
ووعى ما قبله . »

١٥-٥ أقبل تسيكون على كونفوشيوس وسأله : « لأى سبب منح
السيد كون ونزى « لقباً فخرياً بعد وفاته ؟ » فأجابه :

« كان الرجل ذكياً نابهاً محباً للعلم ، وزاده التواضع رفعة ،
فما استنكف أن يستوضح أمراً عن هم دونه ؛ فما أراه جديراً
إلا بما نال . »

١٦-٥ تحدث كونفوشيوس عن تلميذه « زيشان » (٢٢) ، فقال : « به
أربع خصال تؤهله للسؤدد والشرف : التواضع الجهم ، التفانى
والاحترام فى سلوكه مع رؤسائه ، الاخلاص والعطف فى
معاملاته مع مرؤوسيه ، العدالة والنزاهة فى تصريف شئون عامة
الناس . »

١٧-٥ قال كونفوشيوس : « لم أر قط فى حياتى رجلاً يجيد حفظ
الصديق مثل « يان بين جونغ » (٢٣) ؛ لا تبدله الأيام ، ولا
الزمان ينال من كثر وفاته . »

١٨-٥ قال كونفوشيوس : « بلغنى أن الوزير « سان أولجون » (٢٤)
قد اقتنى فى بيته سلحفاة نادرة فخصص لها غرفة كبيرة ،
وأحاطها بما يشبه السياج الطبيعى ، مزيناً بأشكال الورود
والنباتات وصنوفه مزخرفة على هيئة مناظر التلال والوديان ...
وانى لاتساءل : إن لم يكن ذلك البذخ هو الحمق والغباء
بعينه ، فماذا عساه يكون ؟ »

١٩-٥ جاء « ريجانغ » إلى كونفوشيوس ، وسأله : « لئن كان
الوزير « زوين » فى عهد دولة « تشو » قد تقلد عدة مناصب
قيادية ، إلا أنه لم يتهلل فرحاً بذلك ، فلما أقيل من وظيفته
ثلاث مرات ، لم يحزن ، بل كان يحرص على تسليم مهام عمله
بنفسه إلى خلفه الجديد فما قولك فى رجل كهذا ياسيدى ؟ »
فأجابه المعلم : « هو رجل مخلص لعمله ووطنه . »

فقال زيجانغ : « هل يمكن اعتبار ذلك من علامات التسامح وكرم الأخلاق ؟ » فأجابه : « لا أعرف ، ولكن كيف يمكن اعتبار تلك الخصال تسامحاً ؟ » ثم سأله السائل ثانية : « لما اعتدى « تسوى جو » على النبيل « تشى جوانغ » ، وقتله فإن المدعو « شن أون » - أحد أشهر الأثرياء - ترك أمواله وخيوله المرسجة ، وغادر بلاده ، فلما انتهى به الترحال إلى إحدى البقاع نظر وقال : « إن الناس هنا جميعاً على شاكلة القاتل » « تسوى جو . » قال : « والسادة هنا أيضاً إخوة القاتل « تسوى جو » . » فقام وخرج يضرب فى القفار البعيدة ، فما رأى فى هذا الرجل ياسيدى ؟ » فأجابه كونفوشيوس : « رجل شريف ، نقى الضمير . » فقال زيجانغ : « أيمكن اعتباره رمزاً للخلق الكريم والإنسانية ؟ » فأجابه : « لا أدري ، ولكن أين ذلك من معنى الإنسانية ؟ ! » .

٢٠-٥ كان جيونزى (وزير فى دولة « لوكو) يتردد كثيراً عند اتخاذ قراراته ، ويتفكر ملياً حتى تشتد عليه الحيرة ، فلما بلغ ذلك كونفوشيوس ، نصح له قائلاً : « يكفىك أن تراجع أى قرار مرتين اثنتين فقط . »

٢١-٥ قال كونفوشيوس : « عجباً للسيد نينغ أوتسى (٢٥) ؛ فهو حكيم الزمان إذا هدأت الأحوال ، وانتشر السلام ، فإذا اضطربت البلاد والممالك ، ادعى الحق والجهالة (فيشور ليحمى ، ويتهور ليدافع عن بلاده) ، وإن حكمته لقريبة ، وذكائه مثال يحتذى ، أما مقدرته على ادعاء حماقة والجنون ، فتلك مالا سبيل لأحد بفهمها وإدراك أغوارها . »

٢٢-٥ كان كونفوشيوس قد طال به المقام فى دولة « تشن » ، وقد مرّ عليه زمان بلا طائل ، فتنهد حسرة وقال : « ما عاد لى أن أبقى ها هنا ، فالعودة العودة ؛ فقد تركت فى موطنى « لوكو » أنبغ الطلاب ، وأحرصهم على بلوغ ذروة المجد ، وفى ملكتهم الأدبية سعة من علم ، وفيض من همة ، فويل لى إن تقاعست عن تمهيد الطريق ومداية السالك . »

٢٣-٥ قال كونفوشيوس : « لقد تمكن كل من « بويى » ، « وشوتس » ^(٢٦) من التسامح وتطهير القلب من الضغائن ، فلاجل ذلك احتميا من غليل الصدور إلا قليلا . »

٢٤-٥ قال كونفوشيوس : « من ذا الذى زعم بأن السيد ويشنكاو ^(٢٧) صدوق صريح ، فقد جاءه يوما من سألّه أن يقرضه زيت الطعام ، ولم يكن عنده شيء منه ، فاستكبر أن يعرف عنه الإملاق ، فاقترض من جاره ، وأعطى السائل ما سأل . »

٢٥-٥ قال كونفوشيوس : « ثلاث خصال كان يلزمها الماجد الفاضل تسوشومينغ (أحد رجال البلاط فى مملكة « لوكو » ، كان معاصرا لكونفوشيوس) وكذلك أذمها أنا ، واستصغر من اتسمت بها أخلاقه : قول ظاهره معسول ، وباطنه سم نافع ، ووجه رائف ، يقطر بشاشة ويخفى ضغائن ، وتبجيل مسرف ، يوحى باحترام صادق ، ونحوشه دواهى الفتن والكراهية ، وما ذمّ « تسوشومينغ » أحدا كمن تقنع بالود وطيب المعشر ، بينما سريرته مترعة بالحقد وسوء الظن ، فبئست الخصلة ومن تحلى بها . »

٢٦-٥ اجتمع كل من يان يوان وزيلو فى حضور كونفوشيوس ، فقال لهم : « ألا يخبرنى كل منكما لتطلعاته وأهدافه فى الحياة ؟ » فقال « زيلو » قد آليت على نفسى أن أقتسم كل ممتلكاتى مع أصدقائى ، وأن أظهر من الأنانية ، فلهم مثل مالى من المركبات المطهّمة والخيول المرسجة ، ينعمون بحقها كاملاً ما أصلحوها ، فإن أفسدوها ، ما تبرمت ولا اشتكيت . قال « يان يوان : « أما أنا فقد عاهدت نفسى ألا أتعالى بفضل أو أتباهى بمكرمة . » ثم إن زيلو دار بالسؤال على السائل ، إذ قال لكونفوشيوس : « فهلاً أبلغتنا أنت ياسيدى بفلسفتك فى الحياة ؟ فأجابه : « غاييتى دائماً أن يجد الكبير ملاذ حياة آمنة ، وأن يتواصى الصديق بصديقه ودّاً وثقة ، وأن نحيط صغارنا بكل رعاية واهتمام . »

٢٧-٥ قال كونفوشيوس : « وا أسفاه ، ما صادفت فى حياتى قط من اعترف بنقائصه أو أقر بأخطائه أملاً فى مراجعة النفس والضمير . »

٢٨-٥ قال كونفوشيوس : « لست قديسا ولا نابغة زمان ، وإنما أنا واحد من آلاف مؤلفة لا يخلو منهم موضع على وجه الأرض ، حتى لو كانت قرية نائية يسكنها رهط من الناس ، فلا بد أنك ملتق فيها بكونفوشيوس آخر ، لا فرق بينى وبينه ، سوى أنى مازلت حريصا على تحصيل العلم والدراسة . »

الباب السادس

« يونغى »

وجملته ثلاثون فصلا

١-٦ قال كونفوشيوس : إن ما علمته من سجايا النبيل الشريف رانيونغ^(٢٨) يحملنى على أن أرشحه ليرتقى أرفع منصب رسمى بجدارة .

٢-٦ جاء رانيونغ إلى كونفوشيوس ، وسأله رأيه فى زيسانغ بوتسى فأجابه : « لا بأس به ، فهو رجل بسيط ومتواضع . » فقال جونكون : « إذا اتصف الرجل بثبات الفكر وقوة العزم ، مع ميل واضح فى سلوكه إلى التبسط والاعتدال ، فهذا ما يشهد له بالكفاءة ليتولى مقاليد الحكم . أما التبسط والتواضع بغير حزم ووعى وجدية فلا يشفعان بجدارة القيام على شئون الناس والتزام حد المسؤولية . » فقال كونفوشيوس : « الحق ما قاله رانيونغ . »

٣-٦ جاء النبيل ايكونغ من دولة « لوكو » ، وسأل كونفوشيوس : « من أكثر تلاميذك حبا للعلم ؟ » فأجابه : « إنه الذكى النابغ « يان هوى » ، ولقد جمع فى شخصه بين الاجتهاد فى التحصيل

والتحلى بمكارم الاخلاق ، فحاز العلم والفضائل فى جدية
دارس ونبالة فارس ، فما ارتفع صوته حائقا فى وجه أحد ،
ولا وقع فى خطأ واحد مرتين ، لكن الموت عاجله وهو بعد فى
الثلاثين ، فما عدت أجد له الآن نظيراً .

٤-٦

كان كونفوشيوس قد أرسل « كون شيهوا » (٢٩) إلى
مملكة « تشينغو » فى إحدى المهام الرسمية الطارئة ، وراح
« رانيو » إلى كونفوشيوس راجياً إياه أن يرسل شيئا من الغلال
والدقيق إلى بيت كون « شيهوا » ، حيث تقيم والدته ، فقال
له : « اعطها إذن ، أربعاً وستين كيلة من القمح . » فطلب
إليه « رانيو » أن يزيد قليلا ، فسمح له المعلم أن يضيف أربعاً
وعشرين كيلة أخرى . ثم إن « رانيو » تصرف من تلقاء نفسه
وأعطى ثمانى آلاف كيلة ، فلما بلغ ذلك كونفوشيوس ،
قال : « لما كان كون شيهوا فى طريقه إلى مملكة « تشينغو » ،
فقد كانت ركائبه ، تشمل : جياد مسرجة وعربات مطهّمة ،
بينما كان يرفل فى ديباج ورغد عيش ، وقد قيل فيما مضى بأن
الماجد الكريم ، هو من أعان المعسر ذا الحاجة ، وليس من أتخم
معدة الأغنياء . »

٥-٦

كان كونفوشيوس قد تقلد منصبا رسميا فى إحدى المقاطعات
الحكومية فأصدر أمراً بتعيين تلميذه يوانس (٣٠) حاكماً عاما ،
وأمره بتسعمائة كيلة من الحبوب والغلال ، فاعتذر عن قبولها ،
فقال له كونفوشيوس : « عندما تقضى اللوائح الرسمية بإمداد

نقدى أو غذائى فليس من الاوفق إلغاؤه أو التنازل عنه كلية ،
وإنما من الأصوب قبوله أو التبرع به إلى من هم فى أمس الحاجة
إليه . «

٦-٦ قال كونفوشيوس لتلميذه « جونكون » : « هل تأملت صغار
الغزلان ، بقرونها الصغيرة المشرعة ، وجلدها الطرى الأملس
.. ترى لو أعفيناها من مذبح القربان ، فهل تعفيها الآلهة من
قدر الموت هلاكًا ! »

٧-٦ قال كونفوشيوس : « كنت أرقب تلاميذى عن كثب ، فلم
أجد سوى « يان هوى » أكثر التزاما ووفاء للمبادئ الإنسانية ،
فهكذا رأيت مصير المبادئ بين الناس : قلة مشابرة يطويها
الزمن ، وكثرة لاهية ما زالت تزداد أبدا . »

٨-٦ جاء جيكانزى إلى كونفوشيوس ، وسأله : « هل ترى أن
السيد « جونيو » يصلح للاضطلاع بمهام رسمية ؟ » فأجابه
المعلم : « لا بأس به أبدا ، فهو الحازم السديد . » ثم سأله
ثانية : « وهل يصلح لها السيد « دوانغوسى » ؟ » فأجابه :
« أجل ، وإنه لأفضل من يضطلع بها ؛ فما رأيت أحداً فى
مثل كياسته وفطنته . » فسأله ثالثة : « وما رأيك فى السيد
« رانشيو » أترأه يصلح للقيام على شئون الحكم وأعباء
المسئوليات الجسام ؟ » فأجابه : « قد عرفته واسع الحيلة ،
سريع البديهة ، حسن التصرف ، وإنها لمزية تفضل كل المزايا .
ورجل هذا شأنه ، يصير هو الأنسب والأقدر . »

٩-٦ أرسل شيخ عائلة « جيشى » إلى السيد ميتزيشيان^(٣١) يرجوه

أن يرشح نفسه محافظا لاقليم « فيدى » ، فقال زيشيان للرسول الذى جاءه بفحوى هذا الأمر : « أبلغ سيدك اعتذارى ، وقل له ، عن لسانى ، قولا كريما ، فإن أعادك إلى ثانية بالرسالة نفسها ، فسأقوم إلى هذا البحر أمامك - يقصد نهر ونشيو - أمتطيه وأعبر إلى الشاطئ الآخر ، وامكث هناك ، فلا أهبط أرضكم أبدا . »

١٠-٦ لزم « بونييو » ^(٣٢) الفراش مريضا ، وساءت حالته كثيرا ، حتى أشرف على الموت ، فعاده كونفوشيوس ، فلما رآه ، مد إليه يده من خلال النافذة ، فشَد على يديه وهو يتمتم قائلا : « لا أرى إلا أن الموت سابق ، والحياة تزول ، وإنما هى آجال مقدرة فى كف السماء ، فلا تنزل المحن إلا بالأخيار ، ولا تفتك المنايا إلا بأحسن الرجال . »

١١-٦ قال كونفوشيوس : « ما رأيت أحداً قط فى مثل كرم أخلاق » يان هوى : « بسيط العيش ، قانع بلا ضجر ، تكفيه كسرة خبز وشربة ماء ، ولا يستنكف أن يزوى إلى كوخ خشبى متواضع ، يطبق من الحياة ما لا يطيقه الناس ، فلذلك استحق منهل نعيم لا ينضب ، ولذة سعادة غامرة ، لا تفيض على أحد غيره من الناس . »

١٢-٦ جاء « رانشيو » إلى كونفوشيوس وقال له : « لقد قررت أن اتراجع ياسيدى ، ولا يعنى هذا أنى أرغب عن حكمتك وأفكارك ، وإنما تقصر همتى وتفتقر قوتى عن أن أواصل قدما على الطريق . » فقال له كونفوشيوس : « خذلك بيانك يا

رجل ، وأردت غير ماقلت ، فالعاجزون حقاً ، هم الذين يتوقفون عند منتصف الطريق ، إذ يعسر عليهم المسير ، أما أنت فلم تضع قدمك على الطريق بعد . . . فلا حكم بغير معيار ، ولا تقدير إلا بتجربة . »

١٣-٦ قال كورنوشسيوس لـ « زيشيا » ، وهو ينصح له : « اعلم أن طالب العلم نوعان : واحد يسعى للهداية بشرف العقل وسمو الروح معاً أملاً في قبس من حقيقة ، وواحد يسعى للستجمل بوقار زائف رياءً وتكلفاً ، فاختر لنفسك أحسن طريق . »

١٤-٦ حدث أن تقلد « زاو » ، تلميذ كورنوشسيوس ، منصب الحاكم العام بولاية « أوتشنغ » ، فسأله المعلم قال : « حدثني عن مرؤسيك هل وجدت بينهم أحداً ذا كفاءة ؟ » فأجابه : « هناك واحد اسمه : دانتاي مينينغ ^(٣٣) ، ما جربت عليه خيانة قط ، مستقيم الخلق ، ليس بالماكر ولا بالمرآوغ ، لا يطرق بابي إلا لضرورة تمليها واجبات الوظيفة الرسمية . » ^(٣٤)

١٥-٦ قال كورنوشسيوس : « لم أعهد السيد « منغ جيفان » (مسئول عظيم في دولة « لوكو ») مختالاً متكبراً ، يباهى الناس بخصاله ، وإن مافعله يوم انسحاب الجنود خير دليل على ذلك ؛ إذ دارت الدائرة على الجيوش ، فانهزمت وتقهقرت عائدة ، وظل هو وسط الصفوف يحمي وينظم انسحابها ، فلما دخلت الأفواج بوابة المدينة ، وبقي هو في المؤخرة ، جعل يحدث فرسه ، ويقول للناس : « لا تظنوا بي الشجاعة أن كنت آخر العائدين ، وإنما هو حصاني الهزيل ، لا يقوى على السير ! »

١٦-٦ قال كونفوشيوس : « أساس المرء جمال وبلاغة ، أى أخلاق حسنة ولسان كريم ، فإن رأيت أخا الفضائل ، مثل الأمير جاو (٣٥) بأخلاقه الملكية الكريمة وصفاته المثلى ، قد أشبه الشيخ جوتو (٣٦) ، بلسانه الحاد وقلبه الغليظ ، فقد أوشكت السماء أن تنطبق على الأرض ، وقل على الدنيا السلام . »

١٧-٦ قال كونفوشيوس : « كيف للناس تسير بغير سبيل هدى ، كيف للسالك أن يهتدى بغير دليل وطريق ! »

١٨-٦ قال كونفوشيوس : « إذا طغت البساطة على التأنق ، كانت السوقية الرعناء هى سيدة الموقف (٣٧) ، وإذا تجاوز التأنق حد البساطة ، أصبحت السطحية الجوفاء هى العنصر المسيطر ، فاعلم أن العاقل من يتميز لنفسه الحد الأمثل والمنزلة الوسطى . »

١٩-٦ قال كونفوشيوس : « بغير الشرف والاستقامة ، لا يستطيع الماجد الكريم أن يشق طريق حياته قدما وصعدا ، فائزا موفقا ، ولئن كان الأشقياء ، هم أيضا ، يملكون أحيانا القدرة على البقاء طويلا ، فذلك لا يحدث إلا بالخط السعيد أو بمحض المصادفة ! »

٢٠-٦ قال كونفوشيوس : « ليس من فهم العلم كمن أحبه ، وليس من أحبه كمن أسعده أن يهب حياته كلها لأجل تحصيله وتعليمه لبنى البشر . »

٢١-٦ قال كونفوشيوس : « لكل إنسان طاقته الذهنية واستعداداته الأولى ، لذلك لا يقدر على فهم منطق العلوم الفائقة ، وسبر أغوارها العميقة إلا عبقرى موهوب ، فإذا أعطيت أسرار علومك لغير النابهين فقد زرعت بغير جنى . » (٣٨)

٢٢-٦ جاء فانث (٣٩) إلى كونفوشيوس وسأله : « كيف لمن أراد القيام على شئون الناس أن يبلغ الحكمة ؟ » فأجابه : « عليه أن يلزم نفسه والناس طريق العدالة والأخلاق ، وأن يحترم العقائد بإجلال يتناسب مع وقارها ، دون شطط إلحادى أو إيغال مترمّت . » ثم سأله ثانية : « وكيف السبيل إلى مكارم الأخلاق ؟ » فقال له : « بأداء ما عليك قبل أن تطلب ما هو لك ، وبأن تبذل تمام جهد العمل ، قبل أن تسعى إلى لذىذ ترف الراحة . »

٢٣-٦ قال كونفوشيوس : « الأذكىاء يحبون الأنهار ، لكن الطيبين يحبون الجبال . الأذكىاء يتدفقون نشاطاً وحيوية ، أما الطيبون فيميلون إلى الدعة والهدوء . الأذكىاء مرحون دائماً ، ويتمتعون بكل لحظة فى عمرهم ، الذى ينقضى سريعاً ، بينما أن الطيبون غالباً ما يعمرّون طويلاً . »

٢٤-٦ قال كونفوشيوس : « تحتاج مملكة « تشى » أن تعُدل من مجمل قواعد سياساتها العامة ، لكى تتمكن من اللحاق بمملكة «لوكو» - فى ظروفها القائمة حيثئذ - بينما تحتاج مملكة «لوكو» (للمفارقة !) أن تغيّر كل أسس فلسفتها الحاكمة لتبلغ المبدأ الأول الصحيح لمعنى الشرف والنزاهة . »

٢٥-٦ تنهد كونفوشيوس متحسراً ، وقال : « لقد تغيرت كثيراً طقوس وشعائر ، طالت البدع أركان المعابد مثلما انتهكت جدران اللهو والترف ، وفرغت كنوس الراح مثلما انطفات شموع التراتيل من أزمان غابرة ، فوا أسفا على من يضيّعون

تراث مجد مؤثّل أو تهون عليهم تقاليد ماض عريق . «
جاء زايبو إلى كونفوشيوس ، وسأله : « ما صفات الرجل
الشريف الطيب ؟ أترى هو الرجل الذى إذا قلت له إن واحدا
من الناس سقط فى البئر ، شمر عن أكمامه ونزل لينقذه فى
الحال ؟ » فردّ عليه المعلم ، قال : « وما الذى يحمله على مثل
هذا التصرف ؟ ! إن الطيب ذا المروءة سيفكر معك فى طريقة
ناجحة لانقاذ المكروب ، دون أن يلقي بنفسه فى التهلكة . فربما
تستطيع الكذب على الطيبين ، لكنك لا تقدر أبدا أن تجعل منهم
أضحوكة . »

قال كونفوشيوس : « من تعمق فى مطالعة سجلات التاريخ ،
ونهل من معين أدبى عريق ، ثم تحصن بمبادئ الخلق القويم ،
فقد عصم نفسه من الانحراف عن جادة الصواب والعدل
والإنسانية . »

ذهب كونفوشيوس فى زيارة شخصية إلى السيدة نانزى (٤٠)
فاعترض تلميذه « زيلو » على القيام بهذه الزيارة ، وساورته
الظنون فبلغ ذلك كونفوشيوس ، فأقسم على مسمع ومرأى من
الناس ، قائلا : « ليس لمثلّى أن يرتكب حماقة أبداً ،
ولتسحقنى السماء لو فعلت ، وعين السماء ترى وتشهد مكنون
الخفاء . »

قال كونفوشيوس : « إن الاعتدال هو تاج الفضائل ،
والتوسط هو خير الأمور جميعها ، وقد مرّ على الناس زمان
وهم فى غفلة عن تلك الحقيقة . »

جاء تسيكون إلى كونفوشيوس ، وسأله : « ماذا لو عرفت أن رجلا بذل كل ما يملك لأجل إسعاد الناس ، والعمل على راحتهم ، أترأه جديرا بأن يوصف بالكرم والمروءة ؟ » فأجابه المعلم ، مستدركا : « بل بما يفوق الكرم والمروءة فلإنما هو قديس ، أو ملاك طاهر ، لا يدانيه في ذلك الشيخان : « ياو » و « شون » ^(٤١) بما عرف عنهما من مروءة وحكمة ، فالكريم تتسع همته للجميع ، ويغمر بفضله آلافا مؤلفة ، ويعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به ، فتلك هي خصال الكرم وعلامات المروءة . »

الباب السابع

« بشوآريوتزو »

وجملته ثمانية وثلاثون فصلا

- ١-٧ قال كونفوشيوس : « لأن يعرفني الناس ناقلا ومفسرا لكتب التراث القديم ، أفضل عندي من أن يعدوني مؤلفاً أو مبدعا فوضويا ، ولقد كان شغفى وإخلاصى للثقافة القديمة ، هو الذى يعطينى الحق فى أن أضع نفسى فى مرتبة موازية لكل من لاوتسى (٤٢) و «بنغ زو» . » (٤٣)
- ٢-٧ قال كونفوشيوس : « لطالما كنت أسائل نفسى حول ثلاثة أمور أساسية فى حياتى : أولها : هل استطعت أن أغلق فى سريرتى كل خزائن الأسرار بكل ما وعت مما رأيت وسمعت من حولى . وثانيها : هل أفلحت فى أن أبقي طوال الوقت طالبا للعلم مجتهدا فى التحصيل إلى ما لانهاية . وثالثها : هل نجحت فى أن أقف طويلا إلى منصة المعلم أشرح وأفسر وأدرس على مدى سنين بلا كلل ؟ ! »
- ٣-٧ قال كونفوشيوس : « أربعة أمور كانت تستحوذ على تفكيرى وتؤرق مضجعى : أن يكون قد صدر عني ما يخالف الخصال الكريمة من زلة لسان أو سوء تصرف ، أو أن أتوانى عن طلب العلم فاستثقل عبء تحصيله ، وأن أتخاذل عن نصرة الحق

وإنصاف وجه العدالة أو أقصّر عن مراجعة النفس ومواجهة
أخطاء الذات بشجاعة النقد وإرادة التصحيح . »

٤-٧ فى أوقات الفراغ القليلة التى كان يقضيها كونفوشيوس فى
بيته ، كان يحرص على سمت المظهر والاحتفاظ بلامح يعلوها
شموخ ووقار ومسحة هدوء وثقة ، لطالما كانت تكتسى بها
ملامحه . »

٥-٧ قال كونفوشيوس : « عرفت أن سنين عمرى على الأرض قد
طالت كثيرا وأنى صرت عجوزا خرفا ، عندما انقضت فترة
طويلة دون أن أرى فى منامى أستاذى جوكونغ (٤٤) . »

٦-٧ قال كونفوشيوس : « اعلم أن أحسن الطرق هو طريق الحق ،
وأن أرسخ أساس ، هو ما بنى على مكارم الأخلاق ، وأن خير
المبادئ جميعا هو ما قام على التراحم والانسانية ، وأن أفضل ما
يسلّى به الرجل نفسه من لهو عفيف أو يشغل به حسه من متعة
راقية . هو أن يمارس الفنون الستة الأصلية . » (يقصد :
الموسيقى ، الرماية ، آداب المجاملات ، الفروسية ، الآداب
القديمة ، « علم » الحساب .)

٧-٧ قال كونفوشيوس : « لم أستنكف فى حياتى قط أن أقبل
طالب علم قصدنى ، مادام قد بلغ سن الرشد ، وعقد فوق
رأسه ضفيرة البلوغ (٤٥) . »

٨-٧ قال كونفوشيوس : « من عاداتى ألا ألقى دروس العلم إلا
على طالب يشواق للمعرفة ، ولا أشرح أو أفسر معضلة من
المسائل إلا على طالب أجهد عقله وذهنه بحثا عن إجابات

قاطعة ، وإن الطالب الذى يعجز عن أن يستدل بنفسه على ثلاثة أضلاع المربع الباقية ، بعد أن تكون قد شرحت له ضلعا واحداً منها ، لن يكون جديراً بتعبك وجهدك . . أنت تتعب رأسك ، وهو يضيع وقته ووقتك معه . »

٩-٧ كان كونفوشيوس إذا ما دهمت أحد أصدقائه كارثة أو فجيعة ، يحرص على المواساة والتعازى ، وما كان يملأ فمه من صحيفة طعام وهو بصحبة رجل حزين أو منكوب .

١٠-٧ كان من عادة كونفوشيوس أن يترنم بالألحان ، أو يرفع عقيرته بالغناء ، فإذا ما وقعت الخطوب أو نزلت نوازل الدهر يظل طوال يومه ساهما حزينا .

١١-٧ قال كونفوشيوس لـ « يان يوان » : « ليس هناك إلا كلانا فقط ، أنا وأنت ، نبذل أرواحنا بإخلاص إذا ما أوكلت إلينا أمور جسام ونتوارى فى الظل قانعين دون سخط إذا أهملوا ذكرنا ، واستغنوا عنا . » ثم إن « زيلو » قام فسأله : « هب أنك أصبحت قائدا عسكريا ، وأوكلت إليك مهام قتال ، فمع أى نوع من الناس تفضل أن تتعاون ؟ » فأجابه : « فى تلك الظروف ، لن أختار رجلا يزهو بشجاعته ، و « يصعق النمر بقبضة واحدة » ، ولن أصطفى مقاتلاً يعبر النهر واقفا على سطح الماء بقدميه العاريتين (هكذا فى المتن ١) ولن أتخير جنديا لا يبالى الموت ، مهما كانت التضحية نبيلة والاندفاع شريفا ، وإنما سأتخير وأصطفى من يحسب للأمور حسابها ويقدر العواقب بمتهى التحوط والحذر ، مالكا زمام نفسه واصلا بحسن التقدير إلى تحقيق أغراضه بدقة كاملة . »

- ١٢-٧ قال كونفوشيوس : « لو كان الفوز بالغنى والثروة متاحاً ، ومن سبيل مشروعة ، لبذلت فى ذلك كل جهد ، ولما استنكفت أن أعمل فى مهنة يراها الناس وضيعة . أما إذا كان الطريق إليها ممتنعاً أو لا يتأتى إلا من طريق غير شريف ، فإننى أفضل أن أراول عملاً أحبه وأتفانى فيه وإن كان بغير عائد . »
- ١٣-٧ كان كونفوشيوس يهتم كثيراً بثلاثة أشياء ، ويتناولها ببالغ العناية والحذر ، وهى : المجاعة ، والحرب ، والمرض .
- ١٤-٧ استمع كونفوشيوس ، ذات مرة إلى موسيقى الـ « شار » فى دولة « تشيغو » ، واستولى على قلبه اللحن والنغم ، حتى أنه بقى رمتاً ، يأكل اللحم فلا يميز له طعماً ، ثم إنه أخذ يتعجب ، قائلاً : « ما ظننت قبل الآن أن للموسيقى مثل هذا التأثير على النفس . »
- ١٥-٧ ذهب « رانيو » إلى تسيكون ، وسأله : « أظن أن يقف المعلم (يقصد كونفوشيوس) بكل ثقله مؤيداً أمير دولة « ويغو » (الأمير : « كوايجه » ، وكان يتصارع مع والده لاعتلاء العرش) ، فقال تسيكون : « فلاذهب أولاً لاستطلع رأيه بهذا الشأن . » ثم إنه قام وذهب إلى كونفوشيوس ، وسأله : « ما رأيك فى كل من « بويى » و « شوتسى » ؟ » فأجابه : « كريمان ، إنا كرم ، قد هلكا فى الدهر . » وعاد تسيكون يسأله : « ألم يحدث مرة أن ندما على تصورهما المثالى للفضائل ، أو دبّ بينهما البغضاء ؟ » فأجابه : « كانا يسعيان إلى تجسيد معنى مائل للخير والإيثار ، فتّم لهما ما أرادا . فأنى

للبغضاء بينهما ؟ ! » وخرج تسيكون يقول لصاحبه : « لا أحسب أن يقف أستاذنا في صف الأمير جو . »

١٦-٧ قال كونفوشيوس : « هناك أيضا متعة خاصة في حياة خشنة : بخبز طعامها اليابس ، ومائها العكر المملح ، وملبسها القليل المتواضع ، وذراع مثنية تحت خد النائم . . وسادته الخالدة أينما أوى إلى فراش . فذلك أفضل بكثير من ثروة طائلة « غير مشروعة » تحلق حينما عبر سماوات واعدة بالمجد ثم تنحسر رويداً مثل سحببات من دخان . »

١٧-٧ قال كونفوشيوس : « أعطنى مزيدا من سنوات العمر كي أعيد قراءة أعظم مؤلف في التراث الصينى كله (« كتاب التغيرات الكبرى ») وأؤكد لك بأننى لن أجسر بعدها على الوقوع فى خطأ أو خطيئة . »

١٨-٧ كان كونفوشيوس حريصا على التحدث باللغة الصينية الفصحى ، خصوصا عند أداء طقوس العبادات ، وكذلك عند مناقشة موضوعات الكتب الكلاسيكية التاريخية « وذلك إعلاء للسان أسرة « جو » على اللهجة العامية المستخدمة فى مملكة « لوكو » .

١٩-٧ جاء السيد « ليكون » إلى « زيلو » وسأله أن يصف له كونفوشيوس ، لكن زيلو حار جوابا وتلعثم ، ثم إن المعلم عرف بالأمر ، فقال له : « كان أحرى بك أن تقدمنى له قائلا بأننى أكد وأثابر فى عملى ، حتى أنسى غذاء بطنى ، وأمرح وأضحك ، فلا أعرف للحياة هموما ، وأعيش أيامى بطولها وعرضها ، غير عابئ بزمان شبيهة ماض ، أو بيوم شبيهة آت . »

٢٠-٧ قال كونفوشيوس : « لم أولد فليسوفا حكيما ، وإنما كان تعلقى بأخبار الأقدمين وكتاباتهم هو الذى دفعنى عبر سنين من دأب البحث والفكر والمطالعة إلى تحصيل المعارف والشغف بها . »

٢١-٧ لم يكن كونفوشيوس يكثر بمناقشة ما يتصل بالموضوعات الغربية والخوارق والمعجزات ، والصراعات الحزبية والطائفية ، وكذلك الدسائس والمؤامرات ، وفتن التمرد والعصيان وضلالات السحر والكهانة والأشباح والخرافات الأسطورية .

٢٢-٧ قال كونفوشيوس : « إذا مشيت مع نفر من الناس ، فلا بد أن يكون أحدهم ، على الأقل ، ذا أخلاق وفضائل طيبة ، ذلك لئنى اقتدى بما يعن لى من عظيم السجاياء ، وأنبذ من طبعى ما عساه يتكشف لى من خبيث الخصال . »

٢٣-٧ قال كونفوشيوس : « من حفظته السماء فلا مضيع له ، وقد حببته السماء بنعمائها وحكمتها وسابغ فضلها ، وهى أنذا قد نجوت ، وحبط عمل « هوان كوى » ^(٤٦) فخاب مسعاه وفشلت مكائده . »

٢٤-٧ قال كونفوشيوس لتلاميذه : « اعلّموا أنى ما أخفيت عنكم شيئا من أفكارى ولا حجبت دونكم شيئا من العلم والمعرفة ، فدونكم كل ما اشتغلت به النفس وجادت به القريحة ، وما كنت متخذًا معكم أو مع غيركم شأنًا آخر غير هذا ، فإنما هو طبع مركوز فى النفس لا فكاك منه ولا معيد عنه . »

٢٥-٧ كان كونفوشيوس يدرس لطلابيه أربعة أبواب من العلم ،
هى : الدراسات الأدبية القديمة ، علم الاجتماع ، قواعد
السلوك الرسمى ، مبادئ الأخلاق .

٢٦-٧ قال كونفوشيوس : « لم أعد أتوقع أن أجد بين الناس ملائكة
وقديسين ، لكن قصارى ما أمتنى نفسي به هو أن أجد رجلاً
مهذباً كريم الخلق . » ثم أضاف ، قائلاً : « ولا أظن - حتى
بأكثر التوقعات جموحاً - أن على وجه الأرض ، الآن ، رجلاً
معصوماً من الزلل ، لكن يكفينى أن أعرف أن هناك إنساناً
يروض نفسه ، ويملك زمام مبادئه بإرادته . فإذا كان هناك من
يزعم أنه يملك الدنيا بأسرها بينما هو خالى الوفاض ، أو يدعى
حكمة الزمان بينما هو فارغ العقل ، أو يتكلف مظاهر الثراء
الفاحش بينما هو فقير معدم ، فذلك أبعد شئ عن المبادئ
والأعراف والأخلاقيات . »

٢٧-٧ كان كونفوشيوس يستعمل الخطاف فى صيد الأسماك ، ولم
يستخدم قط شبكة كبيرة ، كما أنه لم يصطد طيوراً تبيت مع
أفراخها أو تنام فى أعشاشها .

٢٨-٧ قال كونفوشيوس : « هناك نوع من الناس يدعى العلم مكابرة
وتكلفاً ، فأولئك هم شر الجهلة ، ولقد كان مسلماً دائماً هو
مناقشة الأمور من كل جانب ، مع الاستبصار بوجهات النظر
المتباينة ثم اختيار أصوب الجوانب واختبارها بمعيار التطبيق
العملى واستخلاص الصحيح الثابت فيها مع استبقائه فى الوعى
الحاضر ، ولئن كان مثل هذا المنهج لا يرقى إلى مستوى المعرفة

الباطنية المولود بها الانسان ، إلا أنه يظل منهاجا لمعرفة موثوق بها إلى حد بعيد . ٢٩-٧

كانت قرية هوشيانغ أشبه بغابة بدائية تنضج بالجهل والتخلف ، ومَرَّ بها كونفوشيوس ورجاله ، فما استطاعوا أن يكتثوا فيها ، إلا أن غلاما صغيرا من أبنائها ، جاء يطلب العلم ، فاستقبله كونفوشيوس بترحاب شديد ، فاستغرب التلاميذ ، فخاطبهم المعلم قائلا : « لقد أكبرت في الغلام سعيه إلى العلم والمعرفة بدلا من رضوخه للجهل ، فواجبنا أن نقدر للآخرين نواياهم وآمالهم الصادقة للتقدم والتصحيح ، فلا ينبغي أن نعلق أنظارنا دائما على آثار ماض كريح يحاول أصحابه هم أنفسهم أن ينبذوه وراءهم . »

قال كونفوشيوس : « هل صحيح أن مكارم الأخلاق تبدو دائما مستعصية بعيدة المثال ؟ لا أظن هذا صحيحا ! إذ يكفي أن يشير الانسان بأطراف أصابعه فيجدها حاضرة بأقرب مما يتصور . » ٣٠-٧

جاء « شن سباى » إلى كونفوشيوس ، وسأله عن أخلاق الأمير « جاو » بمملكة « لوكو » ومدى احترامه لقواعد السلوك القويم والأعراف الفاضلة ، فرد عليه كونفوشيوس بالإيجاب ، مقرأ بحميد خصاله ، فلما مضى المعلم لبعض شتونه ، أقبل « شن سباى » على أوماتشى (تلميذ كونفوشيوس) وقال له : « لقد عرفنا أن الماجد المهذب لا ينحاز ولا يجمال ، فلماذا ينحاز سيدك ظلماً وباطلا ؟ ألا يعرف أن الأمير « جاو » قد

تزوج بامرأة من دولة « أوغو » برغم مما فى هذا الزواج من انتهاك للتقاليد والأعراف ١٩ . « فلما ذهب أوماتشى وأطلع أستاذة على حقيقة الأمر ، أجابه ، قال : « لا بد أنى محظوظ حقاً ، فما أن تزل بى زلة ، أو تصدر عنى هفوة ، حتى أجد من يذكرنى ويراجعنى (٤٧) . »

٣٢-٧ كان من عادة كونفوشيوس أن يصاحب المغنين بصوته ، فإذا أعجبه صوت أحدهم ، طلب إليه أن يردد اللحن من جديد حتى يحفظه ثم يصاحبه فى الأداء حتى النهاية .

٣٣-٧ قال كونفوشيوس : « فى باب المعرفة والاطلاع ، أستطيع أن أجد لنفسى ترتيباً مساوياً للآخرين ، أما فى مجال التطبيق الفعلى للمبادئ السلوكية ، فما زلت أقصر عن بلوغ مكانة السيد المهذب مكتمل الفضائل والخصال . »

٣٤-٧ قال كونفوشيوس : « لا أظننى أستحق لقب « الحكيم » أو « الفاضل الكبير » فما أنا إلا طالب علم يجتهد فى التحصيل ، ومعلم بسيط لا يتوانى عن الشرح والتفسير . » ثم إن تلميذه « كون شيهوا » ردّ عليه ، قال : « وتلك - ياسيدى - هى المعادلة التى نعجز عن الاتيان بها . »

٣٥-٧ أصيب كونفوشيوس بمرض شديد أقعده الفراش ، وعاده « زيلو » واقترح عليه أن يصلى لآلهة الشفاء صلاة تبرئه من مرضه ، فسأله المعلم : « أهناك صلاة لهذا الغرض ١٩ ؟ » فأجابه : « نعم ، وصيغة الصلاة هكذا : « رحمتك آلهة السماء ، شفاؤك آلهة الأرض ، إليكما أقصد بالدعاء ! » ثم إن

كونفوشيوس ، أجابه ، ساخراً : « لا عليك ، فقد تلوت هذه الصلاة قبلك دهرًا طويلًا (وها أنا كما ترى !) . »

٣٦-٧ قال كونفوشيوس : « الترف مدعاة للخيلاء والغرور ، والبساطة الزائدة قرينة التواضع ، وهذه - كما هو معلوم - أفضل كثيرًا من الغرور . »

٣٧-٧ قال كونفوشيوس : « غالبًا ما يكون صدر الرجل الماجد رحيبًا كريمًا ، أما الدنئ ، فهو دائمًا ضيق الصدر ، مهموم البال . »

٣٨-٧ كان كونفوشيوس هادئ الطبع ، لكن في جدية وحزم شديدين ، مهيب الملامح ، فلا هو بالعابس الغشوم ولا بالجهم المتبلد ، وقور مهذب في لين وسماحة خلق .

الباب الثامن

« تابوتشسي »

وجملته واحد وعشرون فصلا

١-٨ قال كونفوشيوس : « تايبو » (٤٨) هو الرجل الذى حاز أعلى درجات الشرف والفضيلة ؛ فقد تنازل عن عرش امبراطورية عظمى لأخيه الأصغر ثلاث مرات ، وهو يتنخى عن صولجان المجد ، كريما شريفا . وإن كل كلمات المديح والمجاملات التى تعارف عليها الناس ، لاتكفى ثناء عليه .

٢-٨ قال كونفوشيوس : « إن المجاملات من غير قواعد منظمة للسلوك ، تصبح مجرد صيف جامدة عملة ومكرورة . والحذر بغير أصول محسوبة ، يصبح تهيبا جانا ، كما أن الشجاعة من دون ضوابط معقولة ، تؤدى غالبا إلى تهورات طيش مهلكة ، والصراحة من غير مرجعية مبادئ مقررة ، تفضى حتما إلى مشاعر مستعرة بوخزات حساسية موجعة . والشئ الثابت هو أن المعنى العام للتعاون والإنسانية يتحدد على غط ماييديه رجال الحكم من قدوة مناسبة لمواطنيهم ، وعندما يبدى هؤلاء الرجال قدرا من العرفان والولاء لزملائهم وخلصاتهم القدامى ، فإن ذلك يسرى أيضا ، سريان شعاع من النور بين جموع الناس ،

ومن المستحيل عليهم بعدها أن يتبنوا مشاعر الجمود والتبلد واللامبالاة .

٣-٨

لما اشتد المرض على « تسنغ زى » - أحد التلاميذ - دعا زملاءه وإخوانه للمثول إلى جواره ، فلما حضروا وأحاطوا به وهو ممدّد على فراش الاحتضار ، نظر إليهم وقال : « تأملوا قدمي ويدي هاتين ، ففي كتاب « الشعر القديم » قصيدة ، يقول مطلعها :

« أعطنى قدما تسعى بين الخلائق فى حذر ،

أعطنى قدما تخشى وطء دروب الجحيم ..

قدما تعبر صفحة ماء .. تشرق جمع سحب ،

.. بلا ضجيج ولاكدر ..

ثم إنه اعتدل وقال : « أما وأنى الآن أمضى من غير ضجيج ولاكدر كما ترون ، فعليكم بأنفسكم ، وانتهبوا فيما أنتم فيه سائرون »

٤-٨

« لما اشتد المرض على ت « سنغ زى » ، ذهب جينز - وزير فى مملكة « لوكو » - إليه . يعوده فى مرضه ، فقال له « تسنغ زى » فيما يشبه الوصية : « عندما يحين موت الطيور ، يصبح لصوتها تغريد حزين ، لاتخطئه أذن ، وإذا قربت نهاية إنسان ، صفت نفسه كثيرا ، فلا يتطق بباطل ، وإنى أقول لك الحق ، فاسمع واحفظ ، إن ثلاثا ، إذا فعلها إنسان ، صار مستحقا أسمى مكانة فى الوجود وهى : أن يتخذ مظهر الحزم ، فيكفى نفسه تهافت خليع أو قوضى متكاسل ، وأن يتخذ مظهر الجدّ ،

فيوثق بكلامه عند سامعيه ، وأن يسبق فكره لسانه ، ليتخير صحيح اللفظ وسديد العبارة ، عصمة من رل ، واجتناباً لهفوات تزل لهولها أعناق سامقة . أما عن قواعد السلوك والمعاملات وطرائق المجاملات والعبادات ، فتلك لها فقهاؤها وكهنتها ، هم أدرى بشئونها خير دراية . »

٥-٨ قال تسنغ زى (٤٩) : « كنت أعرف صديقاً تزينه أفضل الخصال : فقد كان ، برغم قوته البادية ، لا يستنكف أن يسأل الضعفاء المهزولين النصيح ، وبرغم سعة إطلاعه ، فلم يكن يمل مشاوراة الأقل علماً ومعرفة ، وبرغم علمه الغزير ، فقد كان يواظب على الدرس ويجهده في التحصيل ، كأنه تلميذ مبتدئ ، ومع أن السماء قد حبت به بعقل عبقرى نادر المثال ، إلا أنه كان يحرص على مظهر الفهم المتواضع ، فيستزيد من الشرح والاستفهام ، حتى يحسبه الناس بليداً غيبياً ، ثم إنه لم يكن يكثرث بالرد على أسئلة الشتم والتناول . »

قال تسنغ زى : هب أن فرداً ما أوكلت إليه مهمة تربية طفل يتيم ، فأداها على أحسن وجه ، أو أسندت إليه مهام جسيمة تتعلق بمصائر كبرى في وقت شدة وزمن جد ، فقام بها خير قيام ، فهل يمكن أن يعد مثل هذا الفرد رجلاً عظيماً ! ، وأقول : نعم ، بل هو الرجل العظيم بكل ما تعنيه الكلمة . »

٧-٨ قال تسنغ زى : « أكثر من يحتاج إلى إرادة صلبة وصمود متجدد ، هو رجل العلم ؛ إذ إن أمانته ثقيلة ، وطريق كفاحه طويل ، وليس أثقل في ميزان الأمانة من عبء تحقيق مثال الخير

والفضيلة للناس جميعا ، وليس أشق فى دروب السير من طريق يبدأ من نعومة الأظفار وينتهى عند أبواب القبور . »

٨-٨ قال كونفوشيوس : « لا أجد إلهاما مضيئا للوجدان إلا فى كتاب « الشعر القديم » ولا أجد أصولا مكتملة لقواعد الحياة ، إلا فى أصول الآداب والفضائل ، وليس مثل الموسيقى ، شرحا للصدور وتطهيرا لشوائب النفس . »

٩-٨ قال كونفوشيوس : « قد يتحتم أن تلزم الناس بالانقياد على الطريق المحدد سلفا ، والالتزام بالسبل الموضوعة ، لكنك لست ملزما بإطلاعهم على السبب الذى يدعوهم للاستجابة لك . »

١٠-٨ قال كونفوشيوس : « إن النابهين والطامحين والأذكىاء والكرماء والفضلاء من الناس ، الهارين من وجه الفقر ، العاجزين عن احتمال شظف العيش ، يعدون ذخيرة حية تساعد على إشعال شرارة التمرد والعصيان ، كما أن البغاة والمنحرفين وذوى البأس ، ممن يفتقدون الرعاية الواعية والإشباع الكافى ، يستطيعون تدمير الدنيا بأسرها من أقصاها إلى أقصاها . »

١١-٨ قال كونفوشيوس : « أسوأ الخصال أن يجتمع فى نفس امرئ البخل والغرور ، فإنهما ما اجتماعا فى مخلوق إلا أعرض عنه الخير وذهبت محاسنه مسدى ، وتفرق عنه خلاصاؤه ، حتى وإن بلغت عبقريته عنان السماء { فى الأصل : حتى وإن أوتى عبقرية الشيخ جوكون ! }

١٢-٨ قال كونفوشيوس : « لا أظن أن أحدا فى زماننا هذا ، يذهب إلى حلقات العلم والدرس ، دون أن يراوده طموح المنصب

- الرسمى الكبير، بكل مايعنيه من شرف الامتياز وعظيم المكانة .
 ١٣-٨ قال كونفوشيوس : « على المرء أن يكون أميناً مثابراً ، مقبلاً بعقله وقلبه على التعلم ، مخلصاً للمبادئ حتى آخر رمق ، واعلم أن العاقل لايدخل بلداً يموج بالتدمير والعصيان ، ولايزج بنفسه وسط فوضى عارمة ، والذكى من يشمر عن ذراعه ، ويطلق العنان لمواهبه ، فى أوان السلم وعند هدوء الأحوال ، فإذا عصفت عواصف الشقاق ، وأطّلت برؤوسها الفتن ، تنحى بلباقة ، واستظلّ بركن بعيد هادئ ، حيث عزلة بشرف ، أكرم من شرف أعزل . وإن من البلاء أن يقبع المرء فقيراً فى بلد موفور الغنى والترف ، كما أنه من الحسنة والعار أن يزهو الفتى مختالاً وسط أجواء محدقة بالبؤس والحرمان . »
- ١٤-٨ قال كونفوشيوس : « لاتشغل نفسك بأعباء وظيفية لم تتسلم مقاليد التصرف الرسمى فيها بعد . »
- قال كونفوشيوس : « لقد استمعت إلى عزف للموسيقى العبقري « شيجى » (بدولة لوكو) فى قطعة بدأها بمِنوعات نغمية رائعة وختمها بلحن « كوانجو » العذب ، ولقد ظلت الأنغام ، لفرط عذوبتها ، تتردد فى مسمى طوال اليوم . »
- ١٥-٨ قال كونفوشيوس : « ثلاثة من الرجال ، أحرار كثيراً فى تبرير سلوكهم : رجل جرى جسور فى غير الحق ، ورجل ساذج فى غير الصدق ، ورجل ضعيف الحيلة يملأ الدنيا خداعاً ومراوغة . »
- ١٦-٨ قال كونفوشيوس : « كن سباقاً فى تحصيل العلم ، ولاتدعن

الزمن يتجاوزك ، واجعل من عقلك وعاء نشيطا لمكنون
 الذاكرة ، فالعلم بغير ذاكرة واعية ، جهل مطبق .
 ١٨-٨ قال كونفوشيوس « ما أنبل وأكرم السידین الجلیلین
 « شون » ، و « یاو » ؛ فقد كان لكل منهما صولجان وعرش
 وممالك من أقصى الأرض إلى أقصاها ، ومع ذلك بلغ من
 نزاهتهما أن كفأ أيديهما عن أى مكسب ذاتى أنانى ، فخرجا من
 امبراطورية عظمى كما دخلاهما : يد خالية من الدنس وذمة ناصعة
 بيضاء . »

١٩-٨ قال كونفوشيوس : « ما أنبل الحكيم « یاو » وما أنزه خصاله
 ! ولئن كانت السماء هى وحدها الأعظم قدرا والأقدس جلالاً
 ورفعة ، فإن الحكيم « یاو » هو وحده الذى دانت له قطوف من
 السّمو والجلال وعظيم السجایا { بین البشر ! } ولقد بلغ من
 ذلك منزلة عالية ، شهد له بها الناس كافة ، فما خلف أحد
 سيرة صالحة مثله ، ولا جربّ الناس متعبدا ورعا ، يدانيه إيمانا
 وإخلاصا . »

٢٠-٨ كان فى بلاط الامبراطور « شون » خمسة من أكفأ الوزراء
 استتبّ الحكم على أيديهم ، وسارت أحوال البلاد على نحو لم
 يعهد له مثيل فى زمانهم ، فلما بلغ ذلك الملك « أوانغ » فى
 عهد مملكة « جوکو » ، قال : « . . وأنا أيضا عندى عشرة من
 أكفأ الوزراء ، وأقدر رجال الحكم على الإطلاق . » فعقب
 كونفوشيوس على هذا التقدير بقوله : « ليس فى هذه الدنيا
 أئمن ولا أندر من الأكفاء الموهوبين ، ولقد قيل إن زمرة منهم

حكموا إبان عهدى « تانغ ياو » و « يوشون » ، ثم إن قول الملك « أوانغ » ينطوى على مبالغة ، فمن بين الوزراء العشرة الذين يشير إليهم ، فهناك امرأة ، وأنا أستثيها من جملة العدد ، وهكذا ، فلا يتبقى إلا تسعة فقط ، ولقد بلغنا عن السلف الصالح أن الملك « أونوانغ » ويرغم امتلاكه ثلثى الأرض الواقعة فى حدود مملكته ، إلا أنه ظل يقدم فروض الولاء لامبراطور أسرة « چو » الحاكمة ، وتلك - فيما أظن - من أنبل وأشرف مظاهر الفضل وكرم الأخلاق .

٢١-٨

قال كونفوشيوس : « نظرت فلم أجد عيباً فى سلوك السيد يو » (٥٠) ، فهو يقتّر فى طعامه كثيراً ، لكنه يتقرب إلى السماء بأئمن أضحية ويرتدى الخشن الغليظ من الثياب ، لكنه يتخذ أبهى ملابس وأجمل زينة عند إقامة الشعائر المقدسة ، ولئن كان يقبع فى كوخ خشبى متواضع ، فقد سبق أن بذل كل جهده وماله فى وجوه البر والإحسان ، فهو الرجل الذى لا تمسه شائبة ، ولا يعتريه عيب أو نقصان .

« زيهان »

وجملته واحد وثلاثون فصلا

١-٩ كان كونفوشيوس يدقق كثيرا فى حديثه عن المنفعة ، والقدر والإحسان .

٢-٩ جاء رجل من بلدة « تاشيانندان » ، وقال : « يعجبني فى كونفوشيوس ، سمو قدره ، وغزير علمه ، لكن الشئ المؤسف حقا ، أنه لم يتخذ حرفة يتخصص فيها لتدر عليه رزقا وشهرة وصيتا ذائعا يملا الأسماع . » فلما بلغ ذلك كونفوشيوس نفسه ، قال لتلاميذه : « فماذا ترون لى من حرفة مناسبة إذن! أأجر المركبات بدلا من الخيل ؟ ! أم أعمل قوآسا ، أحمل السهام وأرمى بها ؟ .. وربما كان من الأنسب أن أعمل حوزيا ، فتلك خير على كل حال . »

٣-٩ قال كونفوشيوس : « كانت قبعات الطقوس تصنع - بحسب ما استقر من العرف - من الكتان ، فصارت الناس الآن تتخذها من الحرير الأسود ، اقتصادا فى التكلفة ، وتوفيرا فى النفقات ، وأنا أحبذ هذا المسلك . وقد جرت العادة أيضا بأن ينحنى المسئولون الراغبون فى مقابلة الحاكم برؤوسهم راكعين عند أول درجات

السلم المفضية إلى قاعة العرش ، وكذلك عند استقبال القاعة بعد الصعود ، إلا أنهم فى أيامنا هذه أبطلوا الانحناء الأولى ، واقتصروا على الثانية التى يدخلون بها البهو الملكى الكبير ، وإنها لبدعة جائرة وضلال بعيد ، فما ضرهم لو عادوا سيرتهم الأولى ، أليس ذلك أقوم وأكثر إجلالا واحتراما ؟

٤-٩ أربعة خصال كان يتجنبها كونفوشيوس بكل ما أوتى من جهد : التواكل ، والتسرع ، والعناد ، والتكبر .

٥-٩ كان المعلم مارا بمدينة كوانغ فى طريقه إلى دولة « تشنكو » ، ولشدة الشبه بينه وبين « يانهو » الطاغية المستبد الذى قتل آلاف مؤلفة من أبناء المدينة ، فقد تدخل الأمر على الأهالى ، فاقتادوا كونفوشيوس ، بظن أنه « يانهو » ووضعوه فى الحبس ، فقال لهم ، فى معرض حديثه عن نفسه : أنا الرجل الذى ورث الفكر والعلم عن جلالة الامبراطور « أونوانغ » ، فلولم يكن هذا العلم يدعو إلى الخير ، لأفنته السماء وصيرته إلى العدم ، وحالت بينى وبينه ، ولئن كانت السماء ترعاه وتحفظه ، وتعيننى على أمره ، فمن ذا الذى يستطيع منكم أن يحجب إرادة السماء ؟

٦-٩ جاء مسئول حكومى كبير إلى « تسيكون » ، وسأله ، قال : « إذا كان أستاذكم ، صاحب فلسفة وحكمة كما تقولون ، فأنى له بهذا اللام الواسع بضروب المهن والحرف المختلفة ؟ » فأجابه : « السماء هى التى أنزلت عليه الحكمة وعلمته من لديها أسرار صناعات شتى . » فبلغ ذلك أسماع

كونفوشيوس ، فعلق بقوله : « يبدو لى أن السائل أعلم من المجيب ؛ فقد ولدت فى أسرة فقيرة ، واضطرتنى الظروف أن أتعلم الكثير من المهارات المتواضعة ، كى أتحصل على معاش حياتى وقوت يومى ، وعلى أية حال ، فإن الرجل الفاضل ، لاحتاجة به للتمرس فى فنون متنوعة وحيل كثيرة { رائدة عن الحد المعقول }

٧-٩ جاء على لسان « لاو » - أحد التلاميذ - مامفاده أن كونفوشيوس تحدث إليه ، ذات مرة ، فقال : « لم تواتنى ، طوال حياتى ، فرصة العمل فى وظيفة رسمية ، لذلك فقد اضطررت إلى تعلم الكثير من المهن والمهارات . »

٨-٩ قال كونفوشيوس : « أتساءل أحيانا : هل أنا حقا واسع المعرفة غزير الاطلاع ؟ وأجيب على أسئلتى بالنفى ؛ فقد صادفت ذات مرة أحد الفلاحين ، وسألنى سؤالاً ، تحيرت منه أفكارى ، وأخذت أقلب فيه النظر كثيرا ، وأنا أعرضه على كل الوجوه . . ووجدتني برغم ذلك عاجز عن إجابة وافية . »

٩-٩ قال كونفوشيوس : « ماعادت العنقاء ترفرف فى سمائنا وماعاد النهر الأصفر يرمى إلى شواطئنا بالواح مزينة على أجساد التانين ، فما أرى إلا نهاية عمرى ، وأوان انقطاع الأجل . (٥١)

١٠-٩ كان كونفوشيوس يبدى توقيراً وتبجيلاً رائداً إذا مر به كفيف أو بانس متشح بشوب حداد ، أو متأنق فى الزى الخاص بالطقوس الدينية أو الرسمية ، من علامة ذلك أنه كان يقف من

جلسته أو يتنحى بلباقة عن طريق الواحد منهم ، إن كان ماشياً
لا فرق عنده بين صغيرهم وكبيرهم . »

تحدث يان يوان (٥٢) فى نبذة لها مغزاها ، قال : « كلما
أمعنت النظر فى صرح المبادئ التى درسها لنا أستاذنا ، بدت لى
سامقة شامخة ، تسمو فى الآفاق ، وكلما حاولت التعمق فى
ثنايا دلالاتها ، بدت عسيرة المنال عميقة الغور ، وكلما سنحت
حتى خلقتها قريبة المأخذ (تحت يدي) ، نظرت فإذا هى بعيدة
(خلف ظهري) تتسريل بالغموض ودقة المسلك ، ولئن كان
الاستاذ يرشدنا إلى بدايات الطريق وأول الخطو، درجة فدرجة ،
بعبقريته الفريدة فى التوجيه وتمهيد السبيل ، يفتح لأذهاننا
حدود آفاق رحبة ، تزخر بألوان شتى من الفكر والآداب ،
ويكبح جماح نفوسنا بهدى من قواعد الاخلاق ، فأنا ما زلت
عند أول الطريق ، وبرغم فداحة المسئولية وعبء الدأب
والجد ، فلا أملك أن أحيى عن طريق العلم . . . حتى لورغبت
فى ذلك ! { ويتهيا لى ؛ بعد كل ما بذلته من جهد ، أنى كلما
أوغلت قدما جهلت أضعافا مضاعفة . »

اشتد المرض على كونفوشيوس ، فأقبل « زيلو » على تلاميذه
ومريديه ، فطلب إليهم أن يتدبروا إجراءات إقامة جنازة رسمية
{ تحسبا لوفاة المعلم } وأن يقوموا « شكلياً » بأدوار تبرز وجاهة
أستاذهم (٥٣) وعظيم منزلته ، فلما شفى كونفوشيوس من مرضه ،
واسترد عافيته ، وعلم بهذا الأمر ، انتقد « زيلو » ، قائلاً له :
« ذلك هو الخداع بعينه ، وإلا فما معنى التظاهر بما لا تملكه ؟

ولماذا ؟ أنظننا بذلك نخدع من ؟ ا هل نخدع السماء ؟ ا ثم إن مئة كريمة بين أيديكم ، أفضل عندي من مئة تحوطها أحزان حداد رسمى متكلف ، زائف . لماذا نتصور أن الموتى بغير جنازات مهية ليسوا إلا أقدار نهايات فقيرة متنجية على حافة الطريق ا «

١٣-٩ جاء « تسيكون » إلى كونفوشيوس ، وسأله : « هب أن لديك جوهرة ثمينة . أتخفظها فى صندوق ؟ أم تبيعها لمن يعرف قدرها ؟ » فأجابه المعلم : « بل أبيعها ، نعم أبيعها بالتاكيد وإنى لمنتظر من يقدّر قيمتها كما ينبغى . » (٥٤)

١٤-٩ أراد كونفوشيوس الانتقال إلى مسكن جديد بمنطقة « جويى » (وهى إذ ذاك بقعة منعزلة ، غير راقية) ، فقيل له : « إنها ليست بمكان مناسب لك ؛ فهى نائية وغير متحضرة ، فكيف تقيم هناك ؟ » فأجاب ، بقوله : « ترى لو كان رجلاً حكيماً فاضلاً ، مهذب السلوك ، كريم المنبت ، ذهب فأقام فيها قبلنا ، أكننا نقول نفس هذا الرأى ؟ ا «

١٥-٩ قال كونفوشيوس : « بعد عودتى من مملكة « ويغو » إلى « لوكو » قمت بتصنيف بحور كتاب « لشو القديم » فوجدتها نوعين لاثالث لهما وهما : « يا » و « سونغ » . » (٥٥)

١٦-٩ قال كونفوشيوس : « ليس فى الدنيا أعظم من أن تبجل رؤساءك وتؤدى عملك بإخلاص ، فإن عدت إلى منزلك فعليك بمعاونة إخوتك وإطاعة والديك ، ولاتنس أن تشعل

القناديل فى زمان الفرح ، وأن تقيد شموع التراتيل إذا ما أطلت
الأحزان . وليبق عقلك فى رأسك إذا مادارت الأقداح ، فإياك
والشمالة ! . . وما أحوج الواعظ أن ينفع نفسه بما ينصح به
الآخرين ، فياليتنى أروّض النفس بتلك الخصال ! . »

١٧-٩ وقف كونفوشيوس إلى شاطئ النهر ، ونظر إلى المياه الجارية
، وقال : « والأيام أيضا تنقضى مثل تلك المياه العابرة ،
تساب رويدا بلا نهاية بين الشيطان . »

١٨-٩ قال كونفوشيوس : « لم أصادف فى حياتى أحداً يعشق
الفضيلة عشقه للجمال . »

١٩-٩ قال كونفوشيوس : « إن حفنة من الرمال قد لا تكفى لتعلية
قمة جبل شامخ لكنها تكفى تماما ، بالمزيد من الجهد والمثابرة
وكمية مضافة من الحصى لردم حفرة عميقة على سطح
الأرض . »

٢٠-٩ قال كونفوشيوس : « ربما كان « يان هوى » هو الوحيد من
بين الناس جميعا ، الذى وجدت فيه مثابرة على الانصات
والتحصيل ، ودأب على الالتزام بلاثوان أو كلل . »

٢١-٩ تحدث كونفوشيو عن تلميذه « يان يوان » { فى مناسبة تأيينه }
، فقال : « عجباً للموت الذى يتخير من بيننا أفضل الناس :
أولئك الأكثر تفوقا ونبوغاً ورغبة صادقة فى النجاح والأمل
والحياة ! »

٢٢-٩ قال كونفوشيوس : « هناك أشخاص تعهدهم أوطانهم
بالرعاية ، فإذا هم فى آخر المطاف ، جهد ضائع ؛ فلربما أنبتت

البذور براعم بلا زهور، وقد تثمر الأغصان زهرات بلا عناقيد .
 ٢٣-٩ قال كونفوشيوس : « أخطر الآمال جميعا هو ما خبأته يد المستقبل فى قلب الأجيال الشابة ، فلعلها فى قادم الأيام تحاذينا الركب ، ومن عساه يدرى ، فرجا تسبقنا كثيرا ! فالمجد دائما للشباب ! ومن بلغ الأربعين أو الخمسين من دون أن يبنى لنفسه مجدا أو يُسمع الناس صوتا ، فما أظنه يقدر أن يفعل بعدها شيئا ذا قيمة . »

٢٤-٩ قال كونفوشيوس : « يمكن أن يعرض الانسان عن كلمات معاتبة مخلصه صيغت من روح المبادئ ؟ ، لكن قبول النقد لا يكفى ، فالتقويم أجدى وأهم . وهل من الممكن ألا تسعد النفوس بما يشنف الأذان من الإطراء والمديح ؟ لكن السعادة وحدها لا تكفى ، فالمراجعة والتحليل لنقاط القوة أنفع وأولى ، ذلك أن مشاعر الفرح بغير تقدير عملى . وكذلك قبول النقد بغير تصويب فعلى ، كلاهما ، لا يشر بأى جدوى . »

٢٥-٩ قال كونفوشيوس : « على المرء أن يلزم جانب الولاء والإخلاص ولا يصادق من هم دونه ، وإن سقطت به رلة ، فلا يستكف أن يرجع إلى الحق فإنه أهدى . »

٢٦-٩ قال كونفوشيوس : « ربما كان من الجائز أن تنحى قائدا مغوارا عن جيش مهول ، لكنك لا تستطيع أن تتزع إرادة صلبة من قلب رجل بسيط . »

٢٧-٩ قال كونفوشيوس : « نظرت فلم أجد سوى « جونغ يو » ، هو وحده الذى يملك ما يكفى من غنى النفس ، فلا يخزيه أن

يجلس بأسماله البالية إلى جوار من يرفلون فى الدياج والوان
من الفراء النادر ، فربما يصدق عليه ماجاء فى كتاب « الشعر »
من تلك الأبيات :

.. « فأنت الرجل الذى

تهفو إليك القصائد

تعمر ساحتك

وتخجل منك الدنيا

فكأنك واسطة عقد

لاغضوب ولامغضب

أتغار أنت ؟

بل تغار منك تيجان وقلائد . »

فلما بلغ « جونج يو » أخذ يردد تلك الأبيات مزهواً ، فعاتبه
كونفوشيوس ، قائلاً : « أتظن أن خصلة طيبة واحدة فى
الرجل تكفيه كل هذا الفخر ؟ »

قال كونفوشيوس : « كان الشتاء هو الذى علمنا صمود
المقاومة ، فكم بقيت أشجار السرو تقاوم برد الثلج العاصف
حتى آخر رمتق ؛ فهى آخر من يفقد أوراقه من فصائل الشجر
جميعاً . »

قال كونفوشيوس : « الذكى لاينخدع ، والكريم لايندم ،
والشجاع لايفزع أبداً . »

قال كونفوشيوس : « هناك نوع من الناس تجد فيه زمالة
ثمرة على طريق العلم والدراسة ، ولكنك لاتجد فيه صداقة

متعاونة على طريق البحث عن الحقيقة ، وحتى لو وجدت فيه
صداقة مؤازرة ، ساعية إلى الحقيقة ، فلعلك تعجز وإياه عن
بلوغ هدف مأمول ، بل إنك حتى لو توصلت معه إلى نجاح
ذى قيمة ، فلربما كان ذلك سببا كافيا لأن تدب بينكما ألوان
من الشقاق والصراع . «

٣١-٩

جاء فى مطلع قصيدة صينية قديمة مانصه :

« .. أوراق مثل فراشات

تشر ، كالشعر ، الجناح

أوراق شجر الكرر ،

تحقق وتميل .. تفتح ،

ترقص

تهمس لك بأن اشتياقى

أشجار كرر ، شوق فراشات

أوراق عشق أبدية ... وأنا

.. أشتاق إليك ،

لكن بيتك بعيد ،

والطريق إليك أسفار

وأشواك برية .. «

فلما كان كونفوشيوس يستمع إلى تلك الأبيات ، أشاح يده
معترضا ، عند هذا المقطع ، قائلا : « كلا .. هذا مما يقوله
الشعراء ولايقوله العشاق أبداً ، فالمشتاق حقا لا يكثر لبعد
المسافة بينه وبين بيتها مهما طالت الأسفار وامتدت الآماد .

« شيانغ دان »

وجملته فصل واحد يقع فى سبعة وعشرين قسما

١-١٠ « كان كونفوشيوس عندما يعود إلى مسقط رأسه ، يقيم فى مكان بسيط ، ويجلس هادئا صامتا ، لا يتحدث بشئ ، كأنه نسى الكلام ، فإذا ذهب إلى المعبد الجنائزى ، أو إلى البهو الامبراطورى ، انطلق الكلام من فيه حلواً طلقاً ، كأنه امتلك ناصية البيان .

٢-١٠ وفى لقائه مع صغار الموظفين فى القصر الإمبراطورى ، كان كونفوشيوس لطيف الحديث ، رقيق الحاشية ، أما مع كبار الوزراء فقد كان يبدى قدراً من الجد والتوقير ، فإذا جاء سيد الممالك { صاحب الجلالة الإمبراطور ! } بدت على كونفوشيوس أمارات الإكبار والتبجيل { مع قدر ملحوظ من التهيب } ! .

٣-١٠ ولقد كان كونفوشيوس حريصاً على قواعد المظهر اللائق والسلوك القويم ؛ فكان إذا ما كلفه الملك باستقبال الوفود الأجنبية ، أظهر الجد والاهتمام ، ثم مشى بكل تؤدة { كما يقضى البروتوكول ! } نحو بهو الاستقبال الكبير ، ويشيع فى

الجو روح الود والاحترام بوجه صاف ولسان طلق ، ومنظر متأنق ، فإذا ما انتهت المراسم وغادر الضيوف ، عاد إلى الملك بتقرير واف عن المقابلة فلا يدع كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها .

٤-١٠ كان كونفوشيوس وهو يذلف من بوابة القصر الامبراطورى الكبير يتصرف طبقا للقواعد المتبعة فى حرص بالغ ، فإذا مر أمام منصة العرش ، اتخذ ملامح الجد ، وأسرع قليلا فى مشيته ، وغض من صوته . فإذا ارتقى السلم المؤدى إلى المنصة ، أمسك بجانب ردهائه وأشاح به قليلا ، وصارت أفعاله تصدر فى غاية الهدوء واللباقة . ثم إذا عاد أدراجه ، نزل السلم فى خطوات سريعة بغير صوت ، وقد بدت عليه علامات ارتياح ، ثم ينطلق إلى مكانه المخصص له ، فيجلس هادئا رزيناً .

٥-١٠ فى المهام الرسمية التى أوفد فيها كونفوشيوس خارج البلاد ، فقد كان يرفع الجوهرة الملكية الكريمة فى الصندوق بكلتا يديه ، ويعرضها ، حسب ما تقضى به المراسيم على جمهور الحاضرين ، فيرفعها عاليا بإجلال ، ثم يخفضها منحنياً باحترام ، كأنه يتأهب بتسليمها ليد ضيف كريم ، بينما تنطق ملامحه أثناء ذلك بالفخر والاعتزاز ، فإذا شئ فى الردة الطويلة ، اتخذ مساراً مستقيماً ، كأن يمشی على خيط رفيع . وكان يحرص على إظهار الحفاوة والبهجة أثناء حفلات تقديم الهدايا ثم كان إذا جلس إلى مائدة المفاوضات مع أعضاء الوفود الأجنبية ، ظل محافظاً على مظهر يفيض بالود والثقة .

٦-١٠ العاقل من يدقق فى أناقته ، ومظهره العام ، واختيار المناسب

من الثياب ؛ ففيما يخص الملابس اليومية العادية { غير الرسمية } فليعرض عن الحلل ذات الحواف الرمادية أو البنفسجية أو الحمراء الوردية، فكلها لاتليق ، أما فى شهور الصيف القائظ ، فليس أكثر ملاءمة من الثياب الكتانية غير المبطنة ، على أن تليها صديرية خفيفة . أما الثياب الثقيلة { المناسبة للشتاء ! } فأفضلها المبطن أو المزين بالفراء ، بشرط أن تتوافر درجات الألوان بين الأردنية الظاهرة وما يبطنها من الفراء ؛ فالمعطف الجلدى الأسود من جلود الضأن ، يناسبه فراء أسود . أما السترة الجلدية البيضاء ، التى من جلد الغزلان ، فبطانتها من الفراء الأبيض كذلك ، والصفراء بطانتها فراء أصفر ، من الفصيلة الشعلىة ، ويفضل أن تكون الملابس اليومية فضفاضة وطويلة ، على أن يقصر الكم الأيمن قليلا إلى ما فوق الرسغ . ثم إن مقدار طول بطانية النوم لابد أن يكون بحساب طول الشخص مرة ونصف المرة ، ويفضل أن تبطن حشايا متكأ الجلوس ، بأجود فراء الثعالب، وفيما خلا فترة الحداد ، يستطيع المرء أن يرتدى ماوافق رغبته ، فلا ينبغي أن يزيد طول المتزر أكثر من المعتاد وذلك باستثناء ثياب العمل الرسمية . وليس لعاقل أن يذهب للمواساة بثياب جلدية سوداء مبطنة بفراء ولابقبعة سوداء أيضا ، ويفضل أن يذهب السادة المهذبون إلى القصر الامبراطورى فى أوائل الشهور القمرية بثيابهم الرسمية الكاملة .

٧-١٠ . ومن الآداب القويعة ، أثناء فترة الصوم ، أن يرتدى الصائم لباس استحمام قطنى ، وألا يقرب الخمر أو اللحوم مطلقا ،

كما ينبغي ألا يقيم الرجل مع امرأته في غرفة واحدة أو يمسه طوال فترة الصوم .

٨-١٠ لا ينبغي أن يغسل الأرز حتى يبيض لونه ، ولا يقطع اللحم حتى يصير نثفاً بالغة الصنر ، ولا يأكل طعاماً تحللت أجزاؤه ، أو تغير لونه وأنتنت رائحته ، وحذار من طعام نبيء أو أكلة قليلة لاتشيع ، ويتعفف عن ذبيحة مرت برقبتها السكين على غير ماأقرته الشرائع المعهودة ولا يأكل لحماً بغير توابل . وإذا جلس إلى مائدة . فليكن طبقه المفضل هو الأرز وليس اللحم ، فتلك من آداب المائدة . وأن يشرب من الخمر بالقدر الذي لا يضيع منه عقله ، وليحذر وما تبيعه الأسواق العامة من لحوم أو خمور { فاسدة ، غير مناسبة للاستهلاك ! } واعلم أن القليل من الأعشاب العطرية بعد الأكل ، يشد اللثة ويروق النكهة ، ويلطف اللعاب ، ويذهب برائحة الطعام من الفم .

٩-١٠ كان كونفوشيوس يشارك مع الأباطرة في الأعياد الرسمية لتقديم القرابين ، فكان إذا منحوه قطعة من اللحم ، تناولها فاكلها في اليوم نفسه ، فلا يدع منها شيئاً في خزانة مطبخه ، وقد اعتاد ألا يقرب لحوم القرابين ، إذا مرت عليها ثلاث ليال كاملة . (٥٦)

١٠-١٠ لم يكن كونفوشيوس يحرك لسانه بالكلام عند الطعام وعند النوم .

١١-١٠ كان كونفوشيوس مواظباً على تقديم القرابين : يتقيها مما تيسر له من الطعام ، ومن أطايب المائدة ، متبعاً ذلك بفروض

الاحترام الواجبة .

١٢-١٠ بلغت كونفوشيوس عزة النفس والأنفة ، أنه لم يكن يجلس على كرسي لم يعد له حسب قواعد الآداب العامة .

١٣-١٠ كان كونفوشيوس يختلف إلى مآدب السمر في قريته ، يتحدث ويشرب مع الفلاحين ، ولم يكن يغادر مجلسه ، حتى يسبقه أكبر الناس سناً { مبالغة في الاحترام ! } .

١٤-١٠ ولطالما شارك المعلم في المناسبات الدينية والعقائدية ، التي كان يقيمها أهالي قريته من الريفيين البسطاء ؛ فكان يرتدى ربه الرسمي ، ويقف عند المدخل الأيمن للمعبد ، وهو المكان المخصص للضيوف والزوار .

١٥-١٠ كان من عادة كونفوشيوس ، إذا عهد إلى رسول بإبلاغ تحية أو إرسال خطاب إلى صديق بعيد ، أن يرافقه حتى أول طريق السفر ثم يودّعه وهو ينحني له مرتين ، احتراماً وعرفاناً .

١٦-١٠ تلقى كونفوشيوس ، من السيد « جيكانزى » مجموعة من الأعشاب الطبية النادرة ، فقبلها منه ، وانحني له احتراماً ، لكنه قال : بالرغم من أنى قبلت تلك الأعشاب الطبية ، لكنى لن استعملها ، وذلك لأنى لا أعرف شيئاً عن خصائصها ومدى نفعها وضررها ، فليس كل دواء يشفى ولا كل داء يمت . »

١٧-١٠ كان حريق هائل قد شب في ملود للخيول ، فهرع كونفوشيوس إلى مكان الحادث ، وطفق يسأل : « هل أصيب إنسان ؟ » ولم يكثرث لما أصاب الخيل ، ولا سأل عنها في تلك الساعة .

١٨-١٠ ان كونفوشيوس عارفا بأصول الآداب مع أباطرة الممالك فى
رمته فكان إذا أرسل إليه الملك طعاما ، تناول منه شيئا بسيطا ،
ليتذوقه ثم يشكر سيده على الفضل والإنعام ، فإذا جاءوا له من
القصر بلحم نئى ، طبخه ، وأخذ منه قدرا يسيرا ، ليقدمه
قربانا للموتى ، فإذا أرسل إليه الأمير طيوراً نادرة أو حيوانات
أليفة ، على سبيل التحية ، أخذها فترفق بها وأطعمها واعتنى
بها غاية الاعتناء ، وإذا دعى إلى مأدبة ملكية بادر إلى الطبق
الموضوع أمام جلالة الملك فأكل منه نزرأ يسيرا ، بحسب ما
تقضى به الأعراف .

١٩-١٠ ذهب جلالة الامبراطور إلى كونفوشيوس ، ليعوده فى مرضه
الذى ألم به ، وبالرغم من آثار المرض ، الذى أقعده ومنعه عن
الحركة ، فقد اجتهد المعلم فى تحية الزائر المهيّب ، فغطى نفسه
وهو راقد بالزى الرسمى ، وعقد حول جسده شارة التاج
الامبراطورى ، وأدار وجهه ناحية الشرق ، تعبيراً عن الإجلال
والإكبار .

٢٠-١٠ أرسل جلالة الامبراطور يستدعى كونفوشيوس فى أمر عاجل
، فذهب إليه ، يهرول على قدميه ، ولم ينتظر ، حتى ،
ليسرجوا له الخيل ويعدوا له الموكب .

٢١-١٠ كان من عادة كونفوشيوس إذا دخل معبداً فى
مملكة « تشوغو » أن يتفقد كل الزوايا والأركان ، مستفسراً
عن أدق التفاصيل ، تلافياً للوقوع فى محذور ، وتجنباً للإساءة
إلى مشاعر المصلين وطقوس العبادة . (٥٧)

٢٢-١٠ كان -كونفوشيوس إذا -مات له صديق ، ولم يجد كفناً ولا أهلاً يشيعونه ، تقدم فبادر بنفسه إلى القيام بكل أعباء الدفن والجنائز .

٢٣-١٠ لم يكن كونفوشيوس يحب أن يحنى رأسه ، حتى وهو يستقبل هدايا أصدقائه الفاخرة الثمينة ، إلا إذا كانت الهدية لحم قربان مقدس ، فكان ذلك استثناء فريدا .

٢٤-١٠ لم يكن من عادة كونفوشيوس وهو نائم ، أن ينبطح أو يستلقى ممدداً على سريريه مثل جثة هامدة ، ولم يكن فى حياته الشخصية { فى بيته } يتصرف بمتهى الحيلة والجدية اللتين اتسم بهما فى مظهره أثناء العمل أو العبادة ، وإنما كان يتبسط كثيراً ويلين عريكته .

٢٥-١٠ لم يكن كونفوشيوس يتوانى عن مواساة محزون فى ثياب حداد، سواء أكان صديقاً له، أو من آحاد الناس ، وكان يقف تحية للمستول الحكومى الكبير ، وللكفيف فاقد البصر ، ولكل من يحمل كتباً وصحائف { من الدراسين } أو نعشاً فى جنازة ، فكان يميل برأسه نحوهم أو يترجل إن كان راكباً . فإذا دعى إلى مأدبة فاخرة ، حيا القوم بما يناسبهم من التقدير والاحترام وكان إلى جانب هذا كله ، رقيق الوجه والوجدان ، تفزع ملامحه إذا عصفت ريح أو أرعد البرق فى السماء .

٢٦-١٠ كان كونفوشيوس شديد الحرص على قواعد السلوك، حتى وهو يصعد إلى مركبته؛ فكان يقف معتدلاً الجسد ويقبض بكفيه على مقبض الأمان مستنداً إليه ، ثم يصعد متمهلاً واثقاً

فإذا ما استوى قاعدا ، هدأت حركته ، فلا يلتفت خلفه ، ولا يصبح بصوته ، ولا يشير أو يلوح بيده كثيرا . . أو نحو ذلك من الأفعال المحظورة على الراكب .

٢٧-١٠ كان « ريلو » وكونفوشيوس يتجولان قريبا من أحد الأودية فقيما هما سائران ، إذ دبّت أقدامهما على أرض مليئة بالحجارة فتعثرت بها وأصدرت ضجة صاخبة ، فإذا أسراب من الطيور ، تخرج من بين الأغصان والأعشاش وتفر هاربة إلى ربوة عالية ، فلما هدأ الجو ، حلقت فعادت إلى مواضعها الأولى ، فقال كونفوشيوس : « يا لذكاء تلك الطيور ؛ ولت هاربة عندما استشعرت خطرا ، وحطّت عائدة لما أدركت الأمان ، فلا بد أن لديها عقلا يدرك ويحلل ويستجيب ويتألف على نحو بالغ الدقة والإتقان ! » ثم إن « ريلو » اتجه نحو الطيور ملوحاً لها بالتحية ، فتفافزت الأسراب ذعراً ، وحلقت عاليا في السماء . (٥٨)

« شياجين »

وجملته ستة وعشرون فصلا

- ١-١١ قال كونفوشيوس : « إن المتعلمين من أولاد البسطاء ، يبدأون طريق حياتهم بتحصيل العلوم والفنون ومبادئ الذوق الرفيع ، عبوراً إلى الترقى فى سلك الوظائف العامة والمراكز الاجتماعية ، أما أبناء الذوات فيقفزون مباشرة إلى الوظائف المرموقة والمراكز الاجتماعية المتقدمة ويعدها يتخبطون دروباً ومسالك وعرة لاكتساب ما فاتهم من علم وفن وذوق أصيل ، ولو خيّر ، لفضلت الذين يبدأون بالعلوم والفنون . »
- ٢-١١ قال كونفوشيوس : « إن نسيت ، فلن أنسى ما حييت - أولئك الذين قاسوا معى أهوال الترحال والسغب والمشقة فى منطقتى « تشن » و « ساي (٥٩) ، لقد ذهبوا وماعاد أحد منهم باقياً إلى الآن . »
- ٣-١١ تميزت كل طائفة من تلاميذ كونفوشيوس بنبوغها ، وتفرقها الخاص ، فى ميادين العلم المختلفة ، وفى الاخلاق والفضائل ، كان هناك « يان يوان » ، و « ميترى تشين » ، « ران بونيو » « جون كونغ » ، وفى البلاغة والبيان : « رايو »

« تسيكون » ، وفى أصول الحكم وقواعد الإدارة : « رانيو » ،
و « ريلو » ، أما فى التراث والأدب القديم ، فقد برع كل
من : « زايو » و « ريشيا » .

٤-١١ قال كونفوشيوس : « لاأظن أن « يان هوى » هو
خيرالأصحاب وأقرب المخلصين ؛ فهو يوافقنى على كل ما
أقول وتعجبه كل آرائى ويهز لى رأسه طريراً إذا كلمته . . . كلا
. . هذا الرجل لن ينفعنى بشئ ! لا يصلح لصداقتى ! » .

٥-١١ قال كونفوشيوس : « كم أحسد « ريشيان » على وفائه
لأسرته ؛ فهو وإياهم فى رباط ود متين ، حتى أظن أن أهل
الأرض جميعاً لايقدرّون أن يزيّفوا قلبه أو يفسدوا إخلاصه .
كان « نان رونغ » - تلميذ كونفوشيوس - يردد الكثير من
آيات الشعر القديم ، وبخاصة ما ورد فى « كتاب القصائد » ،
فاعجب المعلم بحسه المرفف وذوقه الراقى حتى أنه روّجه بابتة
أخيه . (٦٠)

٦-١١ جاء « جيكانزى » إلى كونفوشيوس ، وسأله : « أى تلاميذك
أكثر شغفا بالعلم والدراسة ؟ » فأجابه : « كان « يان هوى »
وحده ، أداّب وأحرص الناس على الدرس والتحصيل ، حباً
وشرفاً وغاية ، إلا أنه مات صغيراً ، ولم أجد على شاكلته
أحداً من بعده . »

٧-١١ لما توفى « يان يوان » ، جاء أبوه « يان لو » - تلميذ
كونفوشيوس أيضاً - إلى المعلم ورجاه أن يفعل أى شئ كى
يصنع للمتوفى صندوقاً جنازياً مهيباً ، حتى لو اقتضى الأمر أن

يبيع (يعنى ...كونفوشيوس) مركبته الرسمية ، فأجابه المعلم ، قائلاً : « أيا كان الأمر ، فقد سبق أن مات لى ولد (يقصد ابنه كونغ لى) ولم أصنع له إلا كفناً بسيطاً . ولست مستعداً أن أبيع مركبتى كى اشتري صندوق جنازة ، فتلك العربى ، أهديت لى ، مكافأة ، نظير عملى كوزير سابق فى بلاط جلاله الامبراطور ، ولايجوز لى - حسب السلطانيه - أن أمشى بين الناس من دون مركبة رسمية . »

٩-١١ فى اليوم الذى توفى فيه « يان يوان » { أحب تلاميذ كونفوشيوس إلى نفسه .. كان يعده ليخلفه على عرش الحكمة والفلسفة الصينية . لولا الموت الذى عاجله ! } وقف المعلم بين تلاميذه وشخص يبصره إلى السماء وهو يسكى ويقول : أيتها السموات .. لقد فجعتنى بموته .. قتلتنى بفقدته ! »

١٠-١١ عندما توفى يان يوان ، حزن عليه كونفوشيوس ، وانتحب ، حتى أخذ بعض تلاميذه يواسونه ، ويهدثون خاطره ، قائلين : لقد انفطر كبك حزننا عليه ياسيدى ، وإنك لتجزع لموته ، مثلما لم تجزع لأحد قبله .. فهون عليك ! ، فأجابهم : « لم أصب بمثل قط ، فلهذا تبكيه عيني بدموع حياتى كلها ! »

١١-١١ عندما توفى « يان يوان » فكر زملاؤه فى إقامة مراسم جنازية مهيبه ، فاعترض كونفوشيوس متعللاً بأن ذلك أمر غير جائز أصلاً ، إلا أن التلاميذ ، تشبثوا بفكرتهم ، ونفذوا رأيهم فلما بلغ ذلك المعلم ، قال لهم : « لقد كان يوان يعاملنى ببالغ الود والاحترام ، وكأنى أبوه الذى تعهده بالتربية والرعاية ، إلا

انى لم أكن أحب أن أعامله بوصفه واحداً من ابنائى { حتى لا تثور أنفسكم بتفضيلى إياه ! } ولم أكن لأوافق أبداً على فكرة الجنائز المهيبة تلك . بل أنتم الذين اقترحتم ، وقمتم بكل الترتيبات { برغم معارضتى إياكم ! } .

١٢-١١ جاء زيلو إلى كونفوشيوس ، وسأله عن أفضل الطقوس الممكنة لاسترضاء الأرواح الهائمة فى الملكوت ، فأجابه ، قال : « وهل فعلنا ما يرضى البشر ، حتى نسعى لارضاء الأرواح ؟ » ثم إن الرجل سأله ثانية : « أتدرى سيدى ، ما هو الموت ؟ ! » فأجابه : « لئن كنا لم نفهم كنه الحياة بعد ، فكيف لنا أن نعرف ماهية الموت ؟ »

١٣-١١ كان ميترز شيان مؤدباً فاضلاً ، يعامل أستاذه « كونفوشيوس » باحترام وإكبار ، أما « زيلو » فقد كان سمحاً كريماً ، مع صلابه فى الطبع ، بينما تميز كل من : « رانيو » ، و « تسيكون » بخفة الروح ودماثة الخلق ، مع ميل واضح إلى مزاج التبسط والمرح فهؤلاء نفر من الرجال كانوا أقرب مكانة والطف ودأ إلى كونفوشيوس وكان يثنى عليهم ، إلا أنه قال عنهم ذات مرة : « لشد ما أخشى على « زيلو » من تقلبات الدهر ؛ فقد لاحظت فى خصاله غلظة بادية ونزوع إلى الصلف والمعاندة ، ومثل هؤلاء الناس { بهاتيك الصفات ! } يموتون ميتة شنعاء . »

١٤-١١ كان المستولون فى حكومة مملكة « لوكو » قد قرروا إنشاء مركز جديد لمبنى الخزانة العامة ، وكان ميترز شيان حاضراً أثناء

المنافشات، فعلق على هذا المشروع بقوله : « ما الداعى إلى إقامة مبنى جديد ؟ ألا يمكن تجديد وترسيم المبنى القائم بحيث يراعى تطويره حسب النظم الحديثة ؟ » فبلغ ذلك المعلم ، فقال : « عجباً لهذا الرجل ، يسكت دهوراً وينطق جوهراً مشوراً . »

١٥-١١ قال كونفوشيوس : « بش ما فعل « جونيو » ، ألا يدرك أن إزعاج الآخرين غير مقبول ! كيف يجرؤ على إحضار قيثارته ليعزف ويلهو فى بيتى ! » ثم إن باقى التلاميذ عرفوا بهذا الأمر ، فاستصغروا « جونيو » ، وحقروه للغاية ، وعلم كونفوشيوس بذلك ، فانتقدهم قائلاً : « إياكم والتقليل من شأنه ، وانظروا إلى اجتهاده فى التحصيل { والنواحى الإيجابية فى شخصيته ! } فقد درس علوماً لا بأس بها ، ولا ينقصه إلا النذر اليسير ! »

١٦-١١ جاء « تسيكون » إلى كونفوشيوس ، وسأله : « أى تلميذك الأشد ذكاءً ، « توانسون شى » (٦١) أم « بوشانغ » ؟ (٦٢) » فأجابه : « أولهما شديد الذكاء والنبوغ أكثر من اللازم ، والآخر ذكاؤه أقل من اللازم ! » فسأله تسيكون : « إذن .. فهل يمكن القول بأن « توانسون شى » أفضل من زميله ؟ » فرد عليه ، قائلاً : « فى الحق ، فإن شدة الذكاء ، مثل منتهى الغباء ، كلاهما متطرف ، كلاهما لا يصلح . »

١٧-١١ كان « جيسون » رئيس عائلة « سونشى » أكثر ثراء من الأمير « جوكون » ، إلا أنه كان طماعاً جشعاً ، ثم إن رانشيو (٦٣) أخذ يناصره ويتحيل له أخبث الوسائل ليزداد ثروة . وبلغ ذلك

كونفوشيوس ، فقال لتلاميذه : « إذا رأيتم « رانشيو » ، فأبلغوه بأننى لن أفتح له باب بيتى منذ اليوم ، فما عاد تلميذى بعد فعلته هذه ، وإنه عندى مذموم محتقر ، ويمكنكم أن تلهجوا بسيرته بين الناس وتفضحوا أعماله على الملأ ، وإنه يستحق لذلك ! »

١٨-١١ قال كونفوشيوس : « نظرت فإذا كوتشاي » (٦٤) أقل

تلاميذى فطنة ، أما « سندشن » ، فقبيد كان أقلهم نشاطا ، وكان « جوانسون » أكثرهم تطرفا فى الرأى ، ولم يكن سوى « جونيو » أكثرهم طيشا ، من دون تبصر للعواقب .

١٩-١١ قال كونفوشيوس : « ليس أغرب من الأقدار ! ولقد تأملت

فرايت « يان هوى » من أكثر تلاميذى نبوغا فى العلم ورفعة فى الخلق والفضائل ، لكنه ، مع ذلك ، كان يعانى الفقر المدقع ، والعمى المزمن ، بينما كان « توانموسى » من أشد تلاميذى سخطا على الواقع المؤلم ، فلما انحدرت فى الأعمال التجارية ، ازدهرت حاله ، وصارت الأيام تزيد هناءة وعيشا رغدا .

٢٠-١١ جاء « زيجانغ » إلى كونفوشيوس ، وسأله عما يجب أن

يفعله المرء كي تسمو أخلاقه ، ويسلك طريق الخير والفضيلة ، فأجابه ، قال : « الماجد لا يتهج طريقا سهلا ، سلك به السابقون ، ولا يطمح إلى ارتقاء درجة القداسة والاكتمال ، فذلك مما لا يبلغه إنسان أبدا . »

٢١-١١ قال كونفوشيوس : « يعجبني فى الرجل إخلاصه ومروءته ،

وحميد خصاله ، لكننى أتمهل كثيرا ، وأتأمل أكثر ، قبل أن

أشهد له بيلوغ منزلة الشرف العظيم ، فمن يدرى إن كان نزيها
صادقا أو دعيًا كاذبا . »

١١-٢٢ قام « زيلو » إلى كونفوشيوس ، فسأله : « أترى ينبغي على
المرء أن يتبع النظر بالعمل ، وأن يقرن الفكر بالتطبيق
والممارسة ؟ » فأجابه : « ولماذا تنطلق مباشرة من خير الفكر
إلى مجال العمل دون التروى والتدبر ، أليس لك أب تستشير ،
أو أخ ترجع إليه ؟ ! » ثم قام « رانشيو » أيضا وسأله السؤال
نفسه { بصيغة مختلفة بعض الشيء ! } فأجابه المعلم : « نعم
لامراء فى أنه يجب على المرء أن يقرن الفكر بالتطبيق . » وهنا ،
قام كون شيهوا وقال لكونفوشيوس : « أنت تحيرنى ياسيدى ،
فقد سألك كلاهما أمرا واحداً فأجبت إجابتين مختلفتين ، فهلا
تفضلت بإيضاح المعنى ، وإزالة العجمة ! ؟ » فقال له المعلم :
« أما « رانشيو » فهىاب متردد ، فشجعتة على الإقدام ، لكن «
زيلو » طائش ، أرعن فأردت كبح جماحه ! »

١١-٢٣ لما وقع كونفوشيوس فى أسر الحصار ببلدة « كوانغ » ، لحق به
كل تلاميذه ، ، ما عدا « يان يوان » ؛ فقد ضل الطريق ،
ووصل متأخرا ، فقال له كونفوشيوس : « أين كنت ، لقد
ظننت أنك هلكت وانقضى أمرك . » فأجابه « يان يوان » ، قال :
« كيف أموت وأنت حى ترزق . . لقد ظننت أنه لاينبغى
للتلميذ أن يسبق أستاذه ، حتى فى تلك الأمور ! »

١١-٢٤ جاء جيزيان (أحد كبار عائلة جيسون) إلى كونفوشيوس ،
وسأله : « يصلح كل من « جونيو » و « رانشيو » للمناصب

الوزارية ؟ » فأجابه ، قال : « ما أحرى بك أن تسأل غيرى ، أما وقد سألتنى ، فأود أن أنبهك أولاً أن من مقتضيات ذلك المنصب الخطير ، خالص الولاء للأمير ، ومتتهى الوفاء لمبادئ الأخلاق ، وإلا فالاستقالة شرف وكرامة ، ويعد ، وبحسب ماذكرت ، فليس أكفاً عندى من « جونيو » و « رانشيو » لهذا المنصب . » فسأله الرجل ثانية : « أنظنهما يبلغان مبلغ الطاعة العمياء لرؤسائهما ؟ » فأجابه : « إلا فى غدر بصاحب الجلالة ، أو عقوق بأهل . »

٢٥-١١ قام « ريلو » بترشيح وتزكية تسيكاو « (٦٥) لمنصب الحاكم العام لمنطقة « فيشيان » ، فبلغ ذلك كونفوشيوس ، فقال له ، محتجاً : « كيف ترشح لهذا المنصب رجلاً لم يحصل على مؤهلات علمية كافية وجديرة لأعباء المسئولية ؟ إنك بذلك تفسد الحاكم والمحكوم ! » فأجابه « ريلو » ، قال : « هناك ، سيوجد العمال والموظفين والإدارات الحكومية ، والكفاءات المكملة { والآلهة وطقوس المعابد } ، فما حاجته إلى العلوم والشهادات الدراسية ؟ » فأجابه المعلم بقوله : « لأنه رجل لن تجده على لسانه ، سوى هذه المراوغة و « السفسطة » التى تتحدث أنت بها الآن ! »

٢٦-١١ كان التلاميذ الأربعة : « ريلو » و « وسنغشى » و « ورانيو » و « وكون شيهوا » يتجاذبون أطراف الحديث ، وتشعب بهم الحوار . ثم إن كونفوشيوس قال لهم : « أما وأنى الآن قد شاخ عمرى ونالت منى الأيام ، فلست أطمح إلى منافسة أحد ، ولا أظننى

فى موقع يسمح لى بأن أزاحم آخرين ، ولقد كُتِم تشكون دائما
من عدم تقدير الناس لأفكاركم واكثرائهم لوجهات نظرکم ،
فماذا لوظهر أمامنا الآن من يصغى إليکم ببالغ الانتباه
والتقدير ، أترى كُتِم تقولون شيئا ؟ ! »

فانطلق زيلو من فوره ، قال : « لوكنت صاحب سلطة فى
بلد ذات موارد لاتنضب ، لحكمت فيها بالإرادة ارتفعت بها إلى
آفاق المجد ، حتى لو كانت ترزح تحت نير احتلال أو تن تحت
وطأة مجاعة ، وما كنت أريد عن ثلاث سنوات ، حتى أبث
فى روح أهلها الشجاعة والعنفوان ، ، فأخوض بهم حربا
مهولة مظفرة ، تبلغ بهم حد الكرامة والانسانية . » قُبِسَم
المعلم ، وأشار ناحية « رانشيو » ، وقال : « وأنت ، فماذا
عنك ؟ » فأجابه : « لو ملكتنى بلدا كثير الأصقاع مترامى
الأنحاء لجعلت أهله أوفر الناس رخاء وأكثرهم ثروة ، وملكا
عريضا ، أما العبادات والشعائر ، فلا حيلة فى هذا الأمر ، إذ
إنه من اختصاص أولى العلم والفضل . » ثم التفت
كونفوشيوس ناحية كون شيهوا ، فسأله عن آماله وتطلعاته ،
فأجابه ، قال : « ما تمنيت قط سوى أن أعمل خادما فى معبد ،
أؤدى الطقوس والصلوات ، وأرافق النبلاء والأمراء فى مواكب
الاجتماعات واللقاءات الرسمية ، وليس ذلك لآنى أتقن هذا
العمل بثقة وتمكن الخبير العارف ، وإنما لآنى أريد الاستزادة فى
التحصيل والعلم بروح الطالب المستطلع المثابر . » وأخيرا ،
نظر المعلم ناحية « سنعشى » ، وسأله : « فماذا عنك ؟ » وكان

سنغشى ، مشغولا بالعزف على قيثارته ، فلما سأل المعلم ، وضع آلتة جانبا ، وقال : « لست كهؤلاء الثلاثة ، وليس لى مثل مالهم من تطلعات . » فاستدركه كونفوشيوس : « لكننا لم نرد ذلك ، وإنما رأينا أن نخبر عما تنطوى الجوانح وتخترنه سرائر النفوس . » فانطلق « كون شيهوا » يقول : « لا أطمح فى أكثر من كساء قشيب ، وجماعة من خير الأصدقاء ، وليال ربيعية دافئة عند شواطئ أنهار جارية ، حيث أستجم من فيض الشيطان وأتعطر من ريح السهول ونفشات المعابد المقدسة ، ثم أعود إلى بيتى بقلب يتراقص بهجة وهناء . »

ثم تنهد إن كونفوشيوس طويلا ، وقال : « لشد ما أميل إلى ما قاله « سنغشى » ! » فلما خرج كل من زيلو ، ورانبو ، وكون شيهوا . تقدم سنغشى إلى المعلم ، وسأله : « مارأيك ياسيدى فيما سمعت من أولئك الثلاثة ؟ » فأجابه : « هى ليست إلا وجهات نظر ترد إلى أصحابها . » فسأله : « فلم ضحكت من قول زيلو ؟ » فرد عليه ، قال : « لأنه لما كان أساس الحكم هو التواضع والكياسة والتأنى ، فقد كان لزاماً عليه أن يبدى شيئا منها ، لكنه كان بعيدا غاية البعد عن ذلك ، فلهذا ضحكت ! »

وسأله سنغشى ثانية : « إلا ترى رانبو وكون شيهوا كليهما قد أظهر مقدرة على تقلد زمام الحكم والقيادة أيضا ؟ » فأجابه بقوله : « على رسلك ! فإن كنت ضحكت على مقولة . فإنما لأن قائلها لم يظهر التواضع الكافى ، لكنى لأشك أبداً فى قدرته على القيادة أو تمكنه من فنون الحكم ، أما عن كون شيهوا قد تعجب مما قاله كثيرا ؛ فبالرغم من إجادته لكل قواعد المجاملات والطقوس ، التى هى جزء من صميم شئون القيادة ، وأصول إدارة الممالك وأسس الأخلاق ، إلا أنه يقنع بالعمل مساعداً من الدرجة الثانية للأمرء والمسؤولين . فمن غيره يتولى زمام الأمر ويرتقى الدرجة العالية الشريفة ! »

الباب الثاني عشر

«يان يوان»

وجملته أربعة وعشرون فصلا

١-١٢ جاء يان يوان إلى كونفوشيوس ، وسأله : ما الإحسان ؟ ،
فأجابه : «أن تأخذ نفسك بالشدة والحزم حتى تروضها بما يلائم
المبادئ الموضوعة ، فذاك هو الإحسان ، لأنك إن فعلت ذلك ،
شهد لك الخلق شهادة حق ، واعترفوا لك بما لا يشويه الباطل ،
فعليك بنفسك ، بعزم إرادتك الفردية ؛ فهي أمور لاتنفع فيها
نصرة أو مدد» . ثم سأله يان يوان : «فما السبيل إلى ذلك ؟
وأنى لى بالوسيلة ؟» فأجابه : «لاتنظرن إلى شئ يخالف
الشرائع ، ولا تميلن بأذنك إلى قول يجافيهما ، ولاتأتين قولا أو
فعلا ينقض ركنها المتين.» فعندئذ قال يان يوان : «فأنا على
هذا المنهاج أسلك مريدا مشابرا ، حتى لو بلغت العثرات أعناق
السحاب» .

٢-١٢ جاء «جونكون» وسأل كونفوشيوس عن الإحسان ، ماهو ؟ ،
فأجابه : «أن تؤدى عملك بإتقان وإخلاص وأمانة ، كأنك تبذل
فى سبيله ماتبذله لضعيف عزيز غال ، وأن تعامل الذين تحت
إمرتك بالحسنى (بالخشية والحنن ، كأنك تقيم شعائر

العبادات!!) ولا تفرضن على غيرك مالا تطيقه أنت (حرفيا : ماتكرهه لنفسك ، لاتحبه لغيرك!) فلا ييقين فى الأرض مكان لشكوى أو تذمر . وهنا قال جونكون : «فأنا على طريقك ياسيدى ، برغم أهواء النفس وهفوات العقل الجامح» .

٣-١٢ جاء سيمانيو (٦٦) إلى كونفوشيوس ، وسأله عما يكون الإحسان ؟ ، فقال : «أن تحذر فى قولك ، وتعصم لسانك من الزلل» . فسأله ثانية : «أىكون الإحسان هكذا؟ .. مجرد حذر فى القول؟» فأجابه كونفوشيوس : «إن من يؤاخذ نفسه بما فعلت يده ، فيعرف حدود قوته وضعفه لابد سيدقق كثيرا قبل أن يحرك لسانه فى فمه (حرفيا : كيف يجارف بالقول السهل من يقدر دقة المخاطر وجدية العمل (١٩)(٦٧)

٤-١٢ جاء سيمانيو إلى كونفوشيوس وسأله عن أعظم الناس أخلاقا كيف يكون ؟ وبم يعرف بين الورى ؟ فأجابه : «من حسنت أخلاقه ، تشرق سيماء وتصفو ، بغير أثر لضيق أو خوف فى ملامحه» . فتعجب سيمانيو ، وقال : «أهو ذاك ؟ أىكون الرجل الفاضل مشرق الطلعة ، لائحائف ولاقلق ..

(أهذا كل مافى الموضوع؟) فأجابه المعلم : «وكيف يجرب الخوف أو القلق من لم يقترف إثما يكبل ضميره ، أو شائنة تتقل على وجدانه؟» .

٥-١٢ جاء سيمانيو إلى زيشيا ، وتحدث إليه بصوت ملؤه الأسى ، قال : «يحزننى كثيرا ياسيدى ألا يكون لى إخوة أشقاء مثل باقى الناس!» فرد عليه مواسيا ، قال : «هناك حكمة قديمة

مفادها أن الحياة والموت بيد القدر ، كما أن الثروة والجاه تقدير من السماء ، فليعمل الإنسان صالحا وليحفظ نفسه من الزلل ، وليترق بالناس ، فإنما الكل إخوة!

٦-١٢ جاء زيجانغ إلى كونفوشيوس ، وسأله : ما السبيل إلى الكياسة والفتنة ؟ فأجابه ، قال : «إعلم أن المرء يصير حكيما عاقلا عندما يبلغه طوفان هادر من خبيث الأقاويل كسيل البحر ، فيخسر عند قدميه زيد موج خائر ، ولا يعد الرجل فطنا ثاقب النظر إلا إذا أزال عن عينيه غشاوة من أكاذيب مغرضة تحجب أخفى أسرار الحقائق» .

٧-١٢ جاء تسيكون إلى كونفوشيوس ، فسأله عن أساس الحكم في الممالك الكبرى ، فأنبأه بذلك قائلا : «أسس الحكم تتمثل في ثلاث : احتياطي من غذاء وافر ، وقوة جيوش ضاربة ، وثقة بين الحاكم والمحكوم!» وعاد تسيكون يسأله : «فماذا لو دعنتي الحاجة إلى اختيار واحدة فقط من بين هذه الثلاث ، فأبها ألقى جانباً؟» فأجابه : «قوة الجيش الضارب» . فسأله ثانية : «فأى من الاثنتين الباقيتين أغفل من حسابي ، إذا مادعت الضرورة إلى ذلك ؟» فقال له المعلم : «لك أن تدع احتياطي الغذاء الوافر ، برغم ماقد ينجم عن ذلك من خطر الهلاك والمجاعة ، لكن مسيرة الزمن علمتنا أن الموت قدر محتوم على الإنسان ، في كل الأحوال ، شيع أم جاع ، وإنما شر الهلاك ورأس البلاء جميعا : فقدان الثقة بين الشعب وحكومته» .

٨-١٢ جاء «جيزشن» (أحد الوزراء في دولة «ويشو» بالصين

القديمة) ، إلى تسيكون ، وسأله : «قد عرفنا أن الرجل بمخبره لا بمظهره ، بشخصه المركوز فى طبعه ، وليس بسيماه البادية ! فقيم إذن تأكيدكم على أهمية «الشكليات» الطقوسية وآداب المجاملات العامة ؟» فأجابه : «ما يؤسف له أن يأتى هذا السؤال على لسانك ياسيدى وأنت الشريف الجليل ، العليم بالأصول ! لكنها كلمة سبقت (وماخرج من فم لايعود) والكلمات مثل ركض الخيول ، إذا انطلقت لاتنكص على أعقابها ولاترجع القهقرى . والحق ، أن المظهر والمخبر كليهما على قدر واحد من الأهمية : فأنت إن سلخت الجلد والفراء تساوت فى ناظريك النمر مع الفهود وتشابهت الحملان مع الذئاب» .

٩-١٢ جاء الدوق «آيكون» إلى «يورو» (٦٨) وقلبه مشغول بمسألة تخيره ، وقال له : «لاندري كيف نجد موارد كافية لإصلاح الأحوال المالية المتعثرة ، وماالعمل وقد أجذبت الأرض وهزل الزرع والحصاد فى عامنا هذا ؟» فنصح له «يورو» بتطبيق نظام جباية الضرائب بالنسبة العشرية ، فرد عليه الدوق ، قائلاً : «لو فعلت ، فلن يعود علىّ هذا بما يكفى ، حتى لو رفعت الضريبة إلى عشرين بالمائة ، فلن تغل شيئاً ذا بال» . فأجابه يورو : «إنه لأمر عجيب أن يعسر الحاكم وتومسر الرعية ، والأعجب ، بل والأغرب منه أن يعبئ الحاكم خزائنه على حساب رعية فقيرة معسرة!» .

١٠-١٢ جاء زيجانغ إلى كونفوشيوس ، فسأله عما تحسن به أخلاق

المرء ، وما يهدى إلى التبصر فى الأمور وتبيان الحق من الباطل ، فأجابه : « عليك بالمخلصين الصادقين ، فعندهم منابع الفضيلة ، فانهل مما تجده عندهم تحسن أخلاقك ، ثم إنك إذا أحبيت إنسانا تمنيت له الخير ، وطول البقاء ، وإذا أبغضت أحداً لعتة وتمنيت له المنايا ، أليس كذلك ؟ » لكنك إن كنت فى موقف تدعو فيه بالخير والشر معا ، تحب شيئاً وتبغضه فى آن واحد ، فذلك هو الضلال بعينه ، فافهم ذلك ! » (٦٩)

١٢-١١ جاء الأمير «جين» من دولة «تشيقر» وسأل كونفوشيوس عن فلسفة الحكم فى البلاد ، فأجابه : « الأساس عندى هو أن يلزم كل كاهن معبده ، وكل شيخ طريقته ، فللأمير إمارته ، وللوزير مكانته ، وللوالد مسئوليته ، كما على الابن طاعته . فرد الأمير من فوره : « صدقت وأحسنت ياسيدى ، فلو لم يكن الأمير أميراً ، والوزير وزيراً ، ولكل حدود طوقسه ، ومجال نفوذه ، لفسدت الأحوال والممالك ، ولما وجدنا مانقات به ، حتى لو تكدست الغلال فى المخازن .

١٢-١٢ قال كونفوشيوس : « نظرت فلم أجد سوى «جونيو» وحده هو الذى يملك القدرة على أن يحكم فى قضية شائكة ، مكتفياً بشهادة طرف واحد فى النزاع ؛ ذلك لأنه بما عرف عنه من نزاهة وصدق وإخلاص ، يستخلص شهادة الحق من ضمير المتخاصمين لديه . » (٧٠)

١٣-١٢ قال كونفوشيوس : « لما كنت متولياً شئون القضاء فى دولة «لوكو» ، فقد كنت أنظر فى القضايا القانونية ، ولم أكن أتبع

منهاجا يخالف الشرائع المعهودة ؛ فما تقاعست يوما عن فض
المنارعات ، ولا عطلت إقامة الدعاوى أو الشروع فى التمهيد
لإجراءاتها بأية حال .

١٤-١٢ جاء «ريجانغ» إلى كونفوشيوس ، وسأله النصيحة فى مجال
الوظائف الرسمية ، فقال له : «على من يتولى منصبا رسميا
عاما أن يدقق فيما يصدر على لسانه ، فلا يقولن إلا ما هو حق
، وألا يقصر أو يتراخى فى مستوى أدائه العام ، وأن يطبق
اللوائح والنظام بكل إخلاص وتفان» .

١٥-١٢ قال كونفوشيوس : «إنه لا يضل أبدا من طالع الآداب القديمة
، ووعاها بقلبه وعقله ، ثم أدب نفسه بالمبادئ القوية والنهج
الشريف العالى» .

١٦-١٢ قال كونفوشيوس : «الماجد الشريف يعين على فعل الخير ،
ولا يعطى يده للشر ، أما الدنى الأحمق فيسلك عكس ذلك
تماما» .

١٧-١٢ جاء «جيكانزى» إلى كونفوشيوس وسأله عن أساس الحكم ،
كيف يكون ؟ وما هو ؟ فأجابه : «الحكم كلمة صيغت من معنى
الإحكام وال ضبط والاستقامة بلا عوج ، فإن لزم هذا المعنى
ووطدت نفسك عليه ، انقادت لك الدنيا بأسرها» .

١٨-١٢ اشتكى «جيكانزى» من كثرة قضايا السرقة والنهب فى مملكته
، فذهب إلى كونفوشيوس ، يطلب مشورته ، فأجابه : «إن
نهيت نفسك عن اشتهاى الثروات وجشع العيش وباذخ الترف ،
لما جرؤ أحد على السرقة ، حتى ولو حرضته عليها تحريضا»

تلك هى خصاله ، سواء أعمل فى أعلى السلم الاجتماعى أم فى أدنى درجة منه . أما طالب الشهرة ، فمتكلف فضائل ، يحرك بها لسانه وتنفر منها يده ، فهذا هو المرائى ، سواء كان رجل دولة عظيم المكانة أو عاملاً بسيطاً فى ديوان حكومى زهيد القيمة .

٢١-١٢

خرج فانش بصحبة كونفوشيوس ، وتوجها ناحية المذبح المقدس وبينما هما يتجولان ، إذ سأل : « قل لى ياسيدى ، كيف السبيل إلى تأصيل الفضائل والأخلاق فى طبع الإنسان ؟ قل لى ، كيف السبيل إلى استئصال جذور الشر من الوجدان ؟ وكيف يدرك المرء أنه فاقد الصواب ؟ وأجابه كونفوشيوس ، قال : « هذا سؤال جيد ، لكن دعنى أسألك أنا : أليست المبادرة إلى عمل السواعد قبل الحديث عن المكسب والخسارة ، أجدى وأنفع ، من الناحية السلوكية ؟ أليست مراجعة النفس والنقد الذاتى - بدلا من مراقبة الآخرين وملاحظة أخطائهم - أصوب وأحق فى اكتساب الفضائل ؟ ثم ألا ترى معى ، أن لحظة غضب أو حمق طائشة ، يمكن أن تورد المرء موارد التهلكة ، فيبطش بأهله ، أو يظلم نفسه ، ويحقيق به مالا قبل له به ، فاعلم ذلك وتأمله ! » .

٢٢-١٢

جاء « فانش » إلى كونفوشيوس ، وسأله عن معنى « الإحسان » ، فأجابه : « الإحسان هو المحبة » . فعاد وسأله : وماهى الحكمة ؟ فرد عليه ، قال : « الحكمة هى البصيرة ، والقدرة على التمييز بين الجيد والردئ » . فهز « فانش » رأسه بما يدل على

غموض المعنى ، ودقة الدلالة ، وراح المعلم يزيده شرحا ،
يقوله : «أما علمت بأنك لو أنعمت على نخبة الأخيار بالجاء
وعظيم المكانة ، وجهت طموح المفسدين إلى السلوك القويم
والعمل الصالح؟» فخرج «فانش» وقد غمض عليه المعنى ، ثم
إنه قابل «ريشيا» ، فقال له : «كنت عند الأستاذ ، وسألته عن
الحكمة ، فأجابني بأنها تعنى تمكين الصالحاء من دفة الأمور ،
حتى تنصلح النفوس الدنيئة ، فما معنى هذا؟ ورد عليه ريشيا :
«المعنى هنا عميق الغور ، فانظر ، وتأمل ، فعندما تقلد
الامبراطور «شون» صولجان الحكم ، يادر ، فاختار الحكيم
«جاديو» إلى جانبه ، وولاه أهم المناصب ، فاضطر المفسدون
إلى التقهقر والانكماش ، وعندما جاء الامبراطور «تانغ» ،
اصطفى الماجد الشريف «آينى» فعينه رئيسا للوزراء ، فما بقى
للزمرة الدنيئة إلا أن تفر إلى جمورها ، وتذوى فى غياهب
النسيان» .

٢٣-١٢ ذهب «تسيكون» إلى كونفوشيوس وسأله عن كيفية معاملة
الصديق لصديقه ، فأجابه : «لصديقك عليك حق : أن تخلص
له وتصدقته النصيحة ، فإن لم يمثل ، فلا تراجع ، ولا تكن
لحوا فإن كثرة النصح تفقد الهيبة» . ٢٤-١٢

قال «سنشن» (٧١) : «العاقل يتخذ من الوعى الأدبى ،
أساسا لصداقاته مع الآخرين ، بمثل مايتخذ من صداقته دعما
لكيان الفضائل والأخلاق الكريمة» .

«زيلو»

وجملته ثلاثون فصلا

١-١٣ جاء زيلو إلى كونفوشيوس ، وسأله عن المثل الأعلى في القيام على شئون الحكم ، ماهو هذا المثل وكيف يكون ؟ فأجابه ، قال : «هو أن تحت مواطنيك على التفانى في العمل ، وذلك بأن تجعل من نفسك القدوة والنموذج الأول» .

٢-١٢ لما تم تعيين «جونكون» وكيلا لشئون أسرة «جى» الحاكمة ، قصد من فوره إلى كونفوشيوس ، ليستشيره فى موضوع الإدارة الحكومية ، ويطلب منه النصح ، فأجابه ، قال : «اجعل من نفسك قدوة لمرؤوسيك ، وتغاضى عن طفيف التجاور وهامش الخطأ ، وارفع الكفاء الجدير مرتبة عالية ، واجعله فى أرقى المناصب» . وسأله جونكون : «كيف لى أن أفرق بين الكفاء والدعى ؟» فأجابه : «ابدأ بمن تعرف من الرجال ذوى الكفاءة والفضل ، واجعل ذلك تقليدا راسخا يتبعك فيه التابعون» .

٣-١٣ جاء «زيلو» وقال لكونفوشيوس : «إن أمير دولة «ويقو» يتنظر قدومك لتتولى شئون الإدارة الحكومية فى البلاد ، فماذا عساك تتخذ من إجراءات فور تقلدك رمام الأمور ؟ فأجابه ، قال :

«سأبدأ قبل كل شئ بإصلاح نظام «الفئات الاسمية» (٧٢) ليعود إلى مساره الصحيح ، فاستغرب «ريلو» قائلا : «وما الذى يدفعك إلى مثل هذا الإجراء التقليدى ؟ وما الذى يفيدك من قوالب متزمتة (عفا عليها الزمن) ؟ فأجابه المعلم : «ما أنضب قريحتك ! أما علمت أنه لا ينبغي للعاقل أن يدلى برأيه فى مسألة لا يفقه أصولها ؛ فإن رلة لسان ، يمكنها أن تعصف بمنطق بيان ، والمنطق إن لم يستوف أركانه ، بطلت قاعدته ، وإن بطلت القواعد فسدت الصنائع ، فإذا فسدت الصنائع ، انهدم ركن الشعائر وأساس المعاملات والقيم والفنون ، فإذا ما انهار ذلك الصرح العتيد ، اختل ميزان الثواب والعقاب ، وطاشت مقارع القوانين ، فإذا حُقرت رهبة الردع فى النفوس ، اختلت الأمور ، وفقد الناس رشدهم ، واختلطت عليهم المسالك ، فلذلك كان لزاما على الماجد الأشرف أن يحرص فى قوله وأفعاله على أصول المعاملات والتراتب الاجتماعى ولا ينطق إلا عن ميثاق حق وبيان لا لبس فيه ولا غموض ، ولا يتحدث ارتجالا بمزاج الصدفة والهوى ، فحيثئذ ، تنفذ الأقوال سديدة محكمة إلى حيز الواقع المعقول ا» .

١٣-٤ قصد «فانش» إلى كونفوشيوس ، وسأله عن كيفية الزرع والرى والحصاد ؟ فأجابه ، قال : «لا ينبئك فى هذا مثل خبير» ؛ فأنا لست بزارع ولا حاصد» . ثم سأله «فانش» عن كيفية تنسيق حدائق الفاكهة والخضروات . فأجابه ، قال : «فهذه

كتلك ، لا علم لى بها . فخرج فانش وذهب إلى حال سبيله ، فقال كونفوشيوس : «ياله من جهول أحمق ! أما علم أن الناس تسلك درب ملوكها ؟ فمن يجرو على انتهاك شرائع قدستها الأباطرة ؟ ومن يجرو من الناس على إراغة طريق استقامت على يد الحكام ، وكيف يجرو الناس على الكذب وقد صدقت أفواه أمرائهم !؟ فهي أمور لو تأملها أصحاب الجلالة لسعت إليهم أفواج الخلائق تدعن بالخضوع والتفانى ، فليت شعرى ، ماسر اهتمام صاحبنا بالزرع والمحاصيل والغلال ؟» .

٥-١٣ قال كونفوشيوس : «عجبت ممن قرأ «كتاب القصائد» كله بمحتواه البالغ ثلاثمائة قصيدة ، ثم يفشل فى أداء مهام مسئوليته الوظيفية الرسمية ! وعجبت أكثر ، ممن حفظ القصائد عن ظهر قلب ، ثم إذا به يعجز عن التصرف بمرونة ولباقة فى بعثة (دبلوماسية) خارج الوطن ، فكم هناك من قراءات ضائعة ، قراءات ، برغم كثرتها العددية ، فهي لاتغنى فتيلا» .

٦-١٣ قال كونفوشيوس : «إذا التزم الأباطرة حدود الحق والعدل ، انتقادت الشعوب راضية طائعة ، واستتب الأمن ولو بغير قانون ، أما إذا جارت وراغت عن جادة الصواب ، انقلبت العامة ناكسة عن الطاعة وشقت لواء العصيان ، واستقبلت نداء الواجب والقانون بوجوه معرضة وآذان مقطوعة (لاتسمع ولا تصغى!)» .

٧-١٣ قال كونفوشيوس : «إن نظم الحكم فى دولتى «لوكو» و «ويكو» تتشابه لدرجة التماثل التمام ، فإذا البلدان كشقيقين

توأمين أو فرسى رهان». (٧٣)

٨-١٣ تحدث كونفوشيوس عن الأمير «جينغ» (٧٤) أمير دولة «ديفو» ، فقال : «أكرم به من قانع عاقل ؛ فهو والناس تدرى من هو - يتبسط فى مسكنه وفرشه للغاية ، إذ لما ابتنوا له منزلا صغيرا ، قنع به ، وقال لمن حوله : «هذا هو ماأريده ، لاأكثر ولا أقل» . فلما فسّحوا فيه قليلا ، قال : «هذا يكفى تماما ، لا تزيدوا عن ذلك» . فلما رفعوا سقفه عاليا بعض الشئ أشار إلى البنائين ، قائلا : «حسبكم ! لا تزيدوا فى الارتفاع .. فما أحقرها من غواية للنفس ومجلبة للدعة والترف !» .

٩-١٣ ذهب كونفوشيوس فى زيارة إلى دولة «ويقو» ، فاستقبله «رانيو» مرحبا به وأخذ بلجام فرسه ، فقال له المعلم : «مالى أرى الناس فى بلادكم كثرة ، لأنخصى أعدادهم؟» فأجابه رانيو ، قال : «أعداد الناس هنا متزايدة فعلا ، فماذا ترانا فاعلون (حيال ذلك!)؟» فقال له كونفوشيوس : «أوسعوا لهم فى العيش والرفاهية» . فعاد يسأله : «فماذا نصنع لهم بعد سعة العيش وترف الحياة؟» فرد عليه ، قائلا : «فقهوهم فى العلوم والآداب!» .

١٠-١٣ قال كونفوشيوس : «لو مُنحتُ وظيفة رسمية ، لعددتها مسئولية عظيمة . ولما انقضى عام واحد حتى شهد الناس بكفاءة أدائى ، ولما كنت أحتاج لأكثر من ثلاث سنوات ، حتى أبذل من الجهد ، والإنجاز ، ماتشهد الكافة بتميزه وعظيم أهميته» .

١١-١٣ قال كونفوشيوس : «لقد قيل أنه لو تقلد صولجان الحكم

امبراطور صالح لمدة قرن واحد من الزمان ، لاستطاع أن يقضى على كل ألوان الفطائع والشرور وإهدار الدماء ، وأقول : نعم ، هذا صحيح تماما! .

١٢-١٣ قال كونفوشيوس: «حتى لو اعتلى منصة الحكم قديس طاهر ، حكيم زمان ، فأقل ما يحتاجه ، ثلاثون عاما ، ليضع أساس دولة للخير والصالح» .

١٣-١٣ قال كونفوشيوس : «لا توجد صعوبة فى فرض النظام وإقامة الأحكام ، مادام الأباطرة أنفسهم ينجون بالرشاد والاستقامة ، فإذا تأودت بهم السبل أو مالت منهم الموازين ، فأنى لهم بفرض معايير ومبادئ ، هم أنفسهم أول من ينتهك أصولها؟!» .

١٤-١٣ عاد «رانيو» من عمله فى ساعة متأخرة ، فسأله كونفوشيوس عن سبب تأخيره ، فأجابه : «تعطلت بسبب الانشغال بالشئون الحكومية» . فاستدركه المعلم ، قائلا : «بل قل ، شئون العمل التقليدية أو المعتادة ، فذلك هو التعبير الصحيح منطقيا ، أما «الشئون الحكومية» فهى تعنى ما يشار إليه عادة من السياسات الرسمية العامة ، مبادئها ، أصولها ، صياغاتها النظرية العامة ، والتى يتم إبلاغى بها من حين لآخر ، برغم أنى أصبحت خارج دائرة المسئولية المباشرة بالتوظيف الرسمى» .

١٥-١٣ جاء الأمير «دينغ» من دولة «لوكو» إلى كونفوشيوس ، وسأله : «أصحيح ما يقال من أن كلمة واحدة يمكن أن تزدهر بها عروش ممالك وتسمو بها بلدان؟» فأجابه المعلم ، قال :

«ما هكذا يقول العاقل ، فما أظن كلمة ، مهما بلغت ، تبلغ هذا التأثير ، لكنه قيل قديما أن : «ليس الأمير كالوزير» .. ذلك أن مسئولية الأمير أفدح وأعباءه أخطر ، فلو انصرف التأكيد هنا إلى إدراك الأمير لخطورة وكثرة أعبائه والتزاماته بالقدر الذى يثير حافز الجد والحذر ، فتلك أقرب فى دلالة من قال بأن كلمة قد تبنى أوطانا ، ثم إن الأمير «دينغ» سأله ثانية : «أصبح أيضا مايشاع من أن كلمة قد تهدم أمة؟» فأجابه كونفوشيوس ، قال : «هيهات أن تكون لكلمة مثل هذا القدر من الجسامة ، إلا أن واحدا قال ذات مرة : «كنت أميرا مهيبا مسموعا فى قومي ، فما وجدت سعادة تعدل ماكنت أجده من إنصات الناس لى دوما بغير اعتراض أو مقاطعة» . ولاغبار على القائل إن كان سديد البيان واضح العزم ، فيكتفى بقوله ، أما إن كان السكوت عن كلماته ، خشية انتقاد أو مخافة مصير الاجترار على اعتراضه ، فتلك هى الكلمة التى خربت أمة» .

١٦-١٣ قصد الأمير «أيكون» إلى كونفوشيوس ، وسأله عن فلسفة الحكم ، فقال له : «الحكمة فى هذا الأمر أن تدخل البهجة إلى قلوب رعاياك ، وتملأ بالإعجاب عيون الغرباء فيقصدون بلادك من شتى الأنحاء» .

١٧-١٣ لما صار «ريشيا» حاكما عاما لإقليم «جوفو» ، ذهب إلى كونفوشيوس يسأله أن يعلمه شيئا من فنون الحكم وفلسفة الإدارة ، فقال له : «اقصد فى أمورك ، فلا تكن عجولا متلهفا ، وأفسح لرؤيتك أوسع مجال ، فلا تسعين وراء جشع خائب

، فالاستعجال يقصر بك عن أهدافك المأمولة ، والجشع
المتهالك يضيع اسمك والمجازاتك وتاريخ مجدك الباهر .

١٨-١٣

ذهب الأمير «أيكون» إلى كونفوشيوس ، وقال له : «فى
بلدتنا رجل فاضل صريح الخلق ، شجاع الرأى ، يواجه القبيح
عينا بعين ، ويمسك السارق من تلايبه ، ويقوده إلى المخفر ،
حتى لو كان أبوه هو السارق» . فرد عليه كونفوشيوس ، بقوله
: «لكن الرجل الفاضل الصريح الخلق ، الشجاع الرأى فى
بلدتنا ، ليس مثل رجلكم وأبيه ، فعندنا ، يتجاوز الرجل عن
فعلة أبيه ويغض الوالد بصره عن قبح ولده ، فذلك أيضا
جانب من الآداب الحسنة ، والخلق الكريم» . (٧٥)

١٩-١٣

جاء «فانش» إلى كونفوشيوس ، وسأله عن أحسن الخلق ،
ماهو ؟ فأجابه : «البر بالوالدين ، وإتقان العمل ، والاخلاص
للصديق . وإنها خصال ثلاث لا يختلف عليها امرؤ فى مشارق
الأرض ومغاربها» .

٢٠-١٣

ذهب «تسيكون» إلى كونفوشيوس ، وسأله : «قل لى
ياسيدى ، كيف يكون الرجل المهذب الذى يستحق بجداره ،
لقب : «النابع الفطن» ، فأجابه : «هو الرجل الذى إذا نددت
عنه رلة ، أدمت قلبه خجلاً ، وإذا أوثمن ، حفظ الأمانة ، ثم
إنه لا يخيب أبدا رجاء أهله ومعلميه» . وعاد تسيكون يسأله :
«فمن يليه فى المرتبة الثانية؟» فأجابه : «الذى يليه هو الرجل
الذى يشهد له أهله والجميع (القاصى والدانى) بيره ووفائه
لإخوانه» . ثم سأله السائل : «فمن الأدنى مرتبة من ذلك؟»

فقال : «هو الذى لا يكذب فى حديثه ولا يتردد فى أمره ، وهو الأدنى درجة لأنه يؤدى ما وكل إليه بأمانة (فلا يفرق بين خير الأمور وشرها ، حسنها وقيحها) ، وهو على حسمه وثبات جنانه ، أقل النابغين منزلة» . وأخيرا ، سأله تسيكون : «فما رأيك فى أباطرة وأمراء زماننا؟» فأجابه : «مهلا ، فإننا هؤلاء حواصل متخمة ، وصدور ضيقة ، لا يقع فيها العلم إلا لفظته ، فهم دائما خارج القسمة : زبد ماء ، وغشاء سيل» .

٢١-١٣ قال كونفوشيوس : «اغتنم فرصة التعرف إلى صديق معتدل الرأى والمزاج والحياة : لاهو بالمتطرف المتهور ولا بالجامد المتزمت ، فإن لم تجده فسارع إلى معرفة اثنين : المتفائل الطموح ، والطيب نقى القلب ، فالتفائل يشدك معه صاعدا نحو الأمل ، والطيب لا يؤذيك أبدا ماحيت» .

٢٢-١٣ قال كونفوشيوس : «هناك حكمة يتناقلها الجنوبيون مفادها أن : «من لم يكن دواؤه الصبر والثابرة ، أعجزه أحقر الداء» ، وهى حكمة سديدة ، وقد وردت عبارة فى كتاب «التغيرات» (٧٦) تقول : «لامفر لمن يحمل فى صدره قلبيين وثلاث إرادات متنازعة ، (كناية عن التردد)» .

٢٣-١٣ قال كونفوشيوس : «الذكى العاقل من سعى إلى فهم الآخرين ، بالمشاركة الفكرية الواعية ، دون انقياد أعمى ، أما الجاهل فإنه ينساق مع السائد فى تبعية ببغائية ساذجة ، بينما يطوى قلبه وعقله بعيدا عن حميمية المشاركة الصادقة» .

٢٤-١٣ ذهب «تسيكون» إلى كونفوشيوس وسأله : «مارأيك فى رجل

يجبه كل أهل بلدته؟» فأجابه المعلم : «كلا هذا محال!» فسأله ثانية : «فما رأيك في رجل يكرهه كل أهل بلدته؟» فأجابه : «وهذا أيضا محال! فلا يكون الرجل صالحا حقا حتى يجبه كل الأخيار بينما يكرهه كل الفجار في بلده» .

٢٥-١٣

قال كونفوشيوس : «إن تجربة العمل مع الرجل الفاضل العاقل سهلة دائما ، لكنك لا تستطيع إرضاءه بسهولة ؛ ذلك أن وسائل التقرب المعهودة والمجاملات (الملتوية!) لا تنطلي عليه ، فهو جاد وذكي ويعرف كيف يختار رجاله بحسب الكفاءة والمهارة المناسبة ، وعلى العكس من ذلك ، فإن العمل عند لـلجاهل ليس سهلا أبدا ، لكن أبسط وسائل المدارة والتفاني الرخيص تسعده للغاية ، وتستحوذ على عقله ، ولأنه مدع غبي ، فإنه يسالغ في شروط تعيين المتقدمين لديه ، ويميل إلى التدقيق والتهويل في أنفه الأمور» .

٢٦-١٣

قال كونفوشيوس : «المهذب العاقل دائما مايكون ثابت الجنان ، معتدل الطبع بغير تكلف ولا أنفة ، أما المتهور الماجن ، فغالبا ماتجده متكبرا صلفاً ، غليظ النفس والطبع» .

٢٧-١٣

قال كونفوشيوس : «أربع خصال من كن فيه ، أنبت في قلبه أعرق الفضائل وهي : العزم ، والحسم ، التواضع ، الحذر عند الكلام» .

٢٨-١٣

جاء زيلو إلى كونفوشيوس وسأله : «ماوسيلة المرء لكي يبلغ حد الكمال وحميد الخصال؟» فأجابه بقوله : «أن يجيد لين القول وخشنه ، فلربما نصيحة موجهة استقام بها حال الصديق ، ولعلها كلمة طيبة تشد إليه مودة الأخ الشقيق!» .

٢٩-١٣

قال كونفوشيوس : «سبع سنوات من التدريب العسكري الجيد ، يمكن أن تؤهل الفرد العادي لخوض معركة قتالية ناجحة» .

٣٠-١٣

قال كونفوشيوس : «أن ترسل أفراداً غير مدربين عسكرياً إلى ميدان قتال ، لايعنى إلا أنك تشيعهم إلى قبورهم» .

الباب الرابع عشر

«شيانون»

وجملته أربعة وأربعون فصلا

١-١٤ جاء «يوانشيان» (٧٧) إلى كونفوشيوس ، وسأله عما يجلب الحزى والعار ، فأجابه : «لئن كان من الطبيعي في وقت ازدهار الأمة أن يلتحق المرء بوظيفة رسمية وأن يوسع على نفسه في العيش ، يهنأ بما تدر عليه من دخل ومكانة طيبة ، فإنه من غير الطبيعي ، بل من المخزى أن يظل المرء متمتعاً بنفس الوظيفة والراتب والمكانة في ساعة المحنة عندما تضيق الحال وتتدهور البلاد» . ثم سأله «يوانشيان» ثانية : «أيمكن أن يُشهد للرجل بالمرءة إذا تجنب البغضاء ، والتكبر ، والأنانية والجشع؟» فأجابه كونفوشيوس : «مثل هذا المسعى يستحق التقدير على كل حال» .

٢-١٤ قال كونفوشيوس : «لا يليق بالمتقف الحقيقي (طالب المعرفة .. أيضا) أن ينعم برغد العيش ولا أن يلتذ بحياة سهلة مترفة» .

٣-١٤ قال كونفوشيوس : «ليس على المرء حرج في ظل دولة رشيدة طامحة أن يتحرى الحقيقة والمصراحة في الرأي والشجاعة في

السلوك ، أما فى دولة الظلام والفساد ، فلئن كانت الاستقامة مسلکًا فاضلاً إلا أن كلمة الحق ينبغى لها أن تتلمس الطريق فى حذر بالغ .

٤-١٤ قال كونفوشيوس : «من الجائز أن يقول الرجل المهذب حكمة بالغة أو حقيقة دامغة ، لكن ليس لزاماً أن يكون كل من قال حكمة أو حقيقة رجلاً مهذباً ، ولئن كان المخلص الشريف يتصف بالجرأة والشجاعة ، فليس كل جريء ، بالضرورة ، مخلصاً شريفاً .

٥-١٤ جاء «نانكون» - أحد الدارسين - إلى كونفوشيوس ، وقال له : «كان الملك «يوانغ» (٧٨) بارعاً فى الرماية ، وكان الحاكم «ياو» (٧٩) مقاتلاً بحرياً من الطراز الأول ، ومع ذلك ، فقد مات كلاهما ميتة بشعة ، أما الامبراطور «يو» (٨٠) والسلطان «جى» (٨١) اللذان بدءا حياتهما مزارعين متواضعين ، فقد بلغا صولجان الحكم وعرش الأباطرة ! فكيف تفسر لنا تلك الأحجية التاريخية الغريبة؟» ثم إن كونفوشيوس سكت ولم يرد بشئ ، فلما قام السائل وخرج ، تحدث عنه المعلم بإعجاب شديد ممتدحاً أخلاقه واتجاهه المتأدى بالمنافسة الشريفة (كوسيلة مشروعة للوصول إلى كرسى الحكم بدلاً من الانقلابات الدموية) .

٦-١٤ قال كونفوشيوس : «ربما أتوقع أن أجد بين المهذبين بعضاً ممن قست قلوبهم ، لكنى لا أتوقع أبداً أن أجد بين الحمقى الجهلاء واحداً مهذب الخلق» .

٧-١٤ قال كونفوشيوس : «كيف يمكنك أن تزعم إخلاصك

لشخص ، دون أن تبذل له النصيحة ، وكيف تقدر أن تدعى
الحب لإنسان دون أن تحته على الكد والاجتهاد والعمل .

٨-١٤ قال كونفوشيوس : « كانت صياغة اللوائح والقوانين فى مملكة
« تشنغ » مسألة تجرى فى غاية الدقة والضبط ؛ فقد كان بيشن (*)
هو الذى يتولى الصياغة الأولى للقواعد القانونية المبدئية ، ثم
يتسلمها « شيشو » (*) فيتفحصها ويبدى ملاحظاته المحددة ثم
يناولها إلى « راىو » (*) الذى يقوم بتشقيح الصياغة وضبط المتن
بنصوصه وهوامشه ، وأخيرا ، يأتى « ريشان » (*) فيحرر ويوثق
النسخة المعدة للاعتماد الرسمى كنسخة نهائية ومضبوطة وصالحة
للعمل العام . وقد كان من النادر ، فى ظل هذا الإشراف
الرباعى المشترك ، أن تشوب تلك النسخة أية أخطاء .

٩-١٤ جاء رجل إلى كونفوشيوس ، وسأله عن أخلاق « ريشان »
فأجابه : « هو جواد شريف الأخلاق » . ثم سأله عن « ريشى » ،
فأشاح كونفوشيوس بوجهه بما معناه أنه دنى لا يستحق الذكر ،
ثم سأله عن كوانججون - المتحدث الرسمى لدولة تشيقيقو -
فأجابه : « لقد كان شديد البأس ؛ فقد استولى على ثلاثمائة
متزل من إقطاعية تخص أسرة « بوش » ، مما نتج عنه تخريب
هائل فى مستوى المعيشة فى الإقطاعية ، إلا أن شيخ الأسرة ،
تكتّم الأمر بلباقة ولم يناله بسوء حتى توفى » .

١٠-١٤ قال كونفوشيوس : « من السهل على الغنى الميسور أن يعرض

(*) بيشن ، شيشو ، راىو ، يشان : كلهم وزراء بمملكة « تشنغ » .

عن الخيلاء والزهو والمباهاة بمظاهر الثروة والتسرف ، لكن من الصعب جداً على الفقير ألا يثن بالشكوى تحت وطأة الحرمان والفاقة .

١١-١٤ قال كونفوشيوس : «لعلى لا أتجاوز إذا قلت إن رجلاً مثل «منكونشو» - مستول كبير بمملكة «لوكو» - يصلح لمنصب المستشار الخاص لإمارتى «جاو» و «وى» فى دولة «جينكو» ، لكنى أتجاوز كثيراً ، بل أبالغ بما يفوق طاقة المعقول إذا قدرت أنه يصلح للعمل وزيراً لأى من الإمارات الصغيرة مثل : «تانغ» أو «شوى» .

١٢-١٤ جاء «ريلو» إلى كونفوشيوس وسأله ، كيف يحوز الرجل تمام الأخلاق ؟ فأجابه : «يحوز المرء عظيم الصفات وأتم السجايا ، إذا اجتمعت له حكمة «زانوشون» (٨٢) مستول كبير بمملكة «لوكو» - وورع «منكونشو» وشجاعة «بيانشوانزى» ، وذكاء «رانيو» فلذا تم له ذلك ، اتخذ من الموسيقى والفنون والآداب الراقية وسيلة لتهديب النفس ، وترقية الحس» . ثم إنه صمت قليلاً وعاد يقول : «إلا أن هذه الصفات لاتعد شرطاً لازماً فى كل زمان ، فيمكن أن يعد الرجل مهذباً فاضلاً فى أواننا هذا ، إذا استطاع أن يقاوم غواية الفحش والجشع والفساد ، كما أن المعيار الأساسى للإنسان الكريم الحر ، يبقى دائماً فى استعداده للتضحية بنفسه لأجل المبدأ وفى وفائه لأمل الحياة مهما كان شظف العيش» .

١٣-١٤ ذهب كونفوشيوس إلى «كوغين جيا» - أحد الدارسين -

وسأله عن «كوانشونز» - مسئول كبير بدولة تشيغو - قائلاً :
 «أصحيح أن سيدك لم يكن يتكلم أو يضحك أو يخالط أحداً
 من الناس؟» فأجابه الرجل بقوله : «كلا .. هذا افتراء عليه ،
 وقد كذب من أبلغك بهذا؛ فقد لزمت سيدي «كونغين»
 دهرًا ، فما وجدته يتكلم إلا للضرورة ، لئلا يتزايد ،
 ولا يضحك إلا لسبب يوجب الضحك ، لئلا يبتذل ويذمم ،
 ولم يكن يأخذ شيئاً من أحد إلا بحقه ، ولا يعطى شيئاً إلا لمن
 يستحقه . ثم إن كونفوشيوس تطلع إليه ، قائلاً : «ما دريت
 أن الأمر هكذا!» .

١٤-١٤ قال كونفوشيوس : «كان «زانوجون» - وزير بدولة «لوكو» -
 قد تحايل على الأعراف والتقاليد ودفع أحد الأمراء بدولة «لوكو»
 لأجل إصدار مرسوم يقضى بتولى أولاده مناصب رسمية عظيمة
 في المملكة ، وقد أشيع أن هذا التصرف لا يعد استغلالاً
 للنفوذ ، فهل هذا معقول؟!» .

١٤-١٥ قال كونفوشيوس : «كان الأمير «أونكون» بدولة «جينكو»
 سقيم الضمير ، ولم يكن على خلق مستقيم بأي حال ، أما
 الأمير «هوانكون» ، الذي بإمارة «تشيغو» فهو كريم النفس ،
 سليم الطوية ، غير خبيث ولا مخادع» . (٨٣)

١٤-١٦ جاء «ريلو» إلى كونفوشيوس ، وقال له : «لما قتل الأمير
 «هوانكون» أخاه الأكبر «ريشو» ، تأثر واحد من أتباعه فقتل
 نفسه ومات متحرراً ، أما ذلك المدعو «كوانشون» ، ويرغم كونه
 الخادم المخلص . لـ «ريشو» ، فلم يكثرث لما حدث ، ولم يتأثر

لفقد سيده ، بل سرعان ما هروا ، نحو الأمير «هوانكو»
 وصار من خدامه ، فياله من متبلد ، غشوم ، غليظ القلب ،
 أيكون هذا الرجل إنساناً مثل الأدميين حقاً؟ فاجابه المعلم
 بقوله : «أما تذكر أن الأمير «هوانكو» ، كثيراً ما جمع الأمراء
 والقادة وآلف بينهم حقناً للدماء ؟ لقد فعل ذلك بفضل مجهود
 «كوانشون» نفسه ، الذي لولاه ، لدبت الحروب ونشبت
 الصراعات ، فكيف نغمطه حقه ؟ إنه هو الإنسان بكل معنى
 الكلمة .

١٧-١٤

جاء «تسيكون» إلى كونفوشيوس ، وقال له : «أيمكن أن
 يقال بأن «كوانشون» إنسان ذو ضمير حي ؟ لقد رأى سيده
 ويقتل أمام عينيه ، فلا هو دافع عنه ، ولا هو قتل نفسه وفاء
 لسيده وصديقه ، بل الأدهى من هذا أنه بذل نفسه لخدمة القاتل
 وصار طوع يده . فاجابه كونفوشيوس ، قائلاً : «نعم ، هذا
 صحيح ، لقد أصبح طوع يده وواحداً من أتباعه ، ولكنه
 ما فعل ذلك إلا ليوحد به الصف ويجمع به كلمة الأمراء ،
 ويوحد الدويلات والبلدان كلها على قلب رجل واحد، ولولاه ،
 لما صارت الناس ترفل في هذا النعيم الذي تراه اليوم ،
 ولأصبحت كقطعان الماشية ، أو الخراف الضالة تهيم في بوادي
 الهمجية والتخلف ، ترسل شعورها على الأكتاف ، وتضم
 قمصانها إلى اليسار (الزى القومى للأقليات الصينية . . قديماً) ،
 هل كان مطلوب منه ، ليصبح إنساناً في نظرك ، أن يلقي بنفسه
 في أخذود جبلى مجهول ، ليدق عنقه ويموت ميتة نعسة مثل

مثل جرذان الجبل ، بغير ضجة أو قيمة أو شرف!؟ .

١٨-١٤ كان السيد «تشوان» فى أول أمره وكيلا لشئون أسرة «كونشوانز» الملكية ، فلما رشحه أميرها الأكبر لمنصب الوزارة ، انتشر الخبر حتى بلغ كونفوشيوس ، فعلق على ذلك ، قائلا : «هو يستحق الترقية ، ويستحق قبل أى شئ أن يمنح لقب «رجل دولة من الطراز الأول» .

١٩-١٤ كان كونفوشيوس شديد الانتقاد لسياسة الأمير «لينغ» فى مملكة «ويقو» ، فكلمه «جيكانزى» فى هذا الأمر ، وسأله : «فماذا الأمير يسلك سبيل الحماسة ، كما ترى ، فكيف إذن بقى عرشه قائما للآن ، ولماذا لم يزل ملكه ، وتبتدد مملكته؟» فأجابه المعلم ، قائلا : «من المستحيل أن تسقط مملكة يقوم على شئونها الخارجية واحد فى مثل عبقرية «جونشيو» ، ويتولى إقامة طقوسها وشعائرها الدينية ، الزاهد الورع «جوتو» ، وليترأس ألويتها المحاربة ، قائد محنك داهية مثل «وانسون جيا» .

٢٠-١٤ قال كونفوشيوس : «من وعد بالمستحيل ، تعذر عليه الوفاء!» .

٢١-١٤ لما تأمر «شن هتز» على قائده الأمير «جانكون» وقتله غدرا وغيلة ، بلغ الأمر كونفوشيوس الذى كان يتعبد ، وقتئذ ، فى محرابه ، فقام وذهب إلى «آيكون» أمير «لوكو» ، فأخبره بما حدث ، وقال له : «أرى أن ترسل حملة عسكرية لتأديب ذلك المارق الغادرا» فأجابه الأمير ووافقه رأى وطلب إليه الذهاب إلى الوزراء الثلاثة الكبار فيبلغهم - على لسانه وياسمه ،

ضرورة اتخاذ اللازم ، وصار كونفوشيوس وهو خارج من عنده يقول بين نفسه : «لولا سابق عملى وخبرتى كوزير مسئول ، لما قدرت خطورة هذا الوضع» . ثم إنه قصد إلى الوزراء الثلاثة الكبار ، جيسون ، وجون شن ، وفنعون ، لكنهم رفضوا ، ثلاثتهم ، القيام بتلك الحملات التأديبية . فنظر كونفوشيوس إليهم ، قال : «قد عرفت من رصيد تجربتى الفعلية مدى خطورة الأمر ، فكان لزاما على أن أحضر إليكم وأشعل فتيل الخطر» .

٢٢-١٤ جاء «زيلو» إلى كونفوشيوس ، وسأله : «كيف للمهذب أن يرضى قائده الأمير ، فأجابه : «بأن يبذل له الاخلاص ، فلا يخدعه ، ويبذل له النصيح الأمين ، ولو كان كوخز الشوك - فلا يمالئه ولا يتملقه» .

٢٣-١٤ قال كونفوشيوس : «لا يعز المرء إلا إذا اشتغل قلبه بمبادئ العدل والإنسانية والمثل العليا ، ولا يذل إلا إذا جعل المنفعة والتربح والثراء الفاحش جلّ همه» .

٢٥-١٤ قال كونفوشيوس : «مما قبل القدماء على أبواب المعرفة إلا دلبا للحكمة وسعيا لأجل مكارم الأخلاق وإشراق الهداية فى «كامن الوجدان ، أما أهل زماننا فيتخذون مظاهر العلم زينة وزخرف حياة ، تشد إليهم إعجاب الناظرين» .

٢٦-١٤ كان «شوبوى» - مسئول عظيم بمملكة «لوكو» - أرسل رسولا إلى كونفوشيوس يبلغه تحياته ، فاستقبله المعلم بترحاب شديد وأجلسه إلى جواره ، ثم سأله عن سيده ، وماذا يفعل ، فأجابه

المبعوث قائلا : « هو بخير ، وما يزال يراقب أخطائه ويحصىها على نفسه متمنيا أن يعصم نفسه من الزلل ، فهذا هو حاله فى كل أوان » . ثم إن الرجل قام ومضى ، وكونفوشيوس يرنو إليه بإعجاب ، قائلا : « أكرم به من مبعوث ذكى ، فطن ، فهكذا ينبغي أن تكون أخلاق الرجال نحو سادتهم الأجلاء » .

٢٧-١٤ قال كونفوشيوس : « لا ينبغي للعاقل أن يتورط فى شئون حكومية متخصصة ، لا يملك مسوغ البت فيها ، ولا مسئولية القيام بأعبائها » .

٢٨-١٤ قال كونفوشيوس : « ليس فى الدنيا خصلة تأباها أخلاق الرجل الفاضل الشريف ، مثل أن تكون أقواله أكثر من أفعاله » . قال كونفوشيوس : « ثلاث خصال كريمة ، فشلت فى أن أتخلق بها ، وهى : سماحة الكريم ، ثقة العارف الخبير ، جراءة الشجاع ذى البأس » . ثم إن « تسيكون » علق على ذلك ، قائلا : « لئن قال أستاذنا ذلك ، فإنما كان على سبيل التواضع ، وكسر أنفة النفس المباهية الجموح » .

٢٩-١٤ اعتاد « تسيكون » أن يسخر من زملائه وأن يلغو بسيرتهم ، فقال له كونفوشيوس : « أراك تسخر من الناس ، وكأنك ولدت بغير عيوب ، أما وإنى لأجد متعة فى ملاحقة نقائص الناس ، فلست مستعدا لإضاعة وقتى فى هذا العبث الدنى » .

٣٠-١٤ قال كونفوشيوس : « لأعليك بمن لا يقدر كفاءتك حق قدرها ، فالعبرة بما تملكه من مهارة حقيقية ومعرفة واعية » .

٣١-١٤ قال كونفوشيوس : « ليست الفطنة أن تنظر بعين الشك إلى

الآخرين طوال الوقت، ولا أن ترميهم جزافا ، بالغدر والنفاق ، وإنما الفطنة والكياسة فى أن تتحقق من نواياهم الخبيثة - إن وجدت - فى الوقت المناسب (قبل أن يظالك أذاهم!) .

٣٢-١٤ جاء «ويشن مو» (٨٤) إلى كونفوشيوس ، وقال له : «مالذى يدعوك إلى التنقل فى أنحاء الأرض هكذا ، لاتقرر بمكان ، ولاتنهذا لك حال ، فقيم كل هذا التعب ؟ لعلى بك تبغى أن تمد شهرتك وتباهى بفصاحتك فى الآفاق!» فأجابه المعلم : «لاهذا ولاذاك ، فما ظنتك قط أنى جدير بشهرة أو كفاء لفصاحة ، وإنما هو سعى دائم وجهد مقيم ، أملا فى رقى الفكر ، ودرءا لضلالات الجمود والتعصب» .

٣٤-١٤ قال كونفوشيوس : «ليست الخيل بقوة أجسادها أو متانة سيقانها وإنما بطيب عنصرها وأصالة منبتها» .

٣٥-١٤ جاء رجل إلى كونفوشيوس ، وسأله : «مارأيك فيمن يرد على الإساءة بالإحسان؟» فقال المعلم : «فكيف ينبغى إذن أن نرد على الإحسان نفسه (مالذى يتبقى للرد على المعاملة الحسنة!!) فاعلم أنه لاراد للإساءة إلا بتمكين من نزاهة العدل (لرد الاعتبار) وشرف الاستقامة ، ولايكون جزاء الإحسان إلا الإحسان نفسه!» .

٣٦-١٤ قال كونفوشيوس : «لم أجد أحدا من الناس يفهمنى!» فسأله تسيكون : «لماذا تقول ذلك ياسيدى؟» فأجابه : «لست أقصد أن ألقى اللوم على أحد ، وإنما أقصد أنى تعمقت فى علوم أهل الأرض (فى دنيا البشر!) وحلقت فى علوم السماء ، فبلغت

جذر الحق وأصل الحقيقة ، فلست أجد طريقا موصولا بالفهم
إلا بالسموات العلى» .

٣٧-١٤ كان «كوتبولياو» قد تحدث بما يسيىء إلى «زيلو» فى حضور
السيد «جيسون» ، ثم إن الأمر كله بلغ أسماع «زيفو جينبو» -
مستول عظيم بمملكة «لوكو» - فذهب إلى كونفوشيوس ،
وأخبره بذلك ، قائلا : «يبدو أن السيد «جيسون» قد صدق كل
ما زعمه له «كوتبولياو» ، لكننى أؤكد لك أنى أستطيع أن أقتل
هذا الأخير وأمثل بجثته وأجعله عبرة لمن يعتبر» . فأجابه
كونفوشيوس ، قال : «مهما أبديت من آراء واقتراحات فى هذا
الموضوع ، فسيكون للقدر اليد الطولى دائما ، فلست أملك
مقالة تفيدته أو تضربه بشئ إلا إذا كان القدر سابقا من قبل ومن
بعد ، فأين يفر المرء مما هو مقدر وكائن!» .

٣٨-١٤ قال كونفوشيوس : «هناك البعض من أهل المروءة والفضل ،
من الدرجة العالية الشريفة ، يعتكفون فى بيوتهم ، يعتزلون
الدنيا كلها ، اتقاء لشر الناس . وهناك من هم أدنى درجة :
الذين يهاجرون إلى ديار فى جوار الخير والصلاح . أما الأدنى
درجة ، فهم أولئك الذين يضربون صفحا عن النظر فى وجه
الناس ، ويلبهم الأقل منهم ؛ أولئك الذين يعرضون عن سماع
المسبة الفاحشة وبذئ القول» . ثم إن كونفوشيوس زاد على
ذلك بقوله : «... ولقد عرفت (٨٥) سبعة رجال فقط على
هذه الشاكلة» .

٣٩-١٤ كان «زيلو» قد بات ليلة عند البوابة الحجرية الضخمة ، فلما

أصبح اليوم التالى ، قام وقصد الدخول إلى المدينة ، فأوقفه رجال الحرس ، وسألوه عن مبتدأ سفره وخاتمته ، فقال بأنه جاء من البلد الذى يقطن به كونفوشيوس ، فقال له الحارس : «أنت من عند ذلك الرجل الذى ينطح رأس أفكاره . . . بجلمود الصمت وصخر المستحيل؟!» .

٤٠-١٤

لما كان كونفوشيوس مقيما بمملكة «ويقو» ، فقد ذهب ذات يوم لأداء الشعائر وإنشاد التراتيل فى أحد المعابد ، وتصادف أن مر به رجل يحمل سلالا خشبية ، فرآه وهو يرتل ، فتوقف وأخذ ينصت ، ثم إن الرجل قال لكونفوشيوس : «أنت تنشد وكأنك تفكر بعمق ، ويبدو أن ماتفكر فيه لا يستحق هذا التأمل ، لكأنى بك تتألم فى صمت ، تشكو عزلة أفكارك لنفسك ، فلو كنت مكانك ، لاخترت اعتزالا عاقلا شريفا ، فأنت كسابع فى بحر ، يصانع إذا عصف التيار ، ويسابق والريح مواتية» . فلما انتهى من قوله ، التفت نحوه كونفوشيوس ، وقال : «هاهو ذا رجل حنكته أيام عمره ، فكيف لى بمجادلته؟!» .

٤١-١٤

جاء ريجانغ إلى كونفوشيوس ، وسأله ، قال : «ورد فى كتاب «التاريخ» مانصه : «إن الأمير «كورون» أقام فى الحداد على سلفه مدة ثلاث سنوات ، بقى أثناءها ساكنا بقصر «شون لو» ، فلم يقرب ديوان المملكة ، ولم ينظر فى شئون الحكم ، حتى انقضت تلك المدة» . فهل هذا صحيح؟» وأجابه المعلم قائلا : «لم يكن «كورون» وحده يتبع هذا التقليد ، وإنما كان

القدماء كلهم كذلك ؛ إذا مات بينهم الحاكم ، وانتقل الصولجان إلى خلفه ، أقاموا في الحداد ثلاث سنوات ، تحت إمرة رئيس وزرائهم ، بينما يظل الملك الجديد - احتراماً لذكري سلفه - بعيداً عن مباشرة مهام الحكم الرسمية .

٤٢-١٤ قال كونفوشيوس : «يصير الشعب أسلس قياداً ، وأخلص طاعة ، مادام أولى الأمر يراعون الحقوق ، ويصونون القواعد الرسمية المقررة» .

٤٣-١٤ ذهب «زىلو» إلى كونفوشيوس ، وسأله : «كيف يكون الحاكم مهيباً عادلاً؟» فأجابه : «بعضيم فضائله ، وجيليل أعماله» . ثم إن «زىلو» سأله ثانية : «أفى ذلك كفاية؟» فقال له : «من عظمت فضائله وجلت أعماله ، استضاءت أركان مملكته بالعدل والسلام» . فسأله السائل : «أفى ذلك الكفاية؟» فأجابه المعلم : «أليس تحقيق الأمن والسلام هو غاية المنى ؟ أما تعلم بأن الأباطرة العظام أمثال : «ياو» و «شون» (بكل مثاليتهما) لم يبلغا هذه الدرجة» .

٤٤-١٤ دخل كونفوشيوس أحد القاعات ، فوجد «يوان ران» (٨٦) - أحد شيعته - جالساً بغير تأدب ؛ واضعاً ساقاً على ساق! فنهره ، قال : «يا جراتك ، أما آن لك أن تتبصر وترعوى؟! قد كنت فى صباك غراً ، لاتراعى حق الكبير ولا تلن قناتك للصغير ، وأراك هرمت دون أن تعى من أصول المعاملات شيئاً ، فلا أنت حى تفقه مبادئ استقرت من الأزل ، ولا أنت ميت لتدرك قدراً محتملاً فتريح وتستريح إلى الأبد» .

قدم على كونفوشيوس فتى من إحدى القرى المجاورة ، يرجو لقاءه بصفته مبعوثاً يحمل خطاباً رسمياً ، فلما انتهت المقابلة ، وغادر الفتى عائداً ، جاء واحد إلى كونفوشيوس ، وسأله : «ما رأيك فى ذلك الفتى ، أترأه ذكياً ، طموحاً ذا مستقبل يعد بالمجد؟» فأجابه المعلم : «قد رأيته يجلس إلى الأريكة الرسمية العالية ، ويزور عن الكرسي الخشبي البسيط ، ثم لمحته يتودد كثيراً إلى أصحاب النفوذ والسطوة ، فهو إذن ، وبالقِطْع ، لا يطمح إلى المجد والتفوق ، لكنه يسعى - وبأقصر الطرق - إلى بريق النفوذ ، مفتوناً بمظاهر السبق والسطوة والسيطرة» .

« ويلينغ »

وجملته اثنان وأربعون فصلا

١-١٥ ذهب الأمير « لينكون » أمير دولة « ويقو » إلى كونفوشيوس ،
وسأله عن أمور تتعلق بالخطط القتالية والتجهيزات العسكرية .
فأجابه المعلم ، قال : « أستطيع أن أبحث معك أى مسألة
تختص بقواعد الأخلاق وأصول المعاملات ، فذلك هو الموضوع
الذى أفقهه وأدرسه ، أما الحرب وشتونها ، فذلك ما لا قبل لى
به » . ثم إن كونفوشيوس قام فى اليوم التالى ورحل عن
المملكة .

٢-١٥ بينما كان كونفوشيوس فى إحدى جولاته البعيدة مع مريديه ،
فى أنحاء الممالك المختلفة ، نفذت منه أجولة القمح ، وأشرف
على المجاعة والهلاك - وذلك عند حدود مملكة « تشنكو » -
وتساقط تلاميذه بين مريض ومحتضر . وحدث أن تقابل مع
« زيلو » فشكا إليه ، هذا الأخير ، سوء الحال ، سأله : « قل
لى ياسيدى ، أترى الماجد الشريف يجرب فى حياته مثل هذا
الضنك وقلة الحيلة ؟ » فأجابه المعلم : « نعم ، لكن الماجد
الشريف يثابر ويصبر فى وقت المحنة ، أما الدنيء فيقترب الأثام
والمفاسد ، وينكص على عقبيه (متراجعا عن مبادئه
الأخلاق) باسم الضائقة شديدة الوطء ، متعللاً بالظروف
بالغة القسوة » .

- ٣-١٥ كان كونفوشيوس يتحاور ذات مرة مع « تسيكون » ، فقال له : « أوتظن أنى أعتمد على ذاكرتى للأحداث أو مذكراتى وحفظى لقواعد العلوم ؟ » فاستغرب « تسيكون » ونظر- إليه دهشاً ، مستنكراً ، فراح كونفوشيوس يفسر له الأمر ، بقوله : « المسألة عندى لاذكرة ولا مذاكرة ، وإنما فقط فكرة أساسية ، ومبدأ أصيل ثابت ، أقيم عليه تصوراتى وأنظم به شتات الأفكار . »
- ٤-١٥ تحدث كونفوشيوس إلى أحد أتباعه ، قال : « ماأقل الناس الطيبين فى هذه الدنيا ، ياجونيو . »
- ٥-١٥ قال كونفوشيوس : « لم نعرف ، فيما نعهد - حاكما استتب له الأمر ، ورضخت له الممالك طائعة راضية ، إلا الامبراطور « شون » هو وحده الذى كان يستطيع أن يجلس إلى عرش امبراطورية عظمى ، وهو هادىء البال ، مطمئن النفس ، تاركا للمقادير أعتها . »
- ٦-١٥ جاء ريجانغ إلى كونفوشيوس ، وسأله : « كيف للمرء أن يصير مسموع الكلمة ، نافذ الرأى ، فأجابه ، قال : « يصير المرء كذلك بأن يخلص فى القول والعمل ، فهى مفتاح الصدق فى كل مكان وزمان ، مهما تناءت الاصقاع أو قدمت العهود ، وإياك والغش أو التهور الأخرق ، فإنها تسد عليك أبواب بيتك ، وتُذهب عنك الجار والصدى ، فاحفظ تلك الكلمات (واحفرها) فى قلبك ، فى عقلك ، فى مخيلتك وأمام ناظريك طوال الوقت : « مخلصا صادقا ، يستقيم مسعاك ويفوز رجاؤك » . ثم إن ريجانغ أخذ يكتب هذه الكلمات على قميصه (فى الأصل : على حزامه !) ليقع عليها بصره فى كل حين . »

٧-١٥ قال كونفوشيوس : « ما أعظم استقامة « شيو » (مسؤل ومؤرخ بمملكة « ويكو ») ؛ فقد ظل ثابتاً على مبادئه ، مستقيماً ، نزيه اليد والذمة ، إبان ازدهار المملكة وانتكاستها ، وما أنبل الكريم الأمثل « تشيوى » ؛ فقد كان فارساً وشهماً وكريماً سواء وهو يؤدى عمله باقتدار أيام مجد الامبراطورية ، أو وهو يعتزل ويتوارى بلباقة ، عندما دالت دولة الجاه وعمت الفوضى فى كل مكان » .

٨-١٥ قال كونفوشيوس : « أن تدع الحديث مع عاقل متفتح الذهن ، فتلك هى الفرصة الضائعة ، أما أن تطول حواراتك مع سفيه ، سقيم الفكر ، فتلك هى الأوقات الضائعة . والعاقل لا يضيع الفرص ولا الأوقات » .

٩-١٥ قال كونفوشيوس : « إن النبيل ، صاحب المبادئ والمثل لا يضحى بالفضائل حرصاً على حياته ، وإنما يضحى بحياته نفسها لأجل الخير والفضيلة » .

١٠-١٥ ذهب تسيكون إلى كونفوشيوس ، وسأله عن كيفية تحقيق المبادئ الفاضلة ، فأجابه : « تأمل الصانع وهو يشحذ عدته ويجهز أدواته ، قبل أن يشرع فى عملية إنتاج معقدة وطويلة لكنها ناجحة ، واتخذ لك أصدقاء من أكرم الناس وأفاضلهم ، إذا استقربك المقام فى أرض بعيدة (تجد ما أردت !) » .

١١-١٥ جاء « يان يوان » إلى كونفوشيوس ، وسأله عن أفضل كيفية لحكم البلاد ، فأجابه ، قال : « إذا أردت أن توطد أركان سلطانتك ، فعليك بتعميم استخدام التقويم الزراعى الذى وضعته أسرة « شيا » الملكية ، وأن تستعمل العربات المصممة إبان حكم أسرة « لينشو » ، فتلك أبسط الطراز وأمتنها . وأن

- تأمر الناس بارتداء الزى الرسمي لأسرة « جوشاو » الملكية بفخامته وجاذبيته ، وأن تعزف فى دور الموسيقى مقطوعات من مؤلفات الـ « يو » والـ « شاو » الراقصة ، وأن تنأى بمواطنيك عن مهازل موسيقى مملكة « تشنكو » ورجالها المنافقين ، فموسيقاها مبتذلة خليعة ، ومنافقوها أخطر الكوارث الداهمة .
- ١٢-١٥ قال كونفوشيوس : « من لم يمد بصره ، بالتأمل الواعى والتخطيط الذكى على المدى الطويل ، وجد عند كل خطوة عثرة ، وعند كل مفترق عقبة كآداء » .
- ١٣-١٥ قال كونفوشيوس : « لقد بحثت عبثا بلاطائل ، بحثت ولم أجد أحداً يفضل حب الخير على عشق الجمال . »
- ١٤-١٥ قال كونفوشيوس : « دلائل كثيرة تشير إلى أن زانوشون (٨٧) كان يستغل منصبه أبشع استغلال ، من ذلك مثلاً أنه أحجم عن تعيين السيد « هويليوشيا » - موظف عظيم بمملكة « لوكو » - برغم علمه بكفاءته وجدارته لشغل منصب رسمى . »
- ١٥-١٥ قال كونفوشيوس : « من أراد أن يتقى كيد الكائدين ، فليكن متسامحاً لنا مع الناس ، متشدداً قاسياً مع نفسه . »
- ١٦-١٥ قال كونفوشيوس : « وأنا أيضاً لأملك أن أفعل شيئاً لمن لا يقدرّون على كيفية التصرف السوابع فى الطوارئ والأزمات » .
- ١٧-١٥ قال كونفوشيوس : « لافلاح لمن كان جلّ همه طوال يومه أن يثرثر فيما لا يفيد ، ولانجاح لمن لم يقل حسناً و (ينبذ) الحكمة من فمه » .

- ١٨-١٥ قال كونفوشيوس : « الماجد المذهب ، من اتخذ الاستقامة سلوكاً أصيلاً ، وسار على مبادئ الأخلاق الكريمة ، فسلك بين الناس بالتواضع والاخلاص » .
- ١٩-١٥ قال كونفوشيوس : « لا يضير العاقل أن يصير مجهولاً وسط الناس ، وإنما يضيره بالغ الضرر أن يجهل قدراته الذاتية ومواضع كفاءته ، فيفقد ثقته بنفسه » .
- ٢٠-١٥ قال كونفوشيوس : « ينبغي للعاقل أن يخلف على الأرض اسماً طيباً بعد موته (أن يتدبر سيرة صالحة يتداولها الناس بعد موته) ! »
- ٢١-١٥ قال كونفوشيوس : « العاقل المذهب ، يفرض على ذاته التزامات قاسية ، ويطالب نفسه بالكثير ، بينما الجاهل الدنيء يفرض على الآخرين ما لا يمكن تبريره ، ثم يجار بالشكوى والتذمر في كل مكان ! »
- ٢٢-١٥ قال كونفوشيوس : « العاقل ثابت الجنان ، مهيب الجانب ، مع لين طبع وسماحة صدر ، يخالط الناس ، كل الناس ، لا ينعزل ولا يتخذ عصبة أو جماعة ولا يتحزّب مع نفر دون آخرين » .
- ٢٣-١٥ قال كونفوشيوس : « المذهب ، العاقل ، لا يحابي منافقاً ذرب اللسان ، فيبذل له المال والجاء بغير حق ، كما أنه لا يذل رجلاً تكلم بالحق ، حتى لو كانت الكلمات ثقيلة ، غليظة » .
- ٢٤-١٥ جاء « تسيكون » إلى كونفوشيوس : ، وسأله : « ألا تدلني ياسيدي على كلمة تهديني على مدى الأيام ؟ » فأجابه المعلم ، قال : « إنها كلمة « الرحمة » بمعناها الواسع ! إذ لا ينبغي أن نضع عل كاهل الآخرين ، ما لا نحتمله نحن من أعباء » .

٢٥-١٥ قال كونفوشيوس : « ليس من عادتي أن أذم أحداً من الناس أو أمدحه بغير داع ، فما مدحت أحداً إلا إذا كان تفوقه ومثابرته جديرين بذلك ، فهناك دائماً الاختبارات والقواعد المحايدة التي تحدد درجة استحقاق التفوق ، ولست وحدي المبتكر لهذه (المعايير !) وإنما كان الحكام السابقون فى الأسر الامبراطورية الثلاث : « شيا ، شانغ ، چو » ، هم الذين ساروا على هذا المبدأ فدانت لهم الشعوب بالطاعة ، وحسنت سيرتهم فى الناس » .

٢٦-١٥ قال كونفوشيوس : « كثيراً ماصادفت فى كتب التاريخ مسائل تثير التشكك أكثر مما تقود إلى التسليم بصدق المرويات ، من ذلك مثلاً : (تقرأ مامفاده :) أن « الرجل الذى كانت عنده خيول كثيرة ، لم يكن يبخل ببعض منها على (٨٨) جاره الذى لا يملك منها شيئاً .. » (وهو الأمر الذى ماعاد قائماً اليوم !) » .

٢٧-١٥ قال كونفوشيوس : « إن كلمة مدح بسيطة (مجاملة أو نفاقاً) قد تفسد صرحاً هائلاً من الأخلاق ، ولربما لحظة تهوّر عابرة تعزّب ماعمره الزمان بطوله » .

٢٨-١ قال كونفوشيوس : « مسألتان تستحقان المزيد من البحث والاستبصار : أن يكون المرء محبوباً جداً أو أن يكون مكروهاً للغاية بين الناس » .

٢٩-١٥ قال كونفوشيوس : « إنها إرادة الانسان هى التى تدعم الحق والايان (مبدأ « الطاو ») وليس العكس » .

٣٠-١٥ قال كونفوشيوس : « إن أفحش الخطأ هو ما لم يزل يقع فيه المرء بالتكرار دون محاولة جادة لتجاوزه أو تصحيحه » .

٣١-١٥ قال كونفوشيوس : « هناك الكثير من الأمور والقضايا لاتجديها نفعا كثرة السهر وعذاب التفكير المتواصل والتأمل المستمر ليل نهار ، إذ ليس مثل التعلم والتحصيل والدرس وسيلة وهداية لكل مااستغلق فهمه أو تعذر الوصول إلي منطق أحكامه » .

٣٢-١٥ قال كونفوشيوس : « العاقل من شغل نفسه بالعلم والتحصيل ، وتناءى قدر الامكان عن مشاغل الماكل والملبس وزخرف الحياة ، ولئن كان الزارع يملك الأرض والثمر ، إلا أن الفيض والقحط ، قدران مسلمان على الأعناق ، أما طالب العلم فيرتقى مكانته اللائقة ، ووظيفته الرسمية (التى هى راتبه ومكافأته الدائمة !) فلايلق أن يلهيه فقر أو غنى عن آفاق الغاية العالية الشريفة » .

٣٣-١٥ قال كونفوشيوس : « أعلم أن الحكمة وحدها لن تمهد لخطوط طريق أو تحكم قبضتك على زمام الحقيقة ، مالم تجعل معها ، الرحمة والإحسان . واعلم أن الحكمة والرحمة فى يد صاحب السلطة الرسمية ، لن يغنيا عن الشدة والحزم ليسلس له قياد رعيته ، ثم إن الحكمة والرحمة والحزم والاستقامة بغير قواعد المعاملات الإنسانية يمكن أن تصبح جميعاً حكماً بغير حكمة وشرعاً غير مشروع ! » .

٣٤-١٥ قال كونفوشيوس : « لايعرف معدن الرجال إلا فى النزالات ، فهى التى تسبر غورهم وتشد عزمهم » .

٣٥-١٥ قال كونفوشيوس : « هناك من يظنون أن الأخلاق والفضائل لون من الترف الفكرى ، والحق أن الشعوب تحتاج إلى الفضائل كماحتها إلى الماء والنار ، أو ربما أشد قليلاً ، وقد رأيت بعينى كوارث رهيبة بسبب فيضانات عاتية وحرائق متأججة ، لشدة

مافاض من ماء أو لهب ، ولكنى لم أر قط كوارث مفزعة
نجمت عن مغالاة فى التمسك بالفضائل .

٣٦-١٥ قال كونفوشيوس : « ليس هناك مقام أعلي من مقام
الفضيلة . ، ولاحتي المعلم نفسه . »

٣٧-١٥ قال كونفوشيوس : « العاقل من يصرف جل اهتمامه إلى
الإخلاص للمبادئ ، ويرتفع عن الصغائر كلما أمكن . »

٣٨-١٥ قال كونفوشيوس : « على من يعمل فى البلاط الملكى ، تحت
قيادة صاحب الجلالة ، أن يضع الأولوية المطلقة للمسئولية
الرسمية قبل أى اعتبار آخر ، بما فى ذلك حق الحصول على
الراتب النقدى المعين له . »

٣٩-١٥ قال كونفوشيوس : « الكل فى حق التعلم ، سواء . »
٤٠-١٥ قال كونفوشيوس : « لاينبغى على من ينتهجون انتماءات
سياسية متباينة مذهبياً أن يتبادلوا التشاور والأفكار فى شئونهم
المختلفة . »

٤١-١٥ قال كونفوشيوس : « الأساس الصحيح للغة فى كل مكان
وزمان هو قدرتها على نقل المعانى بسلامة ووضوح . »

٤٢-١٥ ذهب « شيمييان » (أحد كبار الموسيقيين) إلى كونفوشيوس
فى زيارة ودية ، فاستقبله ، وأخذ بيده وقربه إلى عتبات السلم
(وكان شيمييان كفيفاً مثل معظم الموسيقيين قديماً !) وهو
ينبّه إلى موضع الدرجات ليرتقيها ، فلما وصل به إلى
مقعده ، أجلسه ، فلما استقر جميع الحاضرين جلوساً ، أخذ
كونفوشيوس يقترب من أذن ضيفه ويبلغ بأسماء الحضور وأماكن
جلوسهم واتجاهاتها ، ثم لما انتهت الزيارة ، وغادر الجميع
خارجين ، راح زيجانغ يسأل كونفوشيوس : « لم تكلمت
هكذا مع الموسيقى الضرير هذه الليلة ؟ (كيف تهمس له
وتناجيه منفرداً هكذا ؟ ! فأجابه : « تلك هى الطريقة الملائمة
التي تناسب فتناً عظيماً مثله ! » .

« جيشى »

وجملته أربعة عشر فصلا

١-١٦ كان « جيسون » (مسئول عظيم بمملكة « لوكو ») يجهز إحدى الفرق لتشن حملة تآديبية على مقاطعة توانيو (٨٩) ، فذهب كل من « رانيو » و « زيلو » للقاء كونفوشيوس ، والتشاور معه بهذا الخصوص ، فأجابهما بقوله : « وأين كنتم عندما اتخذ هذا القرار ؟ ألم تشجعه على هذه الخطوة ؟ ! وإنى لأحذركما من مغبة ذلك الطيش ؛ فقد ظلت مقاطعة «توانيو» أرضا مباركة منذ الأزل تحرس المعابد وتحمل على عنق هضبتها وصدر سفحها قرايين الشعائر . . إنها قطعة لا تتجزأ من أرض « لوكو » من قلب سادتها ومواطنيها فلماذا تهاجمونها اليوم ؟ فأجابه رانيو : « ليس سوى الأمير جيسون هو وحده الذى يريد قتالها ، أما نحن الاثنان فلا نوافقه على رأيه . » فقال له المعلم : « اسمع يا هذا ، لقد قيل قديما : اعط يدك وقلبك لسيدك واخلص لمسئولتك ، فإن لم تقدر فأجدر بك أن تستقيل . »

فما قولكما فى رجل ضرير أوشك على السقوط من أعلي الدرج ، ومساعدته المبصر ، يراه ولا يمتنع ، فما الفائدة إذن من صحبته ؟ ! وغدا عندما تدب الفوضى وتتحطم الجدران ،

وينفلت عقال الثيران الهائجة ، فتنتلق في الطرقات تدهس وتروع ، غدا عندما ينكسر فص الجواهر الثمين وتبهت الأصداف ودروع السلاحف ، فمن ياترى يتحمل الأخطاء ، ويعلن مسئوليته عما حدث ؟ ! « فأجابه رانيو ، قال : (« توانيو » منطقة حصينة ، ثم إنها لاتقع بعيدا عن إقطاعيات آل جيسون ، فإن لم يأخذوها اليوم ، صارت قذى في عين أحفادهم على مر الزمن .) فقال له المعلم : « اعلم يارانيو أنه خير للمرء أن يصرح بأطماعه ، ولو بلغت عنان السماء من أن يداريها بالحجج الواهية ، وقد بلغنى أن العبرة ليست بشخص الحاكم ، أميراً كان أو وزيراً ، خصوصا إذا مادلهم الخطب واشتد الخطر ، وإنما العبرة ومدار الأمر بمن حكم فعدل ، ووزع فأوفى كل ذي حق حقه . وليس يعيب مدينة سواء آزاد ساكنوها أم نقصوا ، وإنما يعول على مقدار حظهم من الأمن والاستقرار ورغد العيش ، واعلم أنه لافقر مع قسمة عادلة بين الجميع ولاهوان مع سلام غامر ، ولاكرب مع نعيم مقيم ، فإن تحقق ذلك في وطن ، عاد إليه مفارقوه ، واجتمع إليه الحشد الحاشد ، يريدون به الخير والاستقرار ، أما وأنكما الآن تدبران أمرا مع جيسون تفوح منه رائحة الخطر ، فلن يؤوب إليكم آمن ولن يستظل ببلدكم مهاجر ، فقد دققتم ساعة الهلاك والتخريب . وأكبر الظن أن هجومكم على « توانيو » ليس إلا حسابا قصير النظر ، ورؤية مضللة ، إذ إن مكنم الشر والخطر يأتي من قلب أميركم ، من أعماق ضميره ، وليس من أى شىء آخر . »

قال كونفوشيوس : « عندما تدار أمور الحكم - بإخلاص ونزاهة ، تصبح صناعة القرار الفعلية فى يد الامبراطور ، فهو الذى يملك أن يقرر كل مايتصل بـ الإدارة ، الإجراءات ،

الشعائر ، والفنون ، والجيش وكل الأمور المصرية الكبرى ، أما إذا اضطربت السياسة الداخلية ، ولعبت الأهواء ، ودبت الفوضى ، ، أصبح القرار الفعلى فى يد الأمراء وحكام المقاطعات ، وحيثئذ ، تسقط سيادة الامبراطورية فى غضون عشرة أجيال ، فإذا تحولت سلطة القرار إلى كبار المسئولين سقطت مؤسسة الحكم بعد خمسة أجيال فإذا انتقلت سلطة القرار إلى الولاة والمحافظين ورؤساء المدن ، تدهورت حال البلاد فى أقل من ثلاثة أجيال . إن سياسة واعية نزيهة ، لن تتدنى أبداً لتقع فى يد كبار المسئولين ، وسيكون فى استطاعتها حيثئذ ، أن تخرس السنة الفتنة ، ويصبح فى مقدور الناس أن ينظروا إلى حكوماتهم بالمهانة والاحترام الواجبين .

٣-١٦

قال كونفوشيوس : « لقد مرت خمسة أجيال كاملة منذ أن رال عرش دولة « لوكو » من قبضة الأباطرة العظام ، ولئن كانت أسرة « جيسون » قد ورثت صولجان الحكم على مدى أربعة حقب ، إلا أن تفشى سلطة كبار الموظفين ، لم تدع فائضاً من المجد والهيبة والنفوذ للأمراء الثلاثة خلفاء الامبراطور « هوان » (٩٠) .

٤-١٦

قال كونفوشيوس : « خالط ثلاثة ينفعوك ، واجتنب ثلاثة يضروك ، خالط المستقيم الخلق ، الشريف النفس ، واسع العلم والمعرفة ، واجتنب الخبيث ، والمتناق ذى الألف وجه ، والثرثار ذى المئة لسان (الكذب المتحدث بما لا يفقه) .

٥-١٦

قال كونفوشيوس : « يستحب فى السعادة ثلاث : لذة الفن والموسيقى ، متعة ذكر فضائل الناس ، ورضا العيش فى جوار أهل الخير . وثلاث مكروهة فى باب السعادة ، ألا وهى :

الفخر الذى يدرك الكبير ، والترف الذى يذهل العقل ، والمعدة المتخمة ثراء ونعمة . »

٦-١٦ قال كونفوشيوس : « ثلاثة أمور لا ينبغي لعاقل أن يقع فيها ، عند الحديث : التسرع فى قول بغير تبصر ، فذلك طيش اللسان . والتوانى عن كلمة حق ، فذلك عين التخاذل ، وتجاهل وجه المتحدث وسيماءه ، فذلك هو التعامى بصرا وبصيرة . »

٧-١٦ قال كونفوشيوس : « ثلاثة يلزم للعاقل أن يضعها نصب عينيه ويطوى عليها أجفان الحذر البالغ وهى : الافتتان بالنساء عند ريعان الشباب وأول الصبا ، والاعتزاز بتمام القوة عند اكتمال النضج ، ونهمة الجشع وجمع المال عند فناء الهمة فى سنى الشيخوخة . »

٨-١٦ قال كونفوشيوس : « لا يكثرث العاقل لشيء قدر اكترائه لثلاثة أمور : ألا وهى : القدر ، وصاحب النفوذ ، وموعظة قديس . أما البليد الجهول فلا يخشى القدر إذ يجهله ، ولا يهاب أميرا إذ لا يدرك قدر الماجد ومكانته ، ولا يبالى بموعظة لأنها لاتردعه الكلمات . »

٩-١٦ قال كونفوشيوس : « الناس على أربع درجات ، أولهم ، مولود بالحكمة ، وثانيهم لا يبلغها إلا بالبحث والدراسة ، وثالثهم يقع فى المحنة ، فيجتهد فى العلم ، فيبلغ ذرى المعرفة ، ومنهم من تعصف به المحن ، فلا يزجره علم ولا تعظه تجربة ، قد ختم على قلبه ، فلا يبلغن مثقال حكمة ، فأولئك هم أسفل درجة من الناس . »

١٠-١٦ قال كونفوشيوس : « ينبغي للعاقل أن يتدبر أمره في تسع مسائل : أن ينظر فينفذ إلى الأمور بعيني بصيرته ، لا بمجرد ناظريه ، وأن يستمع إلى القول بوعي الفاهم وليس بإنصات الأذن ، وأن يتخذ للمامحه مظهر الود ، ويتحلى بسمت الوقار غير مبتذل ، وأن يخلص في قوله إذا حدث ، وأن يتقن عمله ، إذا ما شمر عن سواعده ، فإذا صادف محنة فليطلب النصيح فهو أذكى له ، وليتدبر العواقب إذا غضب ، فربّ هفوة حنق جلبت بغضاء للأبد ، وليتبه إلى ما يشتهى فلا يمدد يدا إلى ما لا يحق له أن يمسسه . »

١١-١٦ قال كونفوشيوس : « يقولون أن هناك من يسعون إلى الكمال ، ويتسابقون إلى المجد ، فينفرون من الجهل والتخلف ويفرون منه فرارهم من خطر محقق أو هلاك وشيك . . نعم . . قد رأيت أناسا كهؤلاء وسمعت أقوالا كتلك ، ويقولون أيضا بأن هناك من يعتزلون الدنيا والناس حفاظا على مبادئهم وآمالهم ، وبأن بعض الناس يسلكون أشرف وأنبيل السبل لبلوغ غاياتهم في مجال السياسة ، وفي الحق ، في أقوال تتردد كثيرا ، ولكنني لم أر أحدا يسلك بها على أرض الواقع . »

١٢-١٦ كان الأمير « جين » بمملكة « تشيقر » يملك أربعة آلاف رأسا من الجياد المطهمة ، فاق بها حدود الجاه والثراء في زمانه ، فلما مات انقضى أمره ، كأنه لم يعيش يوما ، أما الأميران « بوأي » « وشوتشي » فقد ماتا جوعا بكهف جبلي مهجور ، تفضيلا للموت بشرف على حياة ذليلة ، فبقى ذكرهما خالدا في الاسماع من الأزل . « (٩١) »

ذهب «شكناخ» إلى «بويى» - ابن كونفوشيوس - وسأله ، قال : « ترى مالى الذى يخصك به سيدى من علم ، وأنت تراه وتجلس إليه طوال اليوم ؟ » فأجابه «بويى» : لا يخصنى بشىء ذى قيمة ، فمثلاً . . كنت أمر ذات يوم فى طريقى إلى بعض شئونى ، فنادانى وسألنى إن كنت أحفظ شيئاً من الشعر فلما أجبتة بالنفى قال : « من لم يحفظ شيئاً من الشعر ، خاصمته معانى الكلمات » . فما برحت حتى حفظت منه الكثير ، وكنت فى يوم آخر ، أجلس قريباً منه ، فسألنى إن كنت تعلمت آداب المجاملة ، فلما أجبتة بالنفى ، قال لى : « من لم يتعلم شيئاً من ذلك ، ضل سبيل النجاة . » فما تركت شيئاً من الآداب حتى تفقّهت فيه ، ثم إنى لم أتميز عن أحد إلا بهاتين الموعظتين من المعلم ، فما خصنى بشىء غيرهما . » وعاد «شكناخ» إلى بيته سعيداً ، يقول لنفسه : « سألت سؤالاً واحداً ، ففزت بثلاث إجابات تحوى معارف شتى ، وعيت بها مغزى القصائد ، وفائدة تعلم آداب المجاملات ، وعلمت أن الفقيه الحكيم لا يحابى ولده أو يخصه وحده بشىء دون الناس . »

على الحاكم أن ينادى زوجته بلقب «فُورن» (: السيدة الفاضلة) وعلى السيدة زوجة الحاكم (أو الامبراطور) أن تدعو نفسها : « البنت الصغيرة » (تواضعاً . . يعنى !) وعلى العامة والأفراد العاديين أن ينادوها بلقب «جونفورن» (فخامة السيدة الكبرى !) فإذا كانت فى زيارة رسمية خارج البلاد ، فعليها أن تدعوا نفسها بلقب «كواشياوجون» (التابع الصغير) أما مواطنو الدول الأجنبية فيلقبونها بـ «جونفورن» (فخامة السيدة الأولى) .

الباب السابع عشر

« يانهوا »

وجملته ستة وعشرون فصلا

١٧-١ بذل « يانهو » كل جهده لمقابلة كونفوشيوس ، إلا أن هذا كان يعرض عن لقائه ، ثم إنه انتهاز فرصة ذهاب كونفوشيوس فى بعض شئونه خارج المنزل ، فأرسل من حمل إلى بيته هدايا وولائم ، فلما عاد المعلم وعرف بالأمر ، وأدرك أنه مطالب بتقديم الشكر إلى « يانهو » عزم على الذهاب إليه ، ثم أرسل من يراقب منزله ، ليعلم بالأوقات التى يكون فيها « يانهو » خارج المنزل ، وذلك لأن المعلم لم يكن راغبا فى مقابله وجها لوجه ، فلما قام وقصد إلى داره ، فإذا هو أمام « يانهو » ، فكانت مصادفة الطريق هى التى جمعت بين الرجلين ، ثم إنهما سارا معاً يتحدثان ، وسأله يانهو : « أياكون الرجل عاقلا فاضلا إذا أثر الأمن والسلامة وبلاده تضطرم بالفوضى ؟ » وسكت كونفوشيوس ولم يرد بشئ ، إلا أن السائل أجاب بنفسه ، قال : « كلا . . فمثل هذا الرجل لا يمكن أن يعد عاقلا أبدا . » ثم سأل ثانية : « أياكون الرجل ذكيا فطنا وهو يضيع الفرص المواتية التى تمكنه من الوصول إلى منصب رسمى عالى المستوى ؟ » وسكت للمرة الثانية ، فأجاب يانهو بنفسه ، قال : « ولاهذا أيضا ، فالأيام تنقضى سراجا ، والزمن لا ينتظر أحدا ، وهنا لم يملك كونفوشيوس إلا أن يرد عليه بقوله : « لا بأس ، فأنا مستعد الآن للعمل بوظيفة رسمية (٩٢) . »

- ١٧-٢ قال كونفوشيوس : « الطبيعة البشرية مشتركة ومتشابهة من حيث الأصل و ليس سوى العادات والتقاليد البيئية المختلفة ، هى التى شقت من جذورها أصولاً وفروعاً وألواناً متباعدة . »
- ١٧-٣ قال كونفوشيوس : « إن من السمات الغريزية ، والطبائع الفطرية ، بما فيها الذكاء الخارق أو الغباء المفرط ، تلزم حد التمكن والثبات ، بما يستحيل معه تغييرها أو تعديلها ، مهما كانت الوسائل . »
- ١٧-٤ ذهب كونفوشيوس بصحبة مريديه إلى مدينة « أوتشن » ، فلما دخل المدينة ، وإذا بموسيقى التراتيل تصرح فى الاجواء ، فتسهل المعلم ، وقال لمن حوله : « منذ متى كانت المدن الصغيرة ، مثل مدينتكم هذه تحتاج إلى تعلم الفنون والشعائر ، فتلك أمور لاتهم إلا الممالك الكبرى ! (حرفياً : . مالداعى إلى استخدام سكين مذبح الابقار لذبح دجاجة هزيلة !) فبلغ ذلك « زاو » ، فقال له : « يحضرنى ياسيدى قولك ذات مرة من أن تعلم الفنون ، يلين جانب الملوك ، ويشيع روح الطاعة بين المحكومين » فليس هنالك عيب إذن فى تعلم الفنون . كما ترى ، فعندئذ ، التفت كونفوشيوس إلى تلاميذه وقال : « أيها السادة ، اشهدوا أن مقالته « زاو » هو عين الصواب ، فما قلت قولى الأول إلا على سبيل الدعابة . »
- ١٧-٥ اتخذ « كونشان فوراو » من مدينة « فای » قلعة العصيان والتمرد على نظام حكم أسرة « جيسون » الملكية ، وأرسل إلى كونفوشيوس يرجو لقاءه فى أمر مهم ، فأعد المعلم للسفر إليه فبينما هو يتأهب للمضى ، إذا قابله « زيلو » وصرح بما يساوره من شك فى هذا الموضوع ، وقد أظهر له الاستياء البالغ ،

ونصح لكونفوشيوس بعدم الذهاب ، وقال له : « ما الذى يحملك على مشقة كهذه ، وما الذى تجنيه من ذهابك إلى واحد مثل « كونشان ؟ » . فأجابه المعلم قائلا : « وما يدريك أنه يحتاج إلى من يمد له يد العون ، فلعله يقصد إصلاح الأمور ، وإلا ما كان أرسل فى طلبى ، ومن جانبى ، فلا أريد أن أتقاعس عن الالتزام باحياء المبادئ العظيمة المتمثلة فى جملة الفضائل والآداب الموروثة عن دولة « جوكو » الغربية . »

٦-١٧

قصد ريجانغ إلى كونفوشيوس ، وسأله عن الإحسان ، كيف يكون ، فأجابه : « هو أن يتحلى المرء بخمس خصال طيبة فى آن واحد . » فعاد السائل يسأل : « فما هى تلك الخصال ؟ » فذكرها له قائلا : « التواضع ، والكرم ، والإخلاص ، والعزم ، والرافة ، إذا لايهان من تواضع ، ولا يستغنى عن الكرم ، وأما المخلص فدائما أهل للثقة ، وصاحب العزم يسلك بالنجاح فى كل طريق ، والعاقل الحليم يأمر فيطاع ، وتنقاد له السواعد والقلوب ثقة وعرفانا . »

٧-١٧

أرسل « ييشى » (٩٣) يستدعى كونفوشيوس ، فلما تجهز للذهاب إليه جاءه ريلو ، وقال له : « ألسنت أنت القاتل بأنه ليس من الحكمة الذهاب إلى موطن يموج بالفوضى والمؤامرات ؟ فكيف يستقيم ذلك مع ذهابك إلى ييشى وهو ضالع فى مؤامرات ضد « جونمو » ؟ فأجابه ، قائلا : « أما المقولة فأنا صاحبها ، وأما عن الأمر الثانى فكنت أنا أيضا القاتل بأن الصلب لا يثنيه داب المطارق والنقاء الأصيل لا تنكدره الشوائب ، فكيف تخالنى أقع فى مكيدة ليس لمثلئى أن يغفل عن أحاييلها ! أتراك تصدق أن أجعل من نفسى أضحوكة بكل هذه السهولة ؟ ! »

٨-١٧ تحدث كونفوشيوس إلى « جونيو » فقال له : « أما سمعت عما بين الخصال السبعة وقرائنها من علاقة وثيقة ؟ » فلما أجاب بالنفى ، قال له : « اجلس ، واسمع ، فالإحسان بغير هداية من العلم يوقع بالمرء صيداً سهلاً فى أحقر المكائد ، والذكاء بغير علم ، رعونة وطيش أخرق والإخلاص بغير علم تهلكة للنفس بالانقياد السهل لمزاعم النوايا النبيلة . والخلق القويم بغير علم ، يضع فى فم الرجل المهذب لساناً كذنب الحيات ، يريد أن ينصح فيلسدغ (يؤذى حيث يريد النفع !) والشجاعة بغير علم ، طريق قصير إلى التمرد والعصيان . أما العزم الراسخ بالثقة الصلبة فى غيبة أضواء واعية بهدى من العلم والتنوير ، فليس إلا الضمان المؤكد والمقدمة المعهودة للوقوع فى مخاطر النزق المتهور والتخريب الدامى . »

٩-١٧ قال كونفوشيوس : « لمريديه : » « لم لاتقرأون كتاب « الشعر القديم ؟ » (كتاب القصائد !) أما علمتم أن الشعر حافظ الخيال ومنبت الوعى الأصيل ، ورباط الود الحميم ! ثم إنه مرعى البلاغة والعبارة النافذة ، فكتاب الشعر منهل رائق بالعرفان والمودة لكل ذى رحم ، وقطف دان بالولاء فى شريعة الحاكم والمحكوم ، ومعجم مااستعجم من أسماء الطيور ونادر الاعشاب والنبات . »

١٠-١٧ قال كونفوشيوس : ل « بويائى » : « هل قرأت الفصل الأول والثانى من « كتاب القصائد » ؟ أما علمت أن من جهلها انغلقت عليه : أبواب الفهم كلها وغمضت عليه أوضح الدروب والمسالك . »

١١-١٧ قال كونفوشيوس : « إن الدلائل الحقيقية للطقوس والعبادات الدينية لا تقتصر على القرابين والنذور المقدسة ، ولا ينحصر معنى

الموسيقى فى ظاهر الأداء المجرد للايقاعات اللحنية ونغمات الأصوات . . (فتأمل باطن الدلائل فى كل ذلك ا) «

١٢-١٧ قال كونفوشيوس : « مثل الرجل جبار الوجه ، جبان القلب ، لو استعملنا التشبيه اللائق من دنيا الجريمة واللصوصية ، كمثل السارق المتسلل خفية من الطيقان والنوافذ . »

١٣-١٧ قال كونفوشيوس : « ليس أخطر على الفضيلة من امرئ لا يفرق بين الحق والباطل . »

١٤-١٧ قال كونفوشيوس : « ليس من كرم الأخلاق ، ترويح الشائعات واللهج بالقييل والقال . »

١٥-١٧ قال كونفوشيوس : « إياك ومحابة الأوغاد (فى أمور العمل الرسمية) ؛ فأعينهم تلمع بالحرص على أرفع المناصب ، وهم خارجها ، وقلوبهم تشتعل لهفة على مكاسب أيديهم ، خشية فقدانها فلذلك كله ، لن يتورعوا عن اقتتراف كل أنواع الدنايا لتحقيق أغراضهم . »

١٦-١٧ قال كونفوشيوس : « (متهكما) : لكل زمان أهله وخصاله ، فلئن كان يعيب الحمقى ، فيما مضى ألسنتهم الفاحشة ، فقد صاروا فى أيامنا فجار اليد واللسان ، وكان الأشراف الأماجد قبلنا تيجان من الرفعة المهابة والإجلال ، فأصبخوا اليوم عتاة جرم ، سود أكباد ، تجمعهم مكيدة وتفرقهم فتنة (ناهيك عن ذلك كله ا) بل وحتى البلهاء ، كانوا بالأمس سراويل ممزقة وأفواه تسيل بالمخاط ، وهامهم فى أيامنا ، سادة فنون الدهاء والخديعة والاحتيال . »

١٧-١٧ قال كونفوشيوس : « من يتظاهر بلامح العطف ، وهو يثر من معسول الكلام ، لا يمكن ، بأى حال ، أن يكون شريف الأخلاق ، صادق المودة . »

١٨-١٧ قال كونفوشيوس : « ما أبغضت شيئا قط ، قدر استبدال اللون بنفسجي باللون الأحمر (٩٤) (المجيد !) ولاكرهت شيئا مثل إفساد الموسيقى (الكلاسيكية) الملكية ، بصخب الموسيقى الفلكلورية (الهادرة بغير ذوق !) ولشد ما عافت نفسى التحايل بسحر البيان وسر البلاغة لقلب منطق الحقائق . »

١٩-١٧ قال كونفوشيوس : « ماعدت أريد أن أقول شيئا بعد اليوم ! » فرد عليه تسيكون قال : « وإذن ، فكيف لنا نحن تلاميذك أن نحدث عنك ؟ ! » فأجابه المعلم : « وهل تحدثت السماء بشيء (منذ متى كان للأقوال قيمة !) فدورات الفصول الأربع ترى فصلا فصلا بحسب قانون أرلى ، والوجود كله بالحياة والحركة المنتظمة والدائبة ، فالأفعال إرادة من السماء ، أبلغ من أى قول . »

٢٠-١٧ جاء رويائى (٩٥) يريد لقاء كونفوشيوس ، فقيل له إن المعلم مريض يلازم الفراش ، فلما سار الرجل مبتعدا وإذا بالمعلم ينهض قائما ويعود إلى قيثارته ، ثم أخذ يعزف ويغنى بصوت جهورى ، متعمدا أن يسمعه « رويائى » ويدرك أنه بصحة جيدة . أما لماذا تصنع كونفوشيوس المرض ، فلأنه لم يكن يرغب فى لقاء رجل يجهل مبادئ المعاملات وأصول الزيارة المنزلية اللائقة (قيل بأن « رويائى » كان يسيء الأدب مع رؤوسائه ، ويغلظ فى القول مع كبار السن !) .

٢١-١٧ جاء زاو إلى كونفوشيوس وتحدث إليه فى موضوع طقوس الحداد على الوالدين المتوفين ، قال : « تنص المبادئ العامة على أن تستمر فترة الحداد على من مات من الوالدين أحدهما أو كليهما مدة ثلاث سنوات ، وفى رأىى فهى مدة

طويلة جدا (لها تأثيراتها السلبية) فإذا انقطع الطالب عن دراسته ثلاث سنوات ، وكان ذلك كفيلا بتعطيله عن تطبيقاته المعرفية المفيدة ، وإذا توقف العارف عن ضرب الأوتار ثلاث سنوات ، تباعد عن حسه النغمي المرفه ، واختنقت النغمات فى عنق قيثارته ، ثم إن مدة طويلة كهذه ، يمكن أن تأتى على أطنان القمح فى المخازن ، بينما يذبل العود وتجمف السنابل تحت حصاد البيادر (فلا مخزون عندئذ ولا حصاد) أفلا يكون من الأنسب أن تقتصر مدة الحداد على عام واحد فقط ؟ ، فأجابه كونفوشيوس : « أيطاوعك قلبك ويهنا عيشك إذا شبت أرزا وقمحا وتنعمت فى الديساج الملون قبل أن تكتمل ثلاث سنوات على وفاة والديك ؟ » فأجابه : « نعم ، لأجد غضاضة فى ذلك . » فقال له المعلم : « إذن فافعل مابدا لك ، والحق ، إن الماجد المهذب لا يجد فى العسل (أثناء الحداد) إلا مرارة العلقم ، ولا يسمع فى الموسيقى إلا الشجن ، ولا يرى فى نعيم الحياة إلا لهوا وضلالا بعيدا ، فلذلك (يطوى نفسه فى إزار حداده) طوال ثلاث سنوات . أما وأنتك لاتجد من تلك الحال شيئا فى نفسك فلا بأس عليك أن تقتصر على عام واحد فقط . » فلما قام زاير وخرج ، نظر المعلم إلى الحاضرين ، وقال : « ما أقسى قلب الرجل المدعو زاير ! يستكثر حداد ثلاث سنوات على الوالدين ، ألا يعرف أن المولود يبقى لصيقا بصدر والديه ثلاث سنين كاملة من حياتهم ! أيعز عليه أن يذل سنوات ثلاث من الوفاء ، مقابل ثلاثا أخرى أعظم وأكبر من الشقاء والحب والتفانى » .

٢٢-١٧ قال كونفوشيوس : « بعض من يجلسون طوال اليوم ، كسالى لا يقومون إلا إلى الطعام ، شأنهم الوحيد هو أن يملأوا بطونهم ، فهؤلاء والعدم سواء . أفلا يسمحون عن شيء يفعلونه ؟ » إن تزجية الوقت بلعب الشطرنج أحيانا ، والقاء النرد ، أحسن كثيرا من القعود بلا عمل . »

٢٣-١٧ جاء زيلو إلى كونفوشيوس ، وسأله : « هل الشجاعة من الفضيلة ؟ » فأجابه قائلا : « العاقل المهذب يجد الأخلاق أسمى الفضائل وأعظمها جميعا ، فالشجاعة بغير أخلاق ، تحت الماجد الشريف على التمرد والعصيان ، وتدفع الدنيا الحقيقير إلى السرقة والاختصاب . »

٢٤-١٧ جاء « تسيكون » إلى كونفوشيوس ، وسأله : « هل يعرف المهذب مشاعر الكراهية ، وهل يدخل البغض قلبه ؟ » فأجابه : « نعم ، فهو يكره من يشهرون بأخطاء الناس على قارعة طريق ويبغض من ينسبون التهم إلى رؤسائهم زورا وبهتانا ، وكذلك كل من لا تردعهم المبادئ ، كما أنه لا ينفر من صلف متغطرس يباهى بالعند والتعالى فوق ماسواه . » وسكت كونفوشيوس ثم دار بالسؤال على سائله ، قائلا : « فأنتم ياتسيكون ، فماذا تكره ؟ » فأجابه : « ماكرهت في حياتي مثل الأعيان ، ينسبون إلى أنفسهم فضائل ليسوا أهلها ، وكرامة ليسوا أربابها ، ولا ابغضت على مثل الحمقى الذين يخلطون بين الشجاعة والطغيان ، وأيضا السفلة الحريصين على فضح أسرار الناس بغير وازع من خفي أو ضمير . »

٢٥-١٧ قال كونفوشيوس « أصعب من يمكن التعامل معهم في الدنيا هم : النساء وأبذل الرجال ، لأنك إذا اقتربت منهم

شتموك وإذا ابتعدت عنهم ، اتهموك بالظلم والقسوة
والتعالى . «

قال كونفوشيوس : « إذا بقى الرجل مكروها وسط الناس ،
١٧-٢٦ حتى بعد بلوغه الأربعين من عمره ، فلن يستطيع أن يكسب
مودة أى إنسان ، حتى لو عاش آلاف السنين بعدها » .

الباب الثامن عشر

« ويتس »

وجملته أحد عشر فصلا

١-١٨ كان الملك « تشو » أحد حكام أسرة « يين » - قد سار بالظلم والطغيان فى أواخر سنى حكمه ، ففارقه أخوه « ويتس » وصار شقيقه الآخر « جيتس » مرذولا محتقرا حتى نزل إلى درجة العبيد ، وقتل عمه « بيكان » فى ظروف غامضة - وكان هذا الأخير شديد المعارضة له والتذمر على سياسته ، ثم إن كونفوشيوس ، قال : « ما أعظم الرجال الثلاثة الذين عاشوا فى السنوات القلائل الأخيرة من عهد أسرة « يين . » (٩٦)

٢-١٨ لطالما أقصى القاضى « هويليوشيا » (٩٧) عن منصبه ، برغم أنه كان جواداً ممدحا ، عادلا ، لا يظلم فى أحكامه ، ولا يحابى ذى سطوة أو نفوذ ، فلما جاءه من نصحه بالرحيل عن مملكة « لوكو » استخرب وأجاب قائلاً : « لا ينال العادل إلا سخطا أينما حل بمكان ، فمن سلك بالحق غرم ، ولئن سهلت على المرء المدارة وهانت عليه المبادئ ، فلا معسر له فى أرضه (فلا يلجئه شئ إلى الهجرة وعذاب الترحال . »

٣-١٨ تحدث الأمير « جينغ » - بمملكة تشيفو عن كيفية التى سيعامل بها كونفوشيوس إذا ما ولاء منصبا بالبلاط الملكى ،

فقال : « سنحتفى به ونحيطه ببالغ الاحترام والتقدير ، لكننا لانستطيع أن نعامله بالطريقة التى حظى بها « جيسون جيونشى » على يد أمير « لوكو » ، فتلك ذروة الشرف وسنام المجد العالى العظيم « الذى لا يبلغه أحد سواه ، وبالطبع فلا نضمن له أن يتساوى بمن هم فى مرتبة أدنى ، مثل منغسون شى فقصارى مانجود به عليه ، أن نجعله فى منزلة بين المنزلتين . ثم إنه أضاف قائلاً : « أما وقد بلغت بى الشيخوخة ماترون ، فلا أظننى بحاجة إليه . » فلما بلغ كونفوشيوس هذا القول ، قام فغادر مملكة « تشيقو » على الفور . »

١٨-٤ أهدت مملكة « تشيقو » جوقة من المغنيات والراقصات إلى « جيسون شى » رئيس وزراء مملكة « لوكو » فقبل الهدية ، وصار لا يفارقهن أياما ، وهن يغنين له حتى أزغن عقله عن شئون الحكم وسائر مسئولياته الرسمية ، فلما وجد كونفوشيوس الأمر على هذا النحو ، قَدَّم استقالته وغادر المملكة . »

١٨-٥ كان « جيو » واحداً من أولئك المشفقين (القُوضيين) الذين امتلأت بهم مملكة « تشيقو » ، وتصادف أن رفع عقيرته بالغناء ذات يوم بينما كونفوشيوس يمر بمركبته حذاء الطوار ، فسمعه وهو يتغنى بهذه الابيات : « حدثنى .. »

عنقاء الزمن الردىء
لماذا انمحت الأقمار ؟
لماذا .. صوت الفضيلة
ماعاد يشجىنى ؟
والماضى .. لا يعود
لماذا ؟

والغد الآتى
هل يدركنى قبل أن ..
لكن ..
كيف يجىء النهار ،
والسادة الموظفون المغفلون ..
يغتالون ..
الصبح الباكر ... بأيديهم ؟ !

ثم إن المعلم نزل من المركبة ، وقصد إليه ليكلمه ، إلا أن
« جيو » فى تلك الاثناء ، كان قد مشى بعيدا واختفى وسط
الزحام .

٦-١. كان الرجلان « شانجيو » و « جينى » يحرثان أرضهما ، إذ مرَّ
بهما كونفوشيوس ، وأرسل « زيلو » يسألهما عن الطريق المؤدى
إلى معبر النهر ، فلما قدم « زيلو » منهما ، سأله « شانجيو »
قائلا : « من ذلك الرجل الجالس فى المركبة ؟ (مشيرا تجاه
المعلم) فأجابه : « هو كونفوشيوس . » فسأله الرجل ثانية :
« أهو كونفوشيوس القادم من مملكة لوكو ؟ ؟ فقال : « نعم هو
يعينه . » فقال له : « إذن ، فلا بد أن يعرف الطريق بنفسه إلى
معبر النهر . » فلم يجد « زيلو » إلا أن يجرب مع الآخر ،
لكن هذا سأله بدوره : « من أنت ؟ » فعرفه زيلو بنفسه ،
فسأله الرجل ثانية : « أنت تلميذ كونفوشيوس ؟ » ورد
« زيلو » بالإيجاب ، فقال له « جينى » : « وما تقول فى
الفوضى التى عمت الدنيا كفيضان جارف ؟ هل تقلر أنت
وأستاذك على تغييرها (إصلاح الأحوال المضطربة فى البلاد)
فما أراكما تسعيان فى البلاد إلا هرباً من عسف حاكم جائر ،

ليس من الحكمة أن تأتيا وتفلحا الأرض معنا ، هربا من وجه الحقائق الموجهة ؟ » وعاد « زيلو » مسرعا إلى أستاذه ، فأخبره بمادار ، فأطرق المعلم حزينا ، وقال : « ليس أمامنا إلا هضاب وعرة ، وسهول مغرقة ، فلأما وخز العشب الوحشى ، أو مستنقع الجهل البشرى ، فأين المقر ؟ ! أما كان جديرا بحكومة مسئولة أن تسلك بالحكمة وتنشر بهاءها فى أرجاء الممالك تحت الشمس ، فتمسك عن دعاوى التغيير والإصلاح ! »

كان « زيلو » يطوف البلاد بصحبة كونفوشيوس ، ثم إن المسير تأخر به عن ملاحقة أستاذه فى بعض الأحيان ، فبينما هو يجد فى أثره إذ صادف شيخا يعرج على عصاه وهو يحمل منجل الحصاد ، فسأله زيلو : « هل صادفت أستاذى الجليل فى طريقك ؟ » فأجابه الشيخ : « كيف يستحق أن يكون أستاذا جليلا من وهنت أطرافه وانسحقت عظامه دون أن يعرف شيئا عن الأرض ، زرعتها وحصادها ، عشبها وأشواكها ؟ » ثم اعتمد على عصاه وهو يميل ليقطف بمنجله أعناق الأوراق ، فانتحى زيلو جانبا إكبارا ونحية له . ودعاه الشيخ ليقم فى ضيافته أياما ، فذبح وأولم له واحتفى به للغاية ونادى على أبنائه ليسلموا عليه ، وفى اليوم التالى لحق زيلو بـ كونفوشيوس ، وحكى له ماحدث فعقب عليه المعلم قائلا : « هو رجل طيب من الزهاد الأبرار . » وطلب إلى زيلو أن يرجع إليه ، ليتأمل بأحواله ، وذهب زيلو ويبحث عنه فلم يجده ، فعاد وقال لأستاذه : « ليس من البر أن يسلك المرء طريق الزهد فينقطع عن ديوان العمل ليقبع فى صومعة النسك والاعتزال ، فليس من الحكمة أن نتجاهل أصول المعاملات

٧-١٨

التي استقرت بين السابقين واللاحقين ، بين الشيوخ والشباب أو بين الحكام والمحكومين ، فهي شرائع ونظم (مواريث حياة طبيعية ١) ثم إن الاعتزال الشريف المتوسل بالكرامة والطهر والنقاء ليس في حقيقته إلا هدماً لأصول المعاملات الإنسانية التي تستحق تدعيم أو اصر الحب والاحترام والتفاني المتبادل بين أطرافها ، وليس شغل المناصب الحكومية - في جوهره - إلا تقرير وتنفيذ لتكافؤات مبادئ الحقوق والواجبات المستقرة بين كبار المسئولين ، وصغار العاملين ، ولطالما كنت أقول بأن مثاليتنا السياسية لن تجد طريقها إلى أرض الواقع أبداً ١ .

١٨-٨

من بين الذين اختاروا العيش في عزله تامة عن المجتمع ، عدد لا بأس به من الرجال ، منهم : « بويای » و « وشوتشى » و « يوجون » و « آيى » و « جوجان » و « ليوشياهى » و « شاوليان » ، ولقد قال كونفوشيوس : « اثنان فقط من بين هؤلاء جميعاً . لم يسدلوا عزمهم فلم يهنوا ولم تمس سيرتهم أية شائبة ، هما « بويای » و « وشوتشى » ثم تكلم عن « ليوشياهى » و « شاوليان » قائلاً أنهما : « نكصا عن مبادئهما وأساءا أبشع إساءة لسمعتهم مع أنهما لم يتجاوزا في قول ولم يفرطا في سلوك . » ثم تكلم عن « يوجون » و « آيى » فقال بأنهما : « أقاما في العزلة طاهري اليد واللسان ، زاهدين في متاع الدنيا ! وأضاف قائلاً : « أما عن نفسى فأنا أختلف عن هؤلاء جميعاً (وأختلف معهم) ، فليس هناك شيء مقبول تماماً أو مرفوض كلياً (صيغة التطرف ليست من الحكمة في شيء ، فهناك دائماً الوسط المثالى والاعتدال المقبول ١) . »

١٨-٩

أتى على مملكة « لوكو » زمان ردى ، فسدت فيه الطبائع وانهدمت أركان الأخلاق والمبادئ كما تراجعت الأذواق الراقية

(الفنية) حتى إن كبار الموسيقيين هربوا من البلاد ؛ إذ لجأ الموسيقار الكبير « تشى » إلى مملكة « تشيقو » وهرب موسيقار القصر الامبراطورى الثانى « جان » إلى دولة « تشوقو » ، وقصد موسيقار القصر الثالث « لياو » إلى دولة « تساي » ، بينما هرع الموسيقار الرابع « تشيوى » إلى مملكة « تشين » هذا وقد لجأ كثير منهم إلى العزلة والتمنى الاختيارى ، إذ قصد العازف البارع « فانشو » إلى وادى النهر الأصفر وأقام فى عزلة أبدية ، ذهب ضارب الدف « أوو » (WU) إلى وادى نهر الهان فاعتزل فيه ، ثم إن كلا من يانغ - ثانى أكبر الموسيقيين فى المملكة ، « وشيان » - عازف الايقاع الشهير - ذهباً كلاهما وأقاما بأحد الأكواخ الخشبية القديمة عند حافة النهر ، إمعانا فى العزلة . (٩٨)

١٠-١٨ قال « جوكوتغ » لولده وهو يقدم له النصائح : « إياك ومخاصمة ذوى رحمك ، وحذار أن تهمل شأن وزرائك ورجال دولتك وتوغر صدورهم ضدك ، ولا ينبغي لك أن تستصغر هيئة أصدقائك ووزرائك القدامى ، إلا من اقتrof آثاماً مهولة ، ولا تحاسب عمالك بمعيار الكمال التام (لا تحملهم مالا يطيقون !)

١١-١٨ شهدت أسرة « تشو » الملكية ظهور ثمانية من أبرع رجال العلم ، وهم ، على التوالى : « بوداي » ، « بوكو » ، « جونتو » ، « وجوانهو » ، « وشويا » ، « وشيشيا » ، « وجى سوى » ، و « جيکوا » . (٩٩) .

الباب التاسع عشر

« زيجانغ »

وجملته خمسة وعشرون فصلا

١-١٩ قال زيجانغ : « ينبغي على المشقف الحقيقي ألا يتوانى عن أن يبذل حياته فداء لبلاده فى وقت محنة وساعة أزمة ، كما يتوجب عليه أن يترفع عن مغنم دنئ رخيص ، وأن يتفانى فى التضحية بأعز ما يملك (يظهر الخشوع عند تقديم القرابين إلى المعابد) وأن تأتى أحزانه صادقة ، نبيلة ومواسية ، إذا ما ألم خطب أو نزلت نائبة . »

٢-١٩ قال زيجانغ : « كثير جدا من الناس يمرون عرضا بطريق الفضائل والأخلاق - لكن قليل جدا من يثابرون على المسير قدما ، وهناك آلاف مؤلفة تدخل فى الأديان والعقائد ، لكن تفراً معدودا منهم هو الذى يثبت عند حدود الإيمان . »

٣-١٩ ذهب أحد تلاميذ « زيشيا » إلى زيجانغ وسأله عن الصداقة بين الناس ، كيف تكون وما الطريق إليها ، فقال له زيجانغ : « فما قول معلمك فى هذا ؟ » فأجابه : « قال لى أستاذى : صادق من يستحق صداقتك ، وأعرض عمن لا يستحقها . » فقال زيجانغ : « لكن ما بلغنى عن أستاذك يناقض ما تنقله

عنه الآن ، وعلى أية حال ، فالعاقل من بذل الاحترام للكرام
 وللثيم ، للمجد والفساد معا ، فهو يجد العبارة النابها ،
 ويتبسط مع الأملين الجهلاء (حرفيا = يعطف على العاجزين
 والبسطاء) .

وقد يتساءل المرء أحيانا بين نفسه : « هل أنا امرؤ تجتمع فيه
 خصال الفضيلة وحسن البصيرة ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف
 أعجز عن احتمال الآخرين وفهمهم ؟ ! أما إذا افتقد إلى كرم
 الأخلاق وصفاء الذهن ، فمن الطبيعي أن ينفر الناس مني . . »
 فنحن لا نملك ترف الابتعاد عن الآخرين ، لكنهم هم الآخرون
 الذين يقلدرون على وضع الحدود الفاصلة بيننا وبينهم إذا
 شاءوا . . »

٤-١٩ قال « ريشيا » : « لكل حرفة منافع وفوائد ، حتى الحرف
 متواضعة القيمة لها ، هي الأخرى ، مهاراتها وتقنياتها
 الفريدة ، وبرغم ذلك ، فالطموحون والأذكياء لا يسعون إليها ،
 فهي لا تساعدهم على الاقتراب من قلب القضايا المصيرية
 الكبرى » .

٥-١٩ قال « ريشيا » : لا يقال أن المرء كثير الاطلاع ، واسع المعرفة ،
 إلا إذا استطاع أن يحصل معارف جديدة يوما بعد يوم ،
 ويستبقها نشطة حية في ذاكرة قوية ، ثم يراجعها مرة في كل
 شهر . . »

٦-١٩ قال ريشيا : « ادرس بعمق ، وثابر على تطلعاتك ، وانصت
 وفكر واسأل عن كل ما يستعصى على الفهم ، وناقش مشاكلك
 ثم ابحث لها عن حلول تناسب طاقتك ، لتأتى بتائج تطولها
 يدك ، ففي ذلك تكمن قيمة الفضيلة والأخلاق والإنسانية
 جميعا . »

٧-١٩ قال زيشيا : « العمال فى كل أنواع الحرف ، يذلون جهدهم

لإتقان أدائهم وإنتاجهم فى الورش الفنية ومواقع العمل ، أما
السادة المهذبون (هكذا فى المتن ، حرفيا !) فيطوفون بين
شواطئ المعرفة يجمعون الحقائق (ثم يصبونها فى أنساق)
طرائق بحث وقوانين ومناهج . » (١٠٠)

٨-١٩ قال زيشيا : « الدنيء ، الخطأء ، يعجوب الأرض حتى أقصى
أطرافها وربما يقضى عمره كله بحثا عن أستار يدارى بها
أخطاءه . »

٩-١٩ قال زيشيا : « أى رجل مهذب ، يترك لدى الناس ثلاثة
انتطباعات : مهابة ووقار (لمن يورونه عن بعد) ومشاعر رقيقة
وطابع كريم (لمن يعاملونه عن قرب) ، وجدية والتزام (فى
كلامه ، إذا تحدث) . »

١٠-١٩ قال زيشيا : « الفيلسوف العاقل هو الذى يعمل على التأكد
من ثقة أتباعه به قبل أن يعرض عليهم المطالب والواجبات ،
وإلا تسربت إليهم مشاعر الظلم والغبن ، كما ينبغى على
الحكيم المهذب أن يضمن - بادئ ذى بدء - سعة صدر صاحب
الجلالة ، وحسن بصيرته ، قبل أن يتوجه إليه بالرأى
والنصيحة ، وإلا عدت النوايا الحسنة فى الصدور مكائد شرور
تربص فى طي الكتمان . »

١١-١٩ قال زيشيا : « لا يضير المرء أن يقع فى هتات من التجاور ،
وهامش ضئيل من الخطأ الانسانى المعهود ، مادام حريصاً على
الالتزام بالإطار العام الصحيح للمبادئ الاخلاقية . »

قال زاو : « قد بلغنى أن تلاميذ « ريشيا » يجيدون تنظيف قاعات المطالعة وترتيب الأثاث وتزيين الجدران واستقبال وتوديع كبار الزوار ، لكنها كلها أعمال تافهة يسيرة ، فأين هم من دراسة الآداب والموسيقى والفنون الراقية . وسمعه ريشيا نفسه ، وردّ عليه قائلا : « لقد جانبك الصواب ياسيدى ، فالطريقة التعليمية المثلى يجب أن تراعى مبدأ الترتيب فى أساسيات التعلم : المقدمة العامة التى يجب أن يبدأ بها الدارس ، ثم ما يلى ذلك من مراحل متتالية بالتدرج ، وهو أشبه شئ (بدرجات اختلاف أصناف النباتات) فهناك نظام ثابت لاينبغى المساس به ! ولعلنى أقول بأن الأمر كله يحتاج إلى عبقرى أو حكيم زمان يقدر على وضع نظام تعليمى سليم ومتطور يتدرج فيه الطلاب من المقدمات الأولى إلى مصاف النتائج . »

قال ريشيا : « على العامل الذى يجد وقت فراغ أن يدرس ويتعلم أشياء جديدة ، وعلى الدارس الذى يجد متسعاً من الوقت أن يستغل طاقته فى أداء وظيفة ملائمة . » (١٠١)

قال زاو : « الجانب الأساسى فى إقامة طقوس الحداد على الميت هو التعبير الكامل والصادق عن الأسى والأحزان . »

قال زاو : « أستطيع القول بأن صاحب وزملى « ريجانغ » رجل عظيم نادر المثال ، لكن ، بإنصاف ، لايمكثنى القول بأنه ملاك رحيم ! » .

- ١٦-١٧ قال سنغزى : « لقد أخذ « زيجانغ » من ظاهر العلوم بحظ وافر ، لذلك فقد بدا فى عين الناس مهيباً جليلاً ، لكن كثيرين يعجزون عن تقدير نصيبه من المشاعر والخصال الإنسانية . »
- ١٧-١٨ قال سنغزى : « لقد سمعت أستاذنا ذات مرة يقول : « يظل المرء رقيقاً مالكا زمام مشاعره يضبطها بمقيار ويحررها بحساب معلوم ، فلا تفلت منه أحاسيسه كاملة ، ظاهرة (عارية) فياضة إلا إذا مات أحد والديه . »
- ١٨-١٩ قال سنغزى : « سمعت أستاذنا يقول : « كان « منجوانزى » - أحد أمراء مملكة «لوكو» - شديد البر بأبيه ، وهى خصلة يستطيع الكثيرون منافسته فيها ، لكن الشئ الذى يعجز الآخرون عن أن يجارونه فيه هو إيقاؤه على النظام الذى أرساه والده وعلى الوزراء والرجال والمسؤولين الذين عينهم فى مناصبهم أثناء توليه عرش البلاد . »
- ١٩-١٩ كان « منغشى » قد عين « يانفو » - أحد تلاميذ سنغزى - قاضياً للقسم الجنائى ، فذهب هذا الأخير إلى أستاذه « سنغزى » ليسأله النصيح والارشاد ، فأجابه المعلم قائلاً : « قد تسلط علينا حكام أضلوا الرعية وتقاعسوا عن توجيه الناس لما فيه الخير والحق والعدل ، فكان من جراء ذلك أن مال قلب الشعب إلى الرذيلة ووقع فى حمأة الجريمة والفساد ، فعليك ، لو قصدت إلى إظهار وجه الحق فى الاتهام ، أو إذا أردت النفاذ إلى جوهر حقيقة الحال فى اقتراف الجرائم ، فلا بد أن تتفهم

دوافع المذنب وترق له ، وتتعطف بحاله ، ودع عنك زهو
الفخر والخيلاء (متعللاً بالتوفيق فى إنقاذ الجدية والحزم بتطبيق
الاحكام الواجبة والمستحقة ا) .

١٩-٢٠ قال تسيكون : « تناقلت كتب التاريخ سيرة الملك « جو » من
أسرة « شانغ » الامبراطورية ، وقيل أنه كان طاغية جباراً ، ولعل
الرواية قد بالغت بعض الشيء ، أو لعلها تجنّت على الرجل
وعلى الواقع معاً ، والحق ، أن الحاكم العاقل هو الذى يحرص
على أن يورث التاريخ سجلاً طاهراً نقياً ، وإلا فالسقوط من
حافة التاريخ احتمال دائم ، ومصير بشع ينتظر كل ملك
راحل ، يُلطخ الأسماء الزائلة بالعار ، ويصم السير الماضية بكل
الصفات الرديئة التى عرفها بنو الانسان . » (١٠٢)

١٩-٢١ قال تسيكون : « أخطاء العظيم وهفواته تبدو للناظرين فادحة ،
طاغية مثل خسوف شمسى هائل ، وبالمثل أيضاً تظهر
الإصلاحات ، ويلمسها الجميع ، وعندئذ تتكافأ مساحة
الإحترام والتقدير مع حجم المراجعة والتصحيح . »

١٩-٢٢ ذهب « كونسن جاو » - موظف عظيم بدولة ويقو - إلى
تسيكون وسأله : « من أين لأستاذك كونفوشيوس بكل هذا
العلم الغزير ؟ » فأجابه ، قائلاً : « أما عرفت أن ذخائر التراث
التي خلفها الأباطرة « أون » ، و « أوانغ » من عهد أسرة « جو »
مازالت باقية خالدة على مرّ الزمان يتناقلها الناس جيلاً بعد
جيل ، فمنهم من يدرك مغزى الحقيقة فيها بما أوتى من روية

فكر وذكاء بصيرة ، ومنهم من يقف عند ظاهر المعانى (إيثارا للذة والراحة !) وطلباً للسهولة ، فلئن كان ذلك التراث رائجا فى كل آن ومكان ، فما الذى يجعل الوصول إليه عسيراً على المعلم (يقصد كونفوشيوس) ولماذا ينبغي أن يقتصر طريق التعلم على أستاذ يلقي وإملاء تعليمي موجه !

١٩-٢٣

حدث أن التقى « شوسونو » - موظف كبير بمملكة « لوكو » ، اسمه الأصلى « جوشيو » - بكبار المسئولين فى القصر الامبراطورى ، وقال لهم : « لقد وجدت « تسيكون » أغزر علما وأصدق حكمة من أستاذه كونفوشيوس » ثم إن « تسيفوجينبو » - موظف عظيم بالمملكة - ذهب وأبلغ تسيكون بذلك القول ، فرد عليه هذا الأخير ، قائلاً له : « لو ضربت مثلاً للعلم والحكمة ، بالسور الجدارى المحيط بقصر إمبراطورى مهيب ، لقلت بأن ذخائر حكمتى وعلومى ثمانى جداراً لايزيد ارتفاعه عن مستوى الكتف قليلاً ، لذلك تستطيع عيون المارة وأبناء الطريق أن تلمح ، من بعيد ، بعضاً من أثار القصر الداخلى وتصميم الغرف بمعمارها الهندسى الرائع ، ورخارفها الفنية الجميلة ، ومثل حكمة أستاذنا (كونفوشيوس) كمثال جدار هائل عظيم الارتفاع يحيط بقصر شاهق الذرى ، أعناقه فى السحاب ، فلا يكاد يبين للمارة فى الطرقات شيئاً من الغرف والأسقف والواجهات والردهات الداخلية بمكنون ذخائرها المتنوعة ، فليس لمعرفة ذلك

سبيل إلا عبر المداخل والبوابات المهيبة ، التى لا يتسنى الولوج
منها فى الغالب ، إلا للقليل جداً من الزوار ، فلا تعجب مما
قال « شوسونو » (فاعلم هذا الأمر وتأمله جيداً !) .

٢٤-١٩ قيل إن السيد « شوسونو » افترى وشاية كاذبة ضد
كونفوشيوس ، فلما علم تسيكون بذلك ، قال : « هى فرية
كاذبة وتضليل لاطائل تحته ، فليس كونفوشيوس بالرجل الذى
تتال منه هذه (الأمور) فلو كان واحداً من الرجال العاديين ،
لكان من الجائز أن يتاله الأمر بسوء (فمثل هؤلاء كمثل وهدة
يرتقيها كل عابر طريق !) لكنه قمر وضاء وشمس غامرة ،
ولن يضير الأقمار والشموس ، ولن يفيدها كذلك ، نسك
الزاهد أو لهو العاثر . »

٢٥-١٩ جاء « شانزى تشين » إلى « تسيكون » ، وقال له : « أراك
تتواضع كثيراً مع أستاذك (كونفوشيوس) فى أدب جم
واحترام ظاهر ، أترأه يستأهل كل ذلك (أترأه أقوى منك علماً
وفضلاً !) ، فأجابه : « لأُعرف الرجل إن كان عاقلاً أو
جاهلاً إلا من كلمة تبدر عنه أو لفظة تشى بمكنون صدره ،
فالعاقل المهذب من أمسك لسانه ، أما عن المعلم ، فلا أظن أن
أحد بيننا يستطيع أن يكون ندًا له ، ولا أظن أن من الحكمة أن
يفكر أحد فى أن يبلغ حد منارعتة مكانته السامية الرفيعة ،
فليس لعاقل أن يجرب ارتقاء أعناق السحاب بسلم ، وأحسب
أن لو كانت مقاليد الأمور بيده (شئون الحكم) لحقق أمل

الناس ، وأصلح أحوالهم ، وسلك بهم نحو الخير والسلام ،
فما يدع لهم نفعاً إلا اجتلبه ، حتى يأتوه من كل صوب يأترون
بأمره ويتألفون صفاً ويداً وقلباً واحداً ، ثم إنه الآن ملء
عيوننا يشرف بحياة مجيدة ، وغدا ترهز ذكراه بعدنا على
طول المدى ، فأين أنا منه ، وأنى لى بمثل هذا (الشرف
العالى الجليل) . ٢

« يويا »

وجملته ثلاثة فصول

١-٢٠ قال الشيخ « ياو » للامبراطور « شون » وهو يسلمه مقاليد الحكم فى البلاد : « . . المقدور كائن يا صاحب الجلالة ، وهأنت تخلفنى على العرش بإرادة السماء ، فاحكم بالحق والعدل ، واعلم أن وراءك رعية مغلوبة على أمرها ، فارفع عنها البؤس والشقاء ، وإلا زال عنك الملك والجاه الأفخم . » ثم إن الامبراطور شون ، لما انقضت أيام حكمه أوصى خلفه الملك « يو » بالوصية نفسها . وكان الملك « دان » - أحد ولادة أسرة « شانغ » الملكية - يتقرب إلى السماء بصلواته ودعائه الماثور الذى يقول فيه : « لك (أيتها السماء) أركى صلاة وأعظم قربان ، وللربّ ذى الملكوت أرفع عهدى وميثاقى ، ربّ قد نذرت ألا أسامح ظالما (من العامة !) وألا أدارى سواة جبار (من الوزراء والمستولين) ربّ أدعوك ألا تؤاخذ الناس بذنبى ، ولا تضرمهم بما فرط منى سهواً وغفلة ، ربّ فإن أخطأ أحد من شعبى ، فعلى وزره ، وفى عنقى ذنبه ، فأنا المذنب والملوم . »

وفى عهد أسرة « تشو » الامبراطورية ، كان الزمان رخاء وحظاً وفسيراً لأهل التقوى والفضل والعلم من الناس ، فنالوا ما لم ينله قبلهم أحد من الاقطاعات والألقاب والمناصب الرسمية الكبرى ، وكان الملك « أوانغ » يردد على سامعيه القول : « لقد حرمت أهلى وعشيرتى الأقربين وفضلت عليهم أهل التقوى والفضل والأخلاق ، فأبما واحد من الناس اقترف إثماً أو ارتكب فاحشة أو جريمة فأنا إذن المسئول . »

ولئن كان توحيد المقاييس والموازن ضمانة لمعيار العدل ، فإن تعميم النظم القانونية (المساواة فى الحقوق والواجبات) وإعادة الحقوق إلى أصحابها ، ورد الاعتبار إلى المبعدين والناهبين (كل ذلك) لجدير بأن يقود الناس إلى الاقتناع والرضا والتأييد الطوعى بإرادة حرة ، وينبغى أن يراعى مسئولو السلطة التنفيذية أربع نقاط أساسية ويضعوها نصب أعينهم ، وهى : الشعب (عامة الناس) ، والغذاء (توفير الغذاء) و الدين (تقديم القرايين) ، والتقاليد (إقامة طقوس الدفن) .

إن المعاملة الكريمة هى المصدر الأساسى للقبول والدعم الجماهيرى ، والجدد مع الدقة والمهارة هما أساس النجاح ، كما أن العدل والعدالة أساس رضا الشعب وصادق إحساسه بيهجة (الكريمة) . « (١٠٣)

جاء « زيجانغ » الى كونفوشيوس ، وسأله ، قال : « ما هي الوسيلة المثالية الناجحة للقيام على شئون الحكم ؟ » فأجابه : « بأن تسلك الخمس النافعات وتنبذ أربعاً فاسدات . » فسأله السائل عن الخمس الطيبات ، ما هي ؟ فأجابه المعلم : « اعلم أن العاقل من نفع الناس ومنع عن نفسه ، وإذا ساقهم إلى الكد احترز أن يحملهم ما لا يطيقون وإذا عنّ له مغنم أخذه بغير ظلم أو بطش ، فإذا خرج للناس أبدى ثقة في غير تكبر أو رياء وتعرفه الناس بسيماء الاجلال والمهابة دون غلظة ، فهو يشمخ بأنف العزة كريماً أياً ولا يحدق شزراً بعين القسوة متجبراً شقياً ، وسأله زيجانغ : « كيف للمرء أن ينفع الناس ويمنع عن نفسه ؟ » فأجابه كونفوشيوس : « إذا وجهت الناس نحو أمور نافعة بطبيعتها وطلبت إليهم أن يبذلوا جهداً مخلصاً واعدوا بنتيجة (نافعة) محققة ، أفلا يعود ذلك بتمام النفع خالصاً من أية غاية ذاتية ! ثم إنك إذا فرضت عليهم أداء الأعمال في أوقاتها (مواسمها) الطبيعية بغير ظلم أو إكراه فأنّى لهم بالشكوى والتذمر ؟ ! ولئن ألزمت نفسك بكريم الأخلاق واجتهدت بشرف المسعى ونبل الوسيلة ، فبلغت غاية أملك فمن ذا يجسر على اتهامك بالأنانية ؟ »

وإني ناصح لك ، فاعلم بأن المساواة بين الناس من خير الفطن ، فلا تفرّق في المعاملة بين قوى وضعيف أو بين عزيز ووضيع ، فتلك هي سبيلك إلى العزة والمنعة بغير رياء ثم إن حسن المظهر والتألق في الملبس يضيفان على صاحب النفوذ لمسة

من الإجلال ، أليس ذلك داعياً الى إشاعة روح التقدير فى نفوس العامة بغير داع للجوء الى الغلظة والقسوة ؟ « وراح زيجانغ يسأله مرة أخرى : « فما هى الأربع الفاسدات إذن ؟ » فرد عليه المعلم ، قائلاً : « إن الحكم (على الناس) بالإعدام ، بغير سابق جهد فى توعيتهم وتنوير وجدانهم ، يعد خسة ونذالة ، والمطالبة بعاجل الإنتاج بغير سابق نصيح وإنذار ، لهُو الطغيان بعينه ، ثم إن التساهل فى تحديد المهام الى حد التراخى ، إذا أعقبه تعسف فى تحديد زمن وكم الانجاز يعد غدراً قبيحاً ، وأخيراً ، فإغداق الوعود الكريمة مع التقاعس عن الوفاء بها ، هو شر البخل والتقتير ، فتأمل ذلك ! »

٢٠- ٣

قال كونفرشيوس : « لا يصير المرء رجلاً فاضلاً إلا إذا وعى مغزى القدر ، ولا يصبح مواطناً صالحاً فى مجتمع إلا إذا فهم أصول الأعراف والتقاليد ، ولن يقدر الانسان ، أى أنسان أن يفهم الناس ، إلا إذا عرف كيف يميز الحق من الباطل ، الذى يقولونه بأفواههم . »

(تم الكتاب)

(*) المصدر الأصيل المترجم عنه الكتاب :

سيشوتشواتى « الكتب الأربعة »

تحقيق ومراجعة : ليوجونتيان ، ولين سونغ

درار نشر قويتشورنمين . مطبعة جيانغشى - الصين الشعبية

بتاريخ ١٩٨٨ (بالصينية)

ISBN 7-221-00196-0/G.53

(*) المترجم : محسن فرجاني ، بكلية اللسان

(*) الترجمة عن الصينية مباشرة ، وهى للتوثيق أول ترجمة

كاملة يقوم بها عربى عن النص الأصيل مباشرة ، إذ سبق

ترجمتها إلى العربية بواسطة بعض الدارسين الصينيين ، منهم

الشيخ محمد مكي المبعوث الصينى إلى الأزهر الشريف فى

عشرينيات هذا القرن .

الهوامش

١ - يحتوى كتاب « المحاورات » على عشرين باباً ، ترتّب أوائل عناوينها من النطق الصوتى المجرد لاول كلمتين بالمتن الاصلى ، أى على الطريقة التوارتية القديمة فى تسمية أوائل الاسفار بفتح آياتها .

٢ - منغ زى : أحد تلاميذ الفيلسوف (٥٠٥ ق.م - ٤٣٦ ق.م) اسمه الاصلى سنشن ، ولقبه « زاو » ، اشتهر بقضائله وحسن أخلاقه ، وينسب إليه تأليف كتاب « العلم الكبير » أحد الكتب الأربعة التراثية فى تاريخ الفكر الصينى القديم .

٣ - وشيا : أحد التلاميذ (٥٠٧ ق.م - ؟) اسمه الاصلى بوشانغ . وقد عمل لفترة ما حاكماً عاما لاقليم « جوفو » بدولة « جين » القديمة . اشتهر ببراعته فى الدراسات الأدبية ، وأشيع أنه أول من دون مخطوطة « كتاب الاغانى » و « حويلات الريح والحريف » وكلاهما من أهم كتب التراث الصينى .

٤ - وشين : اسمه الاصلى شن كانغ ، لقبه « ريكانغ » ، لايكاد يُعلم عنه شئ أكثر من ذلك فى ملفات التراث القديم .

٥ - تسيكون : أحد التلاميذ (٥٢٠ ق.م - ؟) اسمه الاصلى « دوانموسى » ، اشتهر بفصاحته وبراعة بيانه ، حتى قيل « إن السماء منحت له لساناً ذهبياً يقطر لؤلؤاً وياقوتاً » .

٦ - يوزى : أحد التلاميذ (٥١٨ ق.م - ؟) اسمه الاصلى يوروا .

٧ - ربما شاع فى زمن كونفوشيوس اتجاه نقدى يرى الشعر بوصفه إبداعاً سلبياً منافياً للذوق والأخلاق ، ثم جاء كونفوشيوس فدعا الشعراء إلى الالتزام بالصدق والجمال وسلامة التعبير والاداء مقابل النظم المبثّل الرخيص والمتنحي عن القيمة ، من هنا كان التأكيد على « الطهر » فى كتاب الشعر القديم ، وكونفوشيوس بجانب هذا كله يرى قيمة الشعر بوصفه أساساً للتربية الوجدانية والأخلاقية ، وفى تحليل تراثى للعبارة هنا ، يخلص تأكيد الفيلسوف على صياغة فنية مؤجزة ترتكز على : المحتوى - الواقعية - الموقف الإبداعى . ويقال بأن تعليق كونفوشيوس هذا كان أول ما قيل فى تاريخ النقد الأدبى الصينى .

- ٨ - مينيتز : من أشهر رجال البلاط فى دولة « لوغو » ، كان يتردد على كونفوشيوس ، ويستمع إلى محاضراته .
- ٩ - زاو : (٥٠٦ ق.م - ٩) أحد تلاميذ كونفوشيوس ، اسمه الأصلى يانغان ، اشتهر بعقريته الأدبية وعمل لفترة حاكما عاما لاقليم « أوتشن » فى دولة « أوغو » القديمة .
- ١٠ - « يو » (٥٤٢ ق.م - ٤٨٠ ق.م) أحد تلاميذ الفيلسوف ، اسمه الأصلى « زيلو » ، اشتهر ببسائه وفروسيته ، أصيب بطعنه نافذة ، مات على إثرها ، وذلك أثناء أحد الانقلابات الدموية بين صفوف النبلاء .
- ١١ - « ريجانغ » . . أحد التلاميذ (٥٣٠ ق.م - ٩) اسمه الأصلى توانسون شى .
- ١٢ - « جيكانزى » . . من رجال البلاط الحاكم ، فى عهد مملكة « لوكو » ، اسمه الأصلى ، جيسون ناى .
- ١٣ - هذه العبارة ، فى حقيقتها ، تكرار للعبارة رقم « إحدى عشر » الواردة فى الباب الأول « شيوآر » .
- ١٤ - كونغ ايشانغ ، أحد تلاميذ كونفوشيوس ، لقبه زيشانغ ، وهو من مواطنى دولة « لوكو » القديمة ، كان يمت بصلة مصاهرة للفيلسوف ، فهو زوج ابنته ، وقد زعمت كتب التاريخ أنه كان غزير العلوم ، حتى أنه أجاد لغة الطير .
- ١٥ - ريجيان (٥٢١ ق.م - ٩) اسمه الأصلى بوتشى . من مواطنى دولة « لوكو » القديمة .
- ١٦ - شيدياو كاي (٥٤٠ ق.م - ٩) اسمه الأصلى تسيكاي ، من مواطنى « لوكو » ، اشتهر بأدبه الجلم وأخلاقه الفاضلة .
- ١٧ - منغ أوو : أحد أمراء مملكة « لوكو » ، اسمه الأصلى جونسوين تشى .
- ١٨ - وانشيو (٥٢٢ ق.م - ٤٨٩ ق.م) اسمه الأصلى « زاو » ، عمل لفترة وزيرا فى مملكة « لوكو » القديمة .
- ١٩ - كونفشى تشى : اسمه الأصلى « زيهوا » من مواطنى مملكة « لوكو » القديمة . اشتهر بإجادته شتون المراسيم والطقوس .

٢٠ - بان هوى : (٥٢١ ق.م - ٤٩٠ ق.م) اسمه الأصلي « زيهوى » ، من مواطنى « لوكو » ، اشتهر بغزارة علمه وحسن أخلاقه ، فلما مات ، فجع كونفرشيوس بوفاته ، وحزن عليه حزناً شديداً .

٢١ - شن جان : اسمه الأصلي « زيجو » ، ولم يرد عنه الشئ الكثير فى كتب التراث القديم .

٢٢ - ريشان : (٩ - ٥٢٢ ق.م) هذا هو اسمه الأصلي ، ويدعى أيضا كونسون شيان ، تولى أحد المناصب الرسمية فى بلاط مملكة « تشيغو » .

٢٣ - يان بين جونف : (٩ - ٥٠٠ ق.م) اسمه الأصلي « يانينغ » ، تولى منصبا رفيعا فى مملكة « تشيغو » .

٢٤ - سان أولمجون (٩ - ٦١٧ ق.م) اسمه الأصلي أولنجون ، تولى منصبا وزاريا فى حكومة مملكة « لوكو » .

٢٥ - نينغ أوتسى : اسمه الأصلي « نينغ يو » ، مسئول عظيم بدولة « ويغو » .

٢٦ - بوىسى ، وشوتسى : كان شقيقين ، أبوهما هو الأمير كوجو ، أدرك أواخر سنوات حكم أسرة « شانغ » ، وقد نصب الولد الأكبر « شوتسى » خلفا له ، فلما قضى أجله ، وافق شوتسى أن يتنازل لأخيه الأصغر عن العرش ، لكن هذا الأخير رفض بشدة ، ثم إنهما ، ذهبا فيما بعد ليحتما بقصر « آل جو » وقد اتخذوا موقفا معارضا لإراء الحملات التأديبية التى كان يشنها صاحب القصر .. الملك « جو » ضد أسرة « شانغ » ، فلما قضى الملك على دابر تلك الأسرة ، هرب الشقيقان إلى كهف بجبل « شويان » ، حيث امتنعا عن الأكل احتجاجا .. وفضلا الموت جوعا على أن يقربا الطعام الذى كان يأتيهما من القصر الملكى .

٢٧ - ويشنكاو : رجل اشتهر بالكرم ، دون وجه حق يوجب ذلك .

٢٨ - ران يونف : (٥٢٢ ق.م - ٩) اسمه الأصلي « جونكون » ، من مواطنى « لوكو » ، من أسرة اشتهرت بالتواضع الجمل .

٢٩ - كون شيهوا : اسمه الأصلي « زيهوا » من مواطنى « لوكو » ، اشتهر باجادته لقواعد الأخلاق ، ومعرفته التامة بشئون المراسم وأصول المعاملات الاجتماعية .

٣٠ - يوانس : (٥١٥ ق.م - ٩) يدعى أيضا يوان شيان ، اعتزل المجتمع بعد وفاة كونفرشيوس ، وظل بقية حياته معتكفا وحده فى بيته .

- ٣١ - متيزيشيان : (٥٣٦ ق.م - ٤٨٧ ق.م) اسمه الأصلي مينسون ، لقبه ريشيان ، أحد تلاميذ كونفوشيوس .
- ٣٢ - بونيو : (٥٤٤ ق.م - ؟) اسمه الأصلي رانكنغ ، اشتهر بين تلاميذ كونفوشيوس بالأخلاق الكريمة والأدب الجم .
- ٣٣ - دانتاي مينينغ : (٥١٢ ق.م - ؟) من مواطني دولة « لوكو » - مقاطعة شانتونغ ، بحسب التقسيم الإداري لجمهورية الصين الشعبية حالياً - ١٩٩٨ م - وكان برغم قبح منظره ، طيب الخلق ، مهذب السلوك .
- ٣٤ - ورد في أحد فصول كتاب « سجلات تاريخية » رواية أخرى لتلك الحادثة ، نصها : كان رجل يقيم بولاية أوتشنغ ، وكان دميم الوجه ، بشع المنظر ، ثم إنه قصد إلى كونفوشيوس وصار واحداً من تلاميذه ، وكان المعلم يزدرية ، ولا يحسن النية به ، فلما أتم رمنا على بد أستاذه ، تفقه في العلم ، وعاده إلى بلده ، واجتمعت له صفات حسنة للغاية ، فصار يترقى في التحصيل والأخلاق ، حتى قصدت إليه مواكب الطلاب ، تسأله وتستفتيه ، فذاعت شهرته وشهدت الناس له بمكارم الأخلاق ، وبلغ كونفوشيوس شيئا من هذه الأخبار ، فقال : « إنها قد غلبت على جهالتى ، فمن الخطأ أن يؤاخذ الناس بسيماهم . » وحسب سياق النص الأصلي المروى فى متن « المحاورات » وباستقراء ما توحى به عبارة « زاو » هنا ، فالمرجح أن زمن الخطاب كان سابقا على مرحلة اتمام « دانتاي » لدروسه ، والعودة إلى موطنه .
- ٣٥ - جاو : أمير فى مملكة « سونغ » ، اشتهر بمكارم الأخلاق .
- ٣٦ - جوتو : كان مسئولاً عن إقامة طقوس العبادة فى قاعة المعبد الامبراطورى إيان حكم دولة (ويغو) .
- ٣٧ - فكرة « السوقية » هنا تحتل مداخل فكرية وسياقات تأويل متعددة ، خاصة عندما يتعلق الطرح هنا بظلال تكتنف فى قليل أو كثير مجهود الابداع الأدبى / أو النقدى ، ولا بد أن القارئ - ببداهة - سيسعيد مقولات كونفوشيوس إلى منطق زمانها وارتباطاتها بظروف التراتب الطبقي الاجتماعي السائد فى زمانها . ولا يخفى على القارئ الكريم أن هذه النصوص وغيرها من عيون التراث الصينى القديم ، تعرضت - وربما مازال - لتقييم نقدى - تجاوز حد التطرف أحيانا - على مدى سنوات شهدت ايدولوجيات استهدفت تأسيسات اجتماعية شاملة وجديدة ، بطرح بديل فكرى أكثر انطلاقا وتطوراً .

٣٨ - القاعدة الأساسية في الفكر التربوي الكونفوشي ، هي أن يكون التعليم بحسب الاستعداد الذهني الطبيعي للدارسين ، وكان المعيار الأساسي في التقسيم يعتمد على ثلاث درجات أصلية ، هي : النابغون ، فالمتوسطون ، فالمتخلفون ، وفي أحد التأويلات ، ورد معيار آخر يعتمد الاستعداد الفطري لدى الدارسين ، ينقسم إلى تسع درجات ، كالتالي : -

« أول الأول - متوسط الأول - آخر الأول .
 أول الأوسط - متوسط الأوسط - آخر الأوسط .
 أخير متقدم - متوسط الأخير - آخر الأخير » .
 وأول الأول هو العبقري الأشد ذكاءاً بالفطرة ، وآخر الأخير هو التقيض لذلك ، وعلى أساس هذا التقسيم يصير من الممكن تدريس العلوم المركبة شديدة التعقيد فقط للأنواع الأربعة قبل « متوسط الأوسط » .

٣٩ - فائش : (٥١٥ ق.م - ٤) أحد تلاميذ كونفوشيوس ، اسمه الأصلي ريشي ، من مواطني دولة « تشينغ » .

٤٠ - فانزى : هي السيدة « لى » ، إحدى أميرات أسرة سونغ الملكية ، تزوجت من الدوق « لينغ » أمير مقاطعة « واى » ، وقد اشتهرت السيدة نانزى بشبقها الجنسي الزائد ، وعلاقاتها المشينة وفضائحها مع رجال القصر .

٤١ - « ياو » ، « شون » ، « يوى » : ثلاثة أباطرة فى الصين القديمة ، اشتهروا بالحكمة ، وتروى سجلات التاريخ أن الامبراطور « ياو » قضى ثلاث سنوات وهو يراقب الأمير « شون » ويفحص أحواله ، قبل أن يختاره خلفاً له ، وفعل « شون » الشيء نفسه مع خلفه « يوى » ، وظلت تلك القاعدة تتوارث باعتبارها تقليداً أساسياً فى ترشيح وتنصيب الأباطرة لخلفائهم على العرش ، وهو التقليد الذى ذاع فيما بعد ، تحت اسم : « مراسم تسليم التاج » .

٤٢ - لاوتسى : مفكر صينى ، عاش فى نهاية فترة « الربيع والخريف » (٧٧٠ ق.م - ٤٧٦ ق.م) وهو « مؤسس المدرسة الطاوية » .

٤٣ - « بنغ رو » : شخصية خرافية .

٤٤ - جوكونغ : ابن الملك « أون » حاكم دولة « تشوغو » ، ويعد المؤسس الأول لمملكة « لوكو » ، ويقال بأنه هو الذى وضع نظام الطقوس والشعائر لدولة « تشو » الغربية ، كان كونفوشيوس يعده من أفضل حكماء الزمان .

٤٥ - فى المتن الأصلى ، فإن كلمة « سوشيو » تقبل تأويلات كثيرة فى الصينية الكلاسيكية ، منها : « ضفيرة شعر مزينة بقطعة من الحرير » أو القماش الملون ، للدلالة على بلوغ سن النضج . وكان من المعتاد لمن بلغ الخامسة عشرة من الذكور أن يعقد هذه الضفيرة فوق رأسه . هذا ، وهناك دلالة أخرى ، مفادها : « قطعة كبيرة من اللحم المجفف » . . . تقدم للمعلم نظير حصص درس خاص .

٤٦ - هوان كوى : ضابط عظيم بدولة « سون » كان يدبر لاغتيال كونفوشيوس ، أثناء إقامة طقوس العبادات ، وانكشفت المكيدة ، وراح التلاميذ يستحثون كونفوشيوس على مغادرة المكان خشية تكرار المحاولة ، فبدأ من روعهم وقال هذه العبارة .

٤٧ - كان مفروضاً - حسب التقاليد - أن تلقب السيدة « أو منغسى » ، وهى السيدة الأولى فى مملكة « لوكو » حيثئذ ، بلقب « أوجى » ، ومن ثم ، فقد كان احتفاظها بهذه التسمية (أو منغسى) محاولة لحجب حقيقة اشتراكها فى اسم العائلة مع زوجها الأمير ، والمقرر آنئذ هو أن يبطل مثل هذا الزواج ، وإلا عد انتهاكاً فاحشاً لأعراف مستقرة وضوابط معلومة بالاتفاق الجمعى ، فمن هنا كانت ملحوظة شن سبائى ، التى آمن عليها كونفوشيوس متحملاً للوم - بلباقة - ومفضلاً إياه على الخوض فى أمور شخصية تمس هبة الأسرة الحاكمة .

٤٨ - تايبو : الابن الأكبر للأمير « دانفو » وهو الجلد الأكبر للأسرة الإمبراطورية ، المعروفة باسم : أسرة « جوكو » وكان للأمير ثلاثة أولاد : « تايبو » ، « جوينونغ » ، « جيلى » ، ثم إنه أوصى بالعرش لهذا الأخير ، متخطياً بذلك أخيه الأكبر « تايبو » ، ورغم ذلك فقد وقف الأخ الأكبر إلى جوار الملك الجديد ، أخيه الأصغر ، احتراماً لوصية الوالد ، وولاء لقواعد السلوك «شائع القربى ، مظهراً بالغ الود والاحترام ، فمن ثم كان تعليق كونفوشيوس فى هذا الفصل .

٤٩ - تسنغ رى : (٥٠٥ ق.م - ٤٣٦ ق.م) من مواطنى أو تشنغ - مقاطعة شاندونج حالياً - اشتهر بولائه واحترامه للتقاليد الأسرية ، ويعزى إليه تأليف كتاب « العلم الكبير » .

٥٠ - السيد « يو » : المؤسس الأول لأسرة « شيا » الحاكمة ، اشتهر باصلاحاته الكبرى فى مجال الرى ، ومشروعات مواجهة الفيضان .

٥١ - تظهر العنقاء ، بحسب ما ترويهِ الأساطير الصينية ، فى أزمنة تسودها ملامح النهضة والتطور الحافل ، مثلما يظهر أيضا حصان مجنح على هيئة تنين عظيم يحمل على ظهره لوحة النبوءات الكبرى .

٥٢ - يان يوان : هو نفسه « يان هوى » ... راجع هامش رقم (٢٠) .

٥٣ - كان المتبع حينئذ أن يقتصر اتخاذ الخدم والحشم على الوزراء وكبار رجال الحكم ، وفى مناسبات كبرى ، كجنازة أو غير ذلك كان ينصرف الاهتمام الى إبراز الواجهة الاجتماعية للمتوفى ، ويرغم شغل كونفوشيوس منصب « الوزير » فى فترة ما ، إلا أنه اعتزل المنصب ورفض فكرة مرافقة الخدم والأتباع له ، وهنا يعود ليرفض القيود الشكلية مرة أخرى .

٥٤ - اللجاء هنا يشير إلى « المثقف الذكى العاقل » الذى يساوى قيمة « جوهرة كريمة » ، والمفاضلة تقوم بين أن يعتزل بكرامة أو ينخرط فى العمل العام ، ويصبح طرفا فى معادلة المثقف / السلطة ... تلك القضية القائمة أولا ... وكونفوشيوس يفضل الخيار الثانى ، على أن عنصر الحشم هنا ، أو شرط المفاضلة ، بوضوح هو معيار التقدير العادل ، حيث تنتهى المبادلة بجوهرة ثمينة فى يد خبير عارف وبشمن مكافئ ... وتستقيم أطراف المعادلة كلها : بالرجل المناسب فى مكانه المناسب وبالتقدير اللائم تماما .

٥٥ - تنقسم القصائد فى كتاب « الشعر القديم » إلى هذين القسمين وكتاب الشعر هو أقدم مجموعة من القصائد الصينية ، وجمعها كونفوشيوس فحققها وصنفها ، وأعدّها بالشكل الذى صارت تطبع به وتوزع من بعده .

٥٦ - جرت العادة فى الصين قديما ، أن يصحب الوزراء ملوكهم أثناء حفلات تقديم القرابين « لروح الموتى » ، فكان ينال الواحد منهم قطعة من اللحم المقدس ، من باب المجاملة ، ولما كانت الأعياد تستمر مدة يومين كاملين ، فقد اضطر بعضهم إلى تناول حصته فى اليوم الثالث . وكان رأى المعلم أن اللحم يثلف ولا يصلح طعاما آدميا فوق ثلاث ليال .

٥٧ - هذا الفصل تكرر لما جاء فى متن الفصل الخامس عشر من الباب الثالث .

٥٨ - تتفق بعض التحليلات التراثية الصينية على صعوبة تقديم اجتهاد تأولى واضح لهذا الفصل ، لذلك فقد بقى ، بألفاظه الحالية ، متعصيا على الفهم والشرح والتفسير لدى مختلف المدارس الكونفوشية ، والسبب فى ذلك يرجع - تقريبا - إلى الأخطاء اللغوية الكامنة فى بنية المتن الأصيل ، أو لتسرب بعض الألفاظ الى هذا المتن ، سواء : بالنقد - أو الحذف - أو الإضافة ، أثناء عملية الاملاء

٥٩ - « تشين » ، « ساي » مدينتان ، كان كونفوشيوس أثناء تجواله بهما ، فقد الأثر وضل الطريق ، وكان تلامذته معه ، ثم إن طعامهم نفذ ، وقاسوا أهوالا ، فلما اعتدوا إلى مملكة « لوكو » ذهب كل إلى وجهته ، وشغلتهم الحياة ، فمن ثم كان التلميح مشحونا بـ (نوستالجا) الحنين والتذكار .

٦٠ - القصيدة التي كان يرددتها « نان رونغ » كثيرا هي قصيدة « باكوى » أو « الجواهر الكريم » وقد وردت في كتاب القصائد ، ومن أشهر أبياتها (التي تغنى بها نان رونغ) :

« لاعليك من حبة رمل

علقت بوجه ياقوتة زهراء

تلك . . أمور بسيطة

تلك كذبة بيضاء

قلها . . ولكن . .

حذار من كلمة قاسية

مدنية . . . قاتلة . .

فليس أقتل من حروف الكلمات . .

٦١ - توانسو شي (٥٣٠ ق.م - ٤) اسمه الأصلي « زيشانغ » ، تلميذ

كونفوشيوس ، من دولة « تشنكو » .

٦٢ - پوشانغ (٥٠٧ ق.م - ٩) اسمه الأصلي زيشيا ، من مواطني « جينكو » ،

عمل محافظا لمقاطعة « جوفو » ، ويعتقد بأنه نقل وحقق الكثير من روائع التراث

الصيني القديم عن كونفوشيوس مباشرة ، من هذه الروائع : « كتاب الشعر القديم » ،

و « حوليات الربيع والخريف » .

٦٣ - كان « رانشيو » وكيلا لأعمال « جيسون » ، وقد أراد هذا الأخير أن يزيد

مقدار الضريبة المفروضة على الاقطاعيات ، وأرسل « رانشيو » يسأل كونفوشيوس «

النصيحة ، فأجاب ، ونصحه صراحة بزن يعدل عن الفكرة ، إلا أن رانشيو اتبع أهواء

جيسون ، ونفذ قرارات فرض الضريبة ، فساءت أحوال الناس نتيجة لتفاقم

الاستغلال ، فمن هنا ، نبذ كونفوشيوس ، وطالب تلاميذه بأن يطاردوه ليكشفوا

أمره .

٦٤ - كوتشاي : أحد التلاميذ ، كان قصيراً ، ربة ، وبرغم غبائه الشديد ، فقد اشتهر باخلاصه ووفائه لأسرته .

٦٥ - تسهاو : هذا هو اسمه الأصلي ، وقد عمل حاكماً لأحد الأقاليم التابعة لدولة « تشوكو » في الصين القديمة . أحياناً يلقب بـ « شن جولين » .

٦٦ - سيمانيو : من دولة « شونغ » ، كان خطيباً مقوهاً ، صاحب بلاغة وبيان وفصاحة . .

٦٧ - تعليق كونفوشيوس هنا يتعلق على نحو خاص بسلوك « سيمانيو » المشين في أحاديثه ، باندفاعه الزائد في القول دون التبصّر بالعواقب ، فلما ذهب ثلاثة من التلاميذ وسألو كونفوشيوس عن التسامح ، قام « سيمانيو » وسأله مثلهم ، وبالطبع فقد أعطى الفيلسوف لكل واحد إجابة تتجادل بطرافة وملائمة مع طباع السائل .

٦٨ - يورو : هو نفسه . . « يوزي » - أحد التلاميذ - . . راجع رقم (٦) من الهامش .

٦٩ - جاء في نهاية المتن الأصلي لهذا الفصل ، اقتباس شعري من « كتاب القصائد » عبارة عن أبيات شعرية قليلة ، تقص حكاية فتاة تزوجت وأقامت بمنطقة نائية مع زوج يحب التغير ، لمجرد الولع بالمظاهر وحب الاستعراض ، مما أوعز صدر الزوجة ضده ، الأبيات تقول :

كل ألوان العليف بقلبك . .

قلب مطاطي ،

لا يثبت ، لا يفزع

لا يعرف إلا البغض لماضي السنوات

يئد أحلى الذكريات

ويلهث ضراعة لليال وهمية

شعائر طقوس حجرية . . . (الخ . . . الخ) .

وقد ظلت هذه الأبيات لغزاً محيراً أمام المفسرين ، وتميل معظم آراء النقد الكلاسيكي إلى اعتبارها نقلاً مشوهاً ، أو خطأ في ترتيب فصول المتن - القديم ، إذا لالتحم عضوياً بنص السرد السابق عليها . (المترجم) .

٧٠ - هناك جملة أخرى ملحقة فى نهاية النص الاصلى ، ترجمتها : « لقد عرفت « ريلو » زما ، فهو الرجل الذى لا يحنث أبدا بوعوده . » وكما هو واضح ، فليست هناك رابطة منطقية بينها وبين جذر المعنى فى السرد الاصلى للنص ، لذلك ، يعدها بعض النقاد حشوًا ارتجاليًا ناتجًا عن خطأ فى التبويب القديم

(المترجم) .

٧١ - سنشن : هو نفسه « سنغ زى » ، راجع الهامش رقم (٢) .

٧٢ - كانت دولة « ويكو » تمر بأزمة صراع حاد على السلطة بين أفراد العائلة الملكية فى زمانها ، وفى أجواء تغلى بالأزمات ، سقطت معايير وتقاليدها ومواضع اجتماعية مرتبطة بحدود الدور الاجتماعى والطبقي لكل من : الوالد - الابن - الامبراطور - الوزير ، لذلك رأى كونفوشيوس ضرورة الرجوع الى المعيار الأهم وهو تصحيح نظام « الترابت الاسمى » الذى يمكن أن يحفظ الكيان كله من الفوضى والاضطراب .

٧٣ - كانت دولة « لوكو » فى الأصل إقطاعية تتبع « جيدان » أمير مملكة « جو » ، بينما كانت دولة « ويكو » تخص الأمير « كانشو » شقيق « جيدان » ، وكانت العلاقات بين الدولتين طيبة للغاية ، تماما كنظم حكمهما التماثل ، فمن ثم كانت مقولة كونفوشيوس تتضمن تورية خفية

(المترجم)

٧٤ - كان الأمير « جينغ » يشغل منصبا بارزا فى دولة « ويكو » وكانت مظاهر الثراء فى عهد الممالك القديمة تقليدا شائعا بين أمراء الاقطاع ؛ فمن ثم كانت ملحوظة كونفوشيوس حول بساطة الأمير وسلوكه المقتصد المتقشف ، .. مفارقة استلزمت الانتباه والتقدير .

٧٥ - لاحظ أن جذر فلسفة الأخلاق عند كونفوشيوس يتمثل فى مبدأى : « عطف الآباء » « والبر بالوالدين » .

٧٦ - كتاب التغييرات : أحد أهم كتب التراث الصينى القديم ، يجمع بين علوم : الفلك ، والسحر والتنجيم .

٧٧ - يوانشيان : (٥١٥ ق.م - ٩) أحد تلاميذ كونفوشيوس ، وقد اعتزل المجتمع بعد وفاة أستاذه ، ولزم بيته فيما بقى من عمره .

٧٨ - الملك « يوانغ » : تروى السير أنه كان حاكم إقليم « يوشونغ » فى عهد أسرة « شيا » الحاكمة ، وكان بارعاً فى الرماية ، وقد قيل أنه بعد استيلائه على الحكم بالقوة من يد الملك « تايجانغ » ، جرى اغتياله هو الآخر - بالغدر - على يد الوزير « هانجو » .

٧٩ - الحاكم « ياو » : تروى السير الشعبية أنه ابن « هانجو » - المتقدم ذكره - وكان مقدما جريئاً بارعاً فى فنون القتال البحرى ، وقد قتل على يد الامبراطور « شاوكان » .

٨٠ - الامبراطور « يو » : كان - حسب النصوص التراثية - امبراطورا حكيما فى رمانه ، حقق المجازات ضخمة فى إقامة الخزانات والسدود المائية ، وفى اصلاح الزراعى بصورة عامة .

٨١ - السلطان « چى » : المؤسس الاول (المزعوم) لأسرة « تشو » الحاكمة ، وهو الذى علم الصينيين كيفية زراعة الحبوب ، حتى اتخذه القدماء إلها للمزارع .
٨٢ - كان « رانوشون » مسئولاً عظيماً بمملكة « لوكو » ، كان قد توقع ، بتصوراته الدقيقة النافذة ، سقوط امير اقطاعية « شوانغ » ، فقد استقالته ، واقترح سحب اختصاصات الاقطاعية منه ، فما انقضت مدة من الزمن ، حتى سقط الامير مضرجاً فى دمائه إثر عملية اغتيال ، فاشتهر برؤيته الثاقبة :

٨٣ - كان الامير « أونكون » واحداً من أشهر القادة فى الفترة التاريخية المعروفة بـ « حقبة الربيع والخريف » فى التاريخ الصينى القديم ، وقد أجبر كل الأمراء على تقديس ملك دولة (جوكو) ، لذلك اعتبره كونفوشيوس منافقاً ، أما الامير « هوانكون » فهو أيضاً من أبرز رجال الفترة التاريخية نفسها ، وقد قام بحملات تأديبية فى المناطق النائية ، وضمها تحت سيادة ملك دولة « جوكو » فى شجاعة وتفان ، لذلك تحدث عنه المعلم بإعجاب .

٨٤ - « ويشن مو » : شخص غير معروف ، يرجح - حسب السياق - أنه رجل كبير السن .

٨٥ - الرجال السبعة ، هم : بوإى - شوتشن - آيجون - آيى - جوجان - ليوشياوى - شاوليان .

٨٦ - يوان وان : واحد من المقرين إلى كونفوشيوس ، وكان مشايخا للفلسفة « اللاوية » ، ومن ثم فقد كان أكثر تحمرا وانبساطا في سلوكه !
٨٧ - راتوشون : (٩ - ٦١٧ ق.م) وزير شئون الدولة في « لوكو » .

٨٨ - تتفق معظم اتجاهات التفسير التراثي الصيني على صعوبة إيجاد الترخيب الترجمي المناسب للدلالة هذا الفصل الذي يحمل في تركيبه الظاهر (جزئيا) قدرا من الخلل ، يفصل المقدمة عن متنها ، فيحرمها الرابط السببي المناسب ، وبعد ، فهذه محاولة متواضعة للتفسير في طيات الترجمة العربية التي بين يديك

(المترجم)

٨٩ - توانيو : دولة تابعة لمملكة « لوكو » الخاضعة لحكم « آل جيسون » ، لكنها لم تكن على وفاق مع المملكة الأم ، فمن ثم خشي الأمير « جيسون » أن تستطيع هذه الدولة أن تتآمر على الأسرة الحاكمة - خصوصا عندما أوت أحد ألد خصومها . - فانهقدت فوق سمائها سحب الحرب .

٩٠ - الأجيال الخمسة : في زمن ذلك السرد ، كانت السيادة الحقيقية في مملكة « لوكو » قد انتقلت - بالتوالي - إلى الأجيال الخمسة التالية : الأمير شوان ، شنغ ، شيان ، جاور ، دينغ ، أما الحقب الأربع ، فهي فترات الحكم التي احتكرت فيها أسرة جيسون السلطة النافذة في المملكة ، وهي الفترات التالية : أونزي - أورى - بينزي ، هوانزي .

٩١ - وردت في نهاية هذا النص عبارة ، ترجمتها : « وجاء في كتاب القصائد ما يلي : لم يكن ميراثا من ذهب
لم تكن تلك يواقيت ..

وشقائق نعمان ،

بل كان زمان

والضيلة يومئذ

عروس وتيجان .

وليست هناك رابطة منطقية بين هذا الجزء وما قبله ، ولعله خطأ في ترتيب نصوص المتن الأصلي . (المترجم) .

٩٢ - « يانهو » : كان وزيرا لدى أسرة جيسون الملكية ، اشتهر بنفاذ السطوة ، وكان جليلا مهابا ، وبحسب سياق المتن الذى بين ايدينا ، فهو يحرض كونفوشيوس على قبول العمل لدى البلاط الحاكم ، بينما المعروف تاريخيا أن كونفوشيوس لم يتول أى منصب رسمى خلال الفترة الى شغل فيها « يانهو » منصب الوزارة المشتولة .

٩٣ - كان « بيشى » وكيلا فى إدارة « فالحوتشين » - أحد وزراء دولة « جينكو » - ولما كان « جاوجيانز » يتحرش بهذا الوزير ، مستظلا بحماية أحد الامراء فقد لجأ « بيشى » الى « جونغو » واتخذها قاعدة للتمرد والعصيان ، فمن هنا أرسل فى طلب كونفوشيوس ليستشيريه فى أمور كثيرة ، خصوصا وأن المعلم ، كان يرى فى هزيمة « فالحوتشين » نهاية مؤكدة - ومريرة - للسولة « جينكو » ، فلهذا وقف الى جانب « بيشى » بالدعم والتأييد .

٩٤ - كان اللون الاحمر - فى الصين القديمة - من الالوان المفضلة ، رسيمًا وشعبيًا ثم حدث تحول جذرى فى تفضيل الالوان أثناء فترة الربيع والخريف التاريخية عندما ارتدى بعض الامراء ملابس بتفسيجية اللون ، وكتسيجة ، حل البنفسجى محل الاحمر ، فمن ثم كان تعليق كونفوشيوس .

٩٥ - « رويائى » : أحد صغار الموظفين بملكية « لوكو » ، يقال بأنه تفقه على كونفوشيوس فى اصول مراسم الدفن والجنازات الملكية .

٩٦ - « ويتس » : الجلد الاول لدولة « سونغ » من أسرة « تشو » الامبراطورية ، أقطع اخوه الملك « جو » بعض الاراضى الواقعة بدويلة « ويقو » ، فلما دبت الاضطرابات فى أنحاء المملكة ، راح يقدم نصائحه للملك الذى تعصب كثيرا لرأيه ، وصم اذنيه عن الآراء الاصلاحية ، فقام « ويتس » وحمل استيائه ورحل عن البلاد ، أما « جيتس » ، فكان أحد نبلاء دويلة « شاتغ » (وهو عم الملك تشو) وكثيرا ما تقدم بالشكاوى الى جلالته ، وكانت التقاليد تقضى بأن من رفضت شكاواه المقدمة الى القصر عدة مرات ، يجبر على ارتداء أسمال بالية ويتصنع الجنون ، فاضطر الى التجوال على غير هدى وهو يهذى فى الطرقات ، أما « بيكان » فكان أحد أعضاء النبالة الملكية أيضا (وهو عم الملك تشو) وكان يشغل منصب كبير مساعدى صاحب الجلالة وقد تم الحكم باعدامه والتمثيل بجثته (اخراج القلب من وسط القفص الصدرى بعد تمزيقه) وذلك ، بسبب تقديمه شكاوى كيدية ضد الملك .

- ٩٧ - هويليوشيا : اسمه الأصلي « جانهو » ، موظف عظيم بمملكة « لوكو » .
- ٩٨ - كانت مآدب الغذاء الامبراطورية الفاخرة تقام بمصاحبة العزف الموسيقى فى زمن الابطاطرة الصينيين ، فمن ثم جاءت تسمية موسيقار القصر الاول (قائد العزف على مأدبة الافطار) ، وموسيقار القصر الثانى (قائد العزف على مأدبة الغذاء) ... الخ .
- ٩٩ - لاتذكر المصادر القديمة شيئا بالمرة ، عن هؤلاء الاشخاص الثمانية .
- ١٠٠ - لابد أن القارئ سيراجع مقولة « ريشيا » - بل المحتوى الفلسفى لكتاب « المحاورات » كله نقديا ، ليضع الانتاج النظرى هنا أمام خلفيته التاريخية ، بظلالها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية - محتواها الحضارى والثقافى .. يعنى - قبل استعجال أى مقارنة أو علاقة تأويلية بين حدود النص - بظواهر دلالاته ، كما هى منقولة الى العربية ، ومساحة الاستعارة الفلسفية الممكنة لهذه الدلالة إقليما . (المترجم) .
- ١٠١ - تلك هى الترجمة الداعية لهذا الفصل ، لكن - وأنا أنقل عن نسخ صينية مختلفة ، تنبئ آراء واتجاهات تأويلية متباينة - متضادة أحيانا ! - صادفت تأويلا حديثا ، صدر عن دار « هوايو جياوشوى » بالحروف الصوتية الصينية = Hua yu jiao xue chuban she ، ومضمون هذا التفسير : « على الموظف الذى لايجد فى نفسه مقدرة الحسم واتخاذ القرار ، أن يدرس ويحصل المعرفة ، فمن برع فى العلم ، صار أهلا لتقلد الوظائف . »
- ١٠٢ - الملك « جو » آخر أباطرة أسرة شانغ . انتحر حرقا إثر هزيمته على يد الملك « أوانغ » ، وقد وصف بأنه أكبر طاغية فى التاريخ .
- ١٠٣ - ليس ثمة روابط منطقية واضحة ومقبولة بين الفقرات ، التعليق على النص الأصلي يذكر فى هامشه أن السبب فى ذلك يعود الى أحد احتمالين : -
(أ) إما أن تكون المدونات الأصلية قد أسقطت بعض الالفاظ والعبارات الرابطة عن طريق السهو أو الخطأ .
(ب) أو أن يكون هذا الفصل ، فى حقيقته ، عدة فصول متميزة ، ضمت جميعها فى كتلة مدونة من مجموع نص واحد .

المحتويات

7 مقدمة المترجم
15 الباب الأول : شيوآر
21 الباب الثاني : ويجين
27 الباب الثالث : بايو
37 الباب الرابع : ليران
43 الباب الخامس : كونغ إيشانغ
51 الباب السادس : يونغى
61 الباب السابع : شوأريوتزو
71 الباب الثامن : تابوتشى
79 الباب التاسع : زيهان
89 الباب العاشر : شيانغ دان
97 الباب الحادى عشر : شيانجين
107 الباب الثانى عشر : يان يوان
117 الباب الثالث عشر : زيلو
127 الباب الرابع عشر : شيانون
141 الباب الخامس عشر : ويلينغ
149 الباب السادس عشر : جيشى
155 الباب السابع عشر : يانهوا
165 الباب الثامن عشر : ويتس
171 الباب التاسع عشر : ريجانغ
181 الباب العشرون : يويا
185 الهوامش

المشروع القوي للترجمة

- ١ - اللغة العليا (طبعة ثانية) جون كوين
- ٢ - الوثنية والإسلام لك. مادمو بانتيكار
- ٣ - التراث المسروق جورج جيمس
- ٤ - كيف تتم كتابة السيناريو انجا كارستوكوفا
- ٥ - ثريا في غيبوبة إسماعيل فصيح
- ٦ - اتجاهات البحث اللساني ميلكا إيفتش
- ٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة لوسيان غولدمان
- ٨ - مشعلو العراق ماكس فريش
- ٩ - التغيرات البيئية أندرو س. جوي
- ١٠ - خطاب الحكاية جيرار جينيت
- ١١ - مخترعات ليسواغا شيمبوريسكا
- ١٢ - طريق الحرير ديفيد براونستون وإيرين فرانك
- ١٣ - ديانة الساميين روبرتسن سميث
- ١٤ - التحليل النفسي والأدب جان بيلمان نويل
- ١٥ - الحركات الفنية إدوارد لويس سميث
- ١٦ - أثنية السوداء مارتن برنال
- ١٧ - مخترعات فيليب لاركين
- ١٨ - الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية مختارات
- ١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة جورج سفيريس
- ٢٠ - قصة العلم ج. ج. كراوتر
- ٢١ - خوخة وألف خوخة همد بهرنجي
- ٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين جون أنتيس
- ٢٣ - تجلى الجميل هانز جيورج جادامر
- ٢٤ - ظلال المستقبل باتريك بارنر
- ٢٥ - مثنوى مولانا جلال الدين الرومي
- ٢٦ - دين مصر العام محمد حسين فيكل
- ٢٧ - التنوع البشري الخلاق مقالات
- ٢٨ - رسالة في التسامح جون لوك
- ٢٩ - الموت والوجود جيمس ب. كارس
- ٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢) لك. مادمو بانتيكار
- ٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامي جان سوفاجيه - كلود كاين
- ٣٢ - الانقراض ديفيد روس
- ٣٣ - التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية أ. ج. هوبكنز
- ٣٤ - الرواية العربية روجر آلن
- ٣٥ - الأسطورة والعداثة پول . ب . ديكسون
- ت : أحمد درويش
- ت : أحمد فؤاد بايع
- ت : شوقي جلال
- ت : أحمد الحضري
- ت : محمد علاء الدين منصور
- ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
- ت : يوسف الأنطكي
- ت : مصطفى ماهر
- ت : محمود محمد عاشور
- ت : محمد مقصم وعبد الجليل الأزري وعمر حلي
- ت : هناء عبد الفتاح
- ت : أحمد محمود
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : حسن الموهن
- ت : أشرف رفيق عفيفي
- ت : بإشراف / أحمد عثمان
- ت : محمد مصطفى بدوي
- ت : طلعت شاهين
- ت : نعيم عطية
- ت : يمتي طريف الخولي / بدوي عبد الفتاح
- ت : ماجدة العناني
- ت : سيد أحمد علي الناصري
- ت : سعيد توفيق
- ت : بكر عباس
- ت : إبراهيم الدسوقي شتا
- ت : أحمد محمد حسين هيكل
- ت : نخبة
- ت : منى أبو سنه
- ت : بدر الديب
- ت : أحمد فؤاد بايع
- ت : عبد الستار الطنجي / عبد الوهاب علوب
- ت : مصطفى إبراهيم فهمي
- ت : أحمد فؤاد بايع
- ت : حصه إبراهيم المنيف
- ت : خليل كلفت

- ٢٦ - نظريات السرد الحديثة
٢٧ - واحة سيوة وموسيقاها
٢٨ - نقد الحداثة
٢٩ - الإغريق والحسد
٤٠ - قصائد حب
٤١ - ما بعد المركزية الأوروبية
٤٢ - عالم ماك
٤٣ - اللهب المزنوج
٤٤ - بعد عدة أصياف
٤٥ - التراث المخدور
٤٦ - عشرون قصيدة حب
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية
٤٩ - الإسلام في البلقان
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية
٥٢ - العلاج النفسي التدميمي
٥٣ - الدراما والتعليم
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح
٥٥ - ما وراء العلم
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)
٥٨ - مسرحيتان
٥٩ - المحبرة
٦٠ - التصميم والشكل
٦١ - موسوعة علم الإنسان
٦٢ - لذة النص
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)
٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية
٦٧ - مختارات
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى
٦٩ - العالم الإسلامي في لؤلؤ القرن العشرين
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمل
- والاس مارتن
بريجيت شيفر
ألن تورين
بيتر والكوت
أن سكستون
بيتر جران
بنجامين بارير
أوكتايفيو بات
ألكوس هكسلي
روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين
بابلو نيرودا
رينيه ويليك
فرانسوا دوما
هـ . ت . نوريس
جمال الدين بن الشيخ
داريو بيانوييا وخ . م بينياليستي
بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج .
روجرس بيترز وروجر بيل
أ . ف . ألتجتون
ج . مايركل والتون
جون بولكنجهوم
فديريكو غرسية لوركا
فديريكو غرسية لوركا
فديريكو غرسية لوركا
كارلوس مونيتث
جوهانز ايتن
شارلوت سيمور - سميث
رولان بارت
رينيه ويليك
الآن وود
برتراند راسل
أنطونيو جالا
فرناندو بيسوا
فالنتين راسبوتين
عبد الرشيد إبراهيم
أوخينيو تشانج رودريجت
داريو فو
- ت : حياة جاسم محمد
ت : جمال عبد الرحيم
ت : أنور مغيث
ت : منيرة كروان
ت : محمد عبد إبراهيم
ت : عطف لحد / إبراهيم قحى / محمد ملج
ت : أحمد محمود
ت : المهدي أخريف
ت : مارلين تالدرس
ت : أحمد محمود
ت : محمود السيد على
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : ماهر جويجاتي
ت : عبد الوهاب علوب
ت : محمد بركة وعثمان اللويد ويوسف الأنطكي
ت : محمد أبو العطا
ت : لطفي فطيم وعادل دمرdash
ت : مرسى سعد الدين
ت : محسن مصباحي
ت : على يوسف على
ت : محمود على مكي
ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي
ت : محمد أبو العطا
ت : السيد السيد سهيم
ت : صبرى محمد عبد الغنى
مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
ت : محمد خير البقاعي .
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : رمسيس عوض .
ت : رمسيس عوض .
ت : عبد اللطيف عبد الحليم
ت : المهدي أخريف
ت : أشرف الصباغ
ت : أحمد فؤاد متولى وهوييا محمد فهمي
ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسي العجوز ت . س . إلبوت
- ٧٣ - نقد استجابة القارئ جين . ب . تومكينز
- ٧٤ - صلاح الدين والمالكي في مصر ل . ا . سيمينوفا
- ٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
- ٧٦ - جاك لاكاز وإغواء التحليل النفسي مجموعة من الكتاب
- ٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢ رينيه ويليك
- ٧٨ - اللوعة : نظرية النجتماعية والثقافة الكوفية رونالد روبرتسون
- ٧٩ - شعرية التأليف بوريس أوسيبسكي
- ٨٠ - بوشكين عند «نافورة النموع» ألكسندر بوشكين
- ٨١ - الجماعات المتخفية بنديكت أندرسن
- ٨٢ - مسرح ميغيل ميغيل دي أونامونو
- ٨٣ - مختارات غوتفريد بن
- ٨٤ - موسوعة الألب والنقد مجموعة من الكتاب
- ٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكي أقطاي
- ٨٦ - طول الليل جمال مير صابقي
- ٨٧ - نون والقلم جلال آل أحمد
- ٨٨ - الابتلاء بالغرب جلال آل أحمد
- ٨٩ - الطريق الثالث أنتوني جينتز
- ٩٠ - وسم السيف (قصص) نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
- ٩١ - المسرح والتجريب بين نظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
- ٩٢ - أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميغل
- الإسباني وأمريكي المعاصر مايك فينرستون وسكوت لاش
- ٩٣ - محدثات العولة صمويل بيكيت
- ٩٤ - الحب الأول والصحبة أنطونيو بوينو بايخو
- ٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني قصص مختارة
- ٩٦ - ثلاث زيفات ووردة فرنان برونل
- ٩٧ - هوية فرنسا (مج ١) نماذج ومقالات
- ٩٨ - الهم الإنساني والانتزاع الصهيوني ليفيد روبنسون
- ٩٩ - تاريخ السينما العالمية بول هيرست وجراهام تومبسون
- ١٠٠ - مساهمة العولة بيرنار هاليط
- ١٠١ - النص الروائي (تقنيات ومنهج) عبد الكريم الخطيب
- ١٠٢ - السياسة والتسلح عبد الوهاب المؤيد
- ١٠٣ - قبر ابن عربي يليه آباء برتولت بريشت
- ١٠٤ - أوبرا ماهوجني جيرار جينيت
- ١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع د. ماريا خيسوس روبييرامتي
- ١٠٦ - الألب الأدبي نخبة
- ١٠٧ - سريرة الفنان في الشعر الأمريكي المعاصر
- ت : فزاد مجلي
- ت : حسن ناظم وعلى حاكم
- ت : حسن بيومي
- ت : أحمد درويش
- ت : عبد المقصود عبد الكريم
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : أحمد محمود ونورا أمين
- ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
- ت : مكارم الفمري
- ت : محمد طارق الشراوي
- ت : محمود السيد على
- ت : خالد المعالي
- ت : عبد الحميد شحبة
- ت : عبد الراروق بركات
- ت : أحمد اتحي يوسف شتا
- ت : ماجدة العناني
- ت : إبراهيم النسواني شتا
- ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
- ت : محمد إبراهيم مبروك
- ت : محمد فناء عبد الفتاح
- ت : نادية جمال الدين
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : فوزية العشماوي
- ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
- ت : إينوار الخراط
- ت : بشير السباعي
- ت : أشرف الصباغ
- ت : إبراهيم قنديل
- ت : إبراهيم فتحى
- ت : رشيد بنحو
- ت : عز الدين الكتاني الإنريسي
- ت : محمد بنيس
- ت : عبد الغفار مكاوي
- ت : عبد العزيز شبيب
- ت : أشرف على دعور
- ت : محمد عبد الله الجيبي

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس فيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلاتن	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحنا حماد كوزجى وسكان المستنق	وول شويونكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سميرة رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	إيلي أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	إيلي أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية الشانية وعلاقاتها الدولية	نيتل الكسندر وفنادولينا	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكائن	جون جراى	ت : أحمد فؤاد بليغ
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ليفى	ت : سمحة الخولى
١٢٦ - فعل القراءة	فولفغانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء قنصى	ت : بشير السباعى
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا داولورس أسيس جاروت	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندز فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ - مصر القيمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولة	مايك فينرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشرىح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - القطار من نقد ت.س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الأياشا	كينيث كوني	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط في الحقبة القروسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجبال والصحف	إيلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - باريسيفال	ريشارد فاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجيبرى
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ - قضيا انتظار في البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥ - موت أرثيميو كروت
١٤٦ - الورقة الحمراء
١٤٧ - خطبة الإبانة الطويلة
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وفلويس
١٥٠ - التجوية الإغريقية
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى
١٥٣ - غرام الفراشة
١٥٤ - مدرسة فرانكلورت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى
١٥٧ - خسرو وشيرين
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)
١٥٩ - الإيديولوجية
١٦٠ - آلة الطبيعة
١٦١ - من المسرح الإسباني
١٦٢ - تاريخ الكنيسة
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع
١٦٤ - شامبليون (حياة من نود)
١٦٥ - حكايات التعلب
١٦٦ - العلاقات بين الدين واللغة في إسرائيل
١٦٧ - في عالم ملاغور
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة
١٦٩ - إبداعات أنبية
١٧٠ - الطريق
١٧١ - وضع حد
١٧٢ - حجر الشمس
١٧٣ - معنى الجمال
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء
١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية
١٧٧ - أنطون تشيخوف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني الحديث
١٧٩ - حكايات أيسوب
١٨٠ - قصة جاويد
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي
- كارلوس قوينتس
ميجيل دي ليس
تاتكرود دورست
إنريكي أندرسون إمبرت
عاطف فضول
روبرت ج. ليمان
فرنان برودل
نخبة من الكتب
فيولن فانتوك
فيل سليتر
نخبة من الشعراء
جى أنبال وآلان ولويدت فيرمو
النظامى الكتيجى
فرنان برودل
بفيقد هوكس
بول إيرليش
اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
يوحنا الأسبوى
جوردين مارشال
جان لاكوتير
أ . ن أفانا سيفا
يشعياهو ليفمان
رابندراناث طاغور
مجموعة من المؤلفين
مجموعة من المبدعين
ميجيل دليبيس
فراونك بيجو
مختارات
ولتر ت. ستيس
إيليس كاشمور
لورينزو فيلشس
توم تيتنبرج
مترى تروايا
نخبة من الشعراء
أيسوب
إسماعيل فصيح
فنسنت . ب . ليتش
- ت : أحمد حسان
ت : على عبد الرؤوف اليمى
ت : عبد الغفار مكاوى
ت : على إبراهيم على منوفى
ت : أسامة إسبر
ت : منيرة كروان
ت : بشير السباعى
ت : محمد محمد الخطايبى
ت : فاطمة عبد الله محمود
ت : خليل كلفت
ت : أحمد مرسى
ت : مى التمساني
ت : عبد العزيز بقوش
ت : بشير السباعى
ت : إبراهيم فتحى
ت : حسين بيومى
ت : زيدان عبد الطيم زيدان
ت : صلاح عبد العزيز محبوب
ت : مجموعة من المترجمين
ت : نبيل سعد
ت : سهير المصايدة
ت : محمد محمود أبو غدير
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : يسام ياسين رشيد
ت : هدى حسين
ت : محمد محمد الخطايبى
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : أحمد محمود
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : جلال الينا
ت : حصه إبراهيم المنيف
ت : محمد حمدى إبراهيم
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : سليم عبدالأخير حمدان
ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوة	و . ب . بيتس
١٨٣ - جان كركتو على شاشة السينما	وينيه چيلسون
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام	هانز إيندورفر
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنزود
١٨٧ - الأرضة	بُنْدُجْ عُلُوى
١٨٨ - موت الأدب	الفين كرنان
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دى مان
١٩٠ - محاورات كنفوشيسوس	كونفوشيسوس
ت : ياسين طه حافظ	
ت : فتحي العشري	
ت : نسوتي سعيد	
ت : عبد الوهاب غلوب	
ت : إمام عبد الفتاح إمام	
ت : علاء منصور	
ت : بدر الديب	
ت : سعيد الغانمي	
ت : محسن سيد فرجاني	

(نحت الطبع)

الجانب الدينى للفلسفة	عن الذباب والفئران والبشر
الولاية	العلة والتحرير
تاريخ النقد الأدبي الحديث (الجزء الرابع)	علم اجتماع العلوم
الإسلام فى السودان	الكلام وأسمال
العربى فى الألب الإسرائيلى	رحلة إبراهيم بيك
ضحايا التنمية	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان
المسرح الإسباني فى القرن السابع عشر	شتاء ٨٤
فن الرواية	الشعر والشاعرية
ما بعد المعلومات	ديوان شمس
علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	عامل المنجم
المهلة الأخيرة	مصر أرض الوادى
الهيولانية تصنع علماء جديداً	الدراكيل أو الجيل الجديد
مختارات من النقد الأنجلو - أمريكى	سحر مصر

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٥٥٩٥ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولي (8 - 202 - 305 - 977 - I. S. B. N.)

论语

刘俊田 林 松 禹克坤 译注

« محاورات كونفوشيوس » هي مجموعة من التسجيلات الكتابية لتعاليم كونفوشيوس وتعليقات تلاميذه ، وقد تم تدوينها بوصفها أقوالاً ومواعظ مناسبة لحلقات الفكر والدراسة ، وكان هذا هو السبب وراء اختيار عنوان الكتاب « المحاورات » ، وكان واحد من تلاميذه - تسنغ شن - هو الذي جمع الأقوال المتناثرة وضمها بين دفتي كتاب ، وذلك أثناء فترة مهمة في التاريخ الصيني ، هي عصر الدول المتحاربة (٤٧٥ ق.م - ٢٢١ ق.م) وكانت القاعدة العامة في المدارس والاتجاهات الفكرية والدراسية حينئذ تلجأ إلى تدوين الأفكار كتابياً ، إلا أن كونفوشيوس رفض التدوين الكتابي لأفكاره زاعماً أنه مجرد « وسيط » وليس « مبدعاً » .

هذه - إذن - ترجمة الكونفوشية .. قلب الثقافة الصينية ، نواتها كما كانت قديماً ، وهي أيضاً الأساس لما عرف في ملفات الحضارة الصينية بـ « المدرسة الكونفوشية » ، الـ « روجيا » العتيقة العريقة ، بلفظها الحي في اللغة الصينية ، والتي انقسمت : أو انشطر مبحثها النقدي العام ، منع طول التجربة وعمق المجرى وثقل الوزن الحضاري ، إلى قسمين : أحدهما انتقادي ، يراجع بالبحث والدراسة ، موضوعياً ، مقولاتها منتقداً عنصرها الإقطاعي البارز ، والآخر ، مذهبي يعترف ويسلم بجوهرها الثقافي الأصيل ورمزها الباقي للتقاليد التاريخية الصينية .

